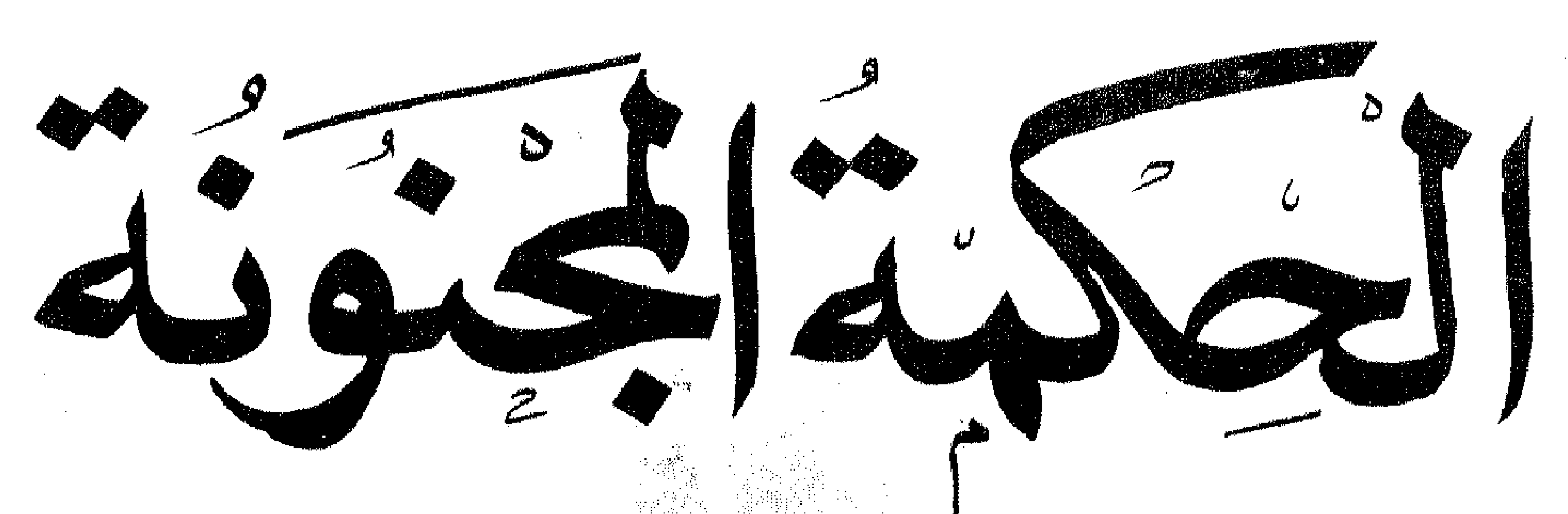


الحكمة المجنونة

دراسة فى الفلسفة البوذية فى الصين

تأليف : تشوجيام ترونجبا

تعريب : د. فوزى درويش

مدبولى

الحكمة المجنونة

الحكمة المجنونة

[دراسة فى الفلسفة البوذية فى االصين]

تاليف / تشوجيام ترونجبا

تعريب: د. فوزى درويش

١٩٩٦

الناشر

مكتبة مدبولى - ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

الحكمة المجنونة

دراسة فى الفلسفة البوذية فى الصين

المــؤلف :

تشوجيام ترونجبا

الترجمة :

د. فوزى درويش

الناشــر :

مكتبة مدبولي - القاهرة

ميدان طلعت حرب

الطبعة :

الأولى ١٩٩٦

الغلاف :

الجمع التصويرى:

شركة إى . إم جرافيك

تليفون : ٢٨٤٢٢٤٤

المحتويات

كلمة الناشر

لقد عقد المبجل تشوجيام ترونجبا رينبوكى ندوتين حول «الحكمة المجنونة» فى ديسمبر ١٩٧٢ ، استغرقت كل منهما نحو أسبوع. وتمت الندوة الأولى فى فندق مهجور فى التيتون قرب چاكسون هول فى مدينة وومنج. أما الثانية فقد عقدت فى أحد مبانى الجيمنزيوم فى مدينة قديمة فى قرية ڤيرمونت فى منطقة بارنيت التى تقع أسفل الطريق من مركز التأمل الذى أسسه ترونجبا رينبوكى، والذى يطلق عليه الآن اسم كارمى تشولنج، وكان يعرف حينذاك بذيل النمر.

ولقد وصل رينبوكى إلى هذه القارة من نحو سنتين ونصف فى ربيع ١٩٧٠ . وقد وجد أمريكا تموج حينذاك بالتغير الاجتماعى، وتهزها عدة عوامل مثل «الهيبى» أو الخنافس الوجوديين، بالإضافة إلى تعاطى مخدر «إل. إس. دى»، وكذلك ما يسمى بالسوبر ماركت الروحانى. واستجابة لتعاليمه الطاغية بأسلوبه المباشر والواضح النفاذ إلى الأعماق، فقد تكون كيان كامل من الطلبة الملتزمين وانضم إليهم عدد متزايد منهم طول الوقت. وفى خريف عام ١٩٧٢ توقف نشاطه المؤقت لأول مرة تكتيكيا. حيث توارى لمدة ثلاثة شهور فى أحد المنازل المجهورة فى غابات مقاطعة ماسوسيتش.

ولقد كانت هذه الشهور الثلاثة بمثابة فترة كثيرة الرؤى بالنسبة له. ويبدو أن رينبوكى كان يفكر فى تلك الفترة إلى أى اتجاه سوف يباشر عمله فى أمريكا وفى الوسائل التى يستخدمها لإنجاز هذا العمل. ولقد وضع لنفسه خططا جديدة ومهمة لذلك. وفى آخر ليلة من ليالى اختفائه هذه لم يداعب النوم جفونة. ولقد قال رينبوكى للطلبة القلائل الحاضرين معه أن يبذلوا إمكاناتهم المتاحة لإعداد مأدبة رسمية. وأمضى هو نفسه ساعات عديدة فى تجهز هذه المأدبة، ولم يره أحد حتى الساعة الثانية فى الصباح الباكر. وكان مرتديا أجمل ثيابه.

وكان يموج بالنشاط غير العادى. وظلت المناقشات دائرة طيلة تلك الليلة. وفى أحد المواقف ظل رينبوكى يتحدث على مدى ساعتين دون توقف

طارحاً تفاصيل حلم رآه فى الليلة السابقة، وانسحب إلى مخدعه مع ضوء الفجر، ثم قام بالسفر طوال ذلك اليوم. وفى المساء لم ينم أيضا وقام بالتحدث للمرة الأولى عن «الحكمة المجنونة» فى چاكسون هول. ويمكن القول بأنه شعر فى الصباح بشعور ملح ببدء مرحلة جديدة من عمله. وبالتأكيد فإن بعض عناصر هذه المرحلة الجديدة قد أشار إليه فى آخر حديث فى الندوة التى عقدها فى جاكسون هول.

وبعد أول ندواته عن «الڤاجراداتو» عام ١٩٧٣ (والتى خطط لها أثناء اختفائه عام ١٩٧٢)، فإن أسلوب تعاليم ترونجبا رينبوكى قد أصابها التغيير. إذ أصبحت طريقة طرحه للمواضيع أكثر منهجية لإرشاد طلبته من خلال المستويات المتواليه للطريق. ولذلك فإن ندوات الحكمة المجنونة كانت تنتمى إلى نهاية الفترة التحضيرية لتعاليم رينبوكى فى أمريكا الشمالية التى أظهر خلالها مقدرة فائقة على تقديم كافة مستويات تعاليمه مرة واحدة. وأثناء هذه المرحلة التحضيرية كان هناك جو من الفائدة يأخذ طريقة إلى إمكانات الطريق المفاجىء. وكان ذلك الجو سائداً حين كان يطرح تعاليمه الأساسية، إلى جانب تعاليمه المتقدمه نحو تيار واحد من تعاليمه المعمقة، فى حين كان يهاجم فى نفس الوقت وبشراسة شديدة كل أثر للمادية الروحانية.

وربما كان من المفيد أن نشير هنا إلى هاتين الندوتين إشارة عابرة فى سياق معاركه ضد المادية الروحانية. وعلى الرغم من أنه كان قد تم التخطيط لهاتين الندوتين استجابة لدراسة الجوانب الثمانية الخاصة بپادماسمبا هاڤا، فإن ترونجبا رينبوكى قد انتقل حثيثا من تأكيداته السابقة على وضع عناوين عريضة للحكمة المجنونة. ولقد كان لدى تلامذته من ذوى الخبرات المتقدمة، وكذلك لدى تلامذته الذين أظهروا مؤخرا رغبة جامحة لمعرفة النواحى الفنية (التكنيك) أو المبادئ الروحية التى يمكن بها التوغل فيه والتعرف عليه. على أن التعرف على المبادئ الثمانية لپادما سمبا هاڤا رغم أنها قدمت بصورة محدودة إلا أنها كانت

بمثابة لحم ودم ألقى فى اليم لأسماك القرش المفترسة التى تدعو إلى مبدأ المادية الروحانية. وهذا من شأنه أن يفسر ولو جزئيا كيف أن التقديم المنظم للنهج الذى تسير عليه الجوانب الثمانية مع التفاصيل المستمرة قد تم تجنبها، فى حين تم طرح الحكمة المجنونة بشكلها البدائى ودون أى زخارف كبديل لذلك.

ولقد كان نشر هذه المادة من زاوية العرض الكلامى أمراً ضروريا حتى يمكن قراءتها بصفة أساسية. وعلى كل فإنه فلم يتغير أى شئ فى نظام التقديم. كما أن شيئا لم يُترك التطرق إليه فى لب الحديث. ولقد تم بذل جهود كبيرة ليس من أجل تزويق لغة ترونجبا رينبوكى، أو تنميق أسلوبه الخطابى، أو قلب طريقة أدائه فقط من أجل إنجاز نغمة محترمة مناسبة. ونأمل أن يتمتع القارئ بهذه الجمل التى تنساب فى وجداننا وتستهوينا. فى حين لا تفعل ذلك الشئ التصورات العادية الواضحة. ولسوف يقدر القارئ - فيما نأمل - تلك الفقرات التى تبقى غامضة فى أحد القراءات وتصبح واضحة فى قراءات أخرى.

وهنا يكون لدينا الزئير الأعظم للأسد العظيم للدراما. نأمل أن يكون ذلك وسيلة لهروب المهرطقين وحكماء الأمل والخوف. كما نأمل أن تمضى آماله لتحقق ما تصبو اليه.

× الدراما: هى التوافق بين المرء وواجباته من ناحية، والطبيعة المحيطة به من ناحية أخرى طبقاً لمذهبى الهندوسية والبوذية (المترجم).

الحكمة المجنونة - الندوة رقم ١

چاكسون هول ١٩٧٢

بادما سمباهاڤا والمادية الروحانية

إن الموضوع الذى نحن بصدد تناوله هو موضوع صعب صعوبة غير عادية. ومن الجائز أن بعض الناس سوف يصيبهم الارتباك بصفة غير عادية أيضا. وأن بعض الناس ربما يستخلصون منه بعض الشئ. ولسوف نناقش موضوع المعلم الروحى رينبوكى، أو كما يسميه الغرب غالبا پادما سمباهاڤا ولسوف نتناول طبيعته، والأساليب المختلفة التى طورها من خلال عمله مع تلامذته. وذلك الموضوع دقيق جداً، وبعض جوانبه تتسم بالصعوبة الشديدة إذا ما تمت صياغتها فى كلمات. وأنقسم ألا ينظر أى امرئ إلى هذه المحاولة من جانبى بمثابة عرض محدد لپادما سمباهاڤا.

وبادئ ذى بدء فإننا نحتاج إلى تقديم أساس لماهية پادما سمباهاڤا. وكيف يتواءم مع البودهارما (أى التعاليم البوذية) على وجه العموم، وكيف لقى ذلك الإعجاب من جانب أهل التبت على وجه الخصوص.

لقد كان پادما سمباهاڤا مدرساً هنديا وهو الذى جلب التعاليم البوذية بكاملها إلى التبت. وقد ظل مصدر الإلهام بالنسبة لنا حتى الآن، هنا فى الغرب. لقد ورثنا تعاليمه. ولهذه النقطة من وجهة النظر، فإننى أعتقد أنه يمكن القول بأن پادما سمباهاڤا لا يزال حياً وطيباً.

إننى أفترض أن أفضل السبل لطرح شخصية پادما سمباهاڤا على الناس من أصحاب النظرة الغربية أو الفكر - المسيحى هو أن نقول إنه قديس. وسوف نمضى إلى مناقشة عمق حكمته، وأسلوب الحياة الذى جاء به، وأسلوبه الماهر فى الارتباط مع تلامذته. إن التلاميذ الذين كان عليه أن يتعامل معهم من أهل التبت، كانوا أفظاظاً بشكل غير عادى وغير مثقفين. ولقد وجهت إليه الدعوة للقدوم إلى التبت، لكن أهل التبت أظهروا مقدرة ضئيلة لفهم كيفية استقبال والترحيب بمعلم روحى عظيم جاء إليهم من جانب آخر من العالم. لقد كانوا على إصرار وعناد، كما كانوا فى حقيقة الأمر أفظاظاً غير مصقولين. وكانوا

يمثلون كل أنواع العقبات لأنشطة پادما سباهاڤا فى التبت. وعلى أية حال فإن هذه العقبات لم تنشأ من جانب أهل التبت وحدهم، وإنما نشأت أيضا لعوامل الاختلاف فى المناخ والبيئة والوضع الاجتماعى ككل. وبكيفية ما فإن وضع پادما سمباهاڤا كان شديد الشبه بوضعنا هنا. فالأمريكيون يتسمون بكرم الضيافة، ولكن على الجانب الآخر فإن هناك جانباً خشناً فى الثقافة الأمريكية. أما من الناحية الروحانية فإن الثقافة الأمريكية لا تفضى إلى ظهور شعاع النور أو ترحب تماماً بمثل هذه الاتجاهات.

لذلك فهناك وجه للتشابه هنا. وفى ظل هذا التشابه فإن أهل التبت يكونون بمثابة الأمريكيين. أما بادما سمباهاڤا فيكون هو نفسه.

وقبل الولوج إلى التفاصيل فيما يتعلق بحياة پادما سمباهاڤا وتعاليمه، فإننى أعتقد أنه من المناسب مناقشة فكرة وجود قديس بالنسبة للتقاليد البوذية. إن فكرة القديس فى التقاليد المسيحية تتضمن التناقض إلى حد ما.

فبالنسبة للتقاليد المسيحية، فإنه يجرى النظر إلى القديس بوجه عام على أنه الشخص الذى له علاقة مباشرة بالله، والذى تهزه نشوة كاملة باتصاله بالألوهية وأنه لهذا لديه القدرة أن يظهر تأكيدات معينة للنشر. وعلى ذلك فإن الناس يمكن أن ينظروا إلى القديس كمثال للوعى الأعلى، أو إلى التطور الأسمى.

أما المدخل البوذى إلى الروحانية فهو مختلف تماماً. إنه مدخل لا يعرف الألوهية. فهو لا يتضمن مبدأ القدسية من الخارج. وعلى ذلك فليس هناك أية إمكانية لتقديمه أيه وعود صادرة من القدسية، والإتيان بها إلى هنا فى الأرض. وعلى ذلك فإن المدخل البوذى إلى الروحانية يرتبط ببث اليقظة والصحوة داخل الفرد، وليس بالارتباط بشئ خارجى عنه. لذلك فإن فكرة القديس باعتباره شخصاً ما لديه القدرة على مد كيانه للارتباط بمبدأ خارجى للحصول على شئ منه، وبالتالى مشاركة ذلك مع الآخرين هو أمر صعب وغير موجود من وجهة

النظر البوذية.

والقديس فى السياق البوذى - على سبيل المثال پادما سمباهافا، أو أى كائن عظيم مثل بوذا نفسه - هو شخص ما يقدم مثالاً للحقيقة التى أربكت الكائنات البشرية، والتى تدعوهم إلى الصحوة، فهم يمكن أن يتحدوا ويعملوا على إيقاظ أنفسهم من خلال حدث من أحداث الحياة المختلفة. ويبدأ الألم، والمعاناة بكافة أشكالها، والبؤس والفوضى التى تشكل جانباً من الحياة - تبدأ هذه كلها فى إيقاظهم من غفوتهم وتهزهم من أعماقهم. وحينما يصيبهم هذا الاهتزاز فإنهم يبدأون فى طرح السؤال: «من أنا؟»، «وماذا أنا؟». «وكيف تحدث كل هذه الأشياء؟» ثم هم يتعمقون أكثر، ويتحققون من أن هناك شيئا ما بداخلهم يوجه هذه الأسئلة، شئ ما فى حقيقة الأمر يتصف بالذكاء، ولا يصيبه الارتباك أو الحيرة تماماً.

إن ذلك يحدث فى حياتنا نحن، ونشعر بحالة من الاضطراب - يبدو أن ذلك من قبيل الاضطراب - لكن هذا الاضطراب يتمخض عن شئ ما يستحق العمل على اكتشافه. والأسئلة التى نسألها فى خضم اضطرابنا هذا هى أسئلة لها ثقلها. هى أسئلة تمتلكها بالفعل. إننا نسأل: «من أنا؟» «ماذا أنا؟»، «ما هذا؟»، «ما هى الحياة؟» وهكذا. ثم إذا بنا نستكشف المزيد ونسأل: «فى حقيقة الأمر، من ذلك على وجه الأرض سأل هذا السؤال؟»، ومن ذلك الشخص الذى سأل السؤال: «من أنا؟»، ومن هو ذلك الشخص الذى سأل، «ماذا يكون؟»، أو حتى «ماذا يكون هذا؟». ونمضى بصفة متواصلة فى هذا السؤال، أبعد وأبعد إلى الداخل وبكيفية ما، فإن ذلك من قبيل الروحانية التى لا تعترف بالآلهة فى أحلى صورها. أما الإيحاءات الخارجية فإنها لا تعمل على تنشيطنا لكى نشكل أنفسنا لأوضاع خارجية أكثر بعداً. وبالأحرى فإن الأوضاع الخارجية القائمة تحدثنا عما يصيبنا من اضطراب وحيرة، وذلك يجعلنا بدوره نفكر أكثر، وتفكر أبعد. وبمجرد أن نبدأ فى ذلك تنشأ المشكلة الأخرى:

فبمجرد أن نتوصل إلى من، وما نحن، وكيف تمكنا من تطبيق ما قد تعلمناه لمواجهة أوضاعنا؟ وكيف نضع ذلك موضع الممارسة؟.

ويبدو أن هناك مدخلين فى هذا المجال. أحدهما هو أن نعد أنفسنا لما يجب أن نكونه. أما المدخل الآخر فهو محاولة أن نعيش فى نطاق ما نكونه. ومحاولة الإعداد لأن نعيش كما نحب أن نكونه يكون بمثابة التظاهر بأننا كائن مقدس أو شخص موهوب، أو كيفما يحلو لنا أن ننعت هذا النموذج.

وحينما ندرك ما هو الخطأ فينا، وأى نواحى الضعف تكتنفنا، وأى مشاكل نواجهها، وأية أمراض عصابية تحل بنا، فإن الإغراء التلقائى يكون فى محاولة التصرف على العكس تماماً، كما لو لم نكن قد سمعنا عن هذا الشئ أو انه قد أصابنا الخطأ أو الاضطراب. ونقول لأنفسنا «فكر بطريقة إيجابية! تصرف كما لو كنت على ما يرام» وعلى الرغم من أننا نعلم أن هناك خطأ فى جانبنا على صعيد الوضع الحالى الذى نحياه، وعلى مستوى «حوض المطبخ»، فإننا ننظر إلى ذلك كما لو كان عديم الأهمية. ونقول: «دعنا ننسى هذه الاهتزازات الشريرة»، «دعنا نفكر بأسلوب مخالف، دعنا نتظاهر بأننا فى وضع طيب».

إن هذا المدخل يعرف فى المذهب والتقاليد البوذية بما يمكن «بالمادية الروحانية»، والذى يعنى ألا نكون واقعيين، أو أن نستخدم أسلوب «الهيبيز» الفصفاض، «دعنا ننسى الشئ السئ، وأن نتظاهر بأن نكون على ما يرام» ويمكننا إذن أن نصنف أى مدخل على أنه من المادية الروحانية مثل البوذية، والهندوسية، واليهودية، أو المسيحية، بما يمدنا بالتقنيات التى تجعلنا نحاول الارتباط مع ما هو أفضل، أو ما يصير فى نهاية المطاف جيداً، وهى القدسية.

وحين نبدأ فى ربط أنفسنا بكل ما هو جيد، فإن ذلك يجعلنا سعداء، وتغمرنا السعادة. ونعتقد «أننا فى النهاية قد عثرنا على الجواب!». وهذا الجواب يتضمن أن الشئ الوحيد الواجب عمله هو أن ننظر إلى أنفسنا على أننا أحرار سلفا، ثم بعد ذلك نتأكد من أننا أحرار بأن ندع الأشياء تنساب فى سهولة ويسر.

ثم نضيف لمسة أخرى من أجل تعزيز ماديتنا الروحية، فكل شئ لا نعرفه ولا نفهمه بالنسبة لضالتنا الروحية المنشودة نقوم بربطه بالأوصاف والتعاليم المكتوبة حول ما هو وراء العقل والكلمات، لأنه من فرط قدسيته أقدس من أن يذكر. ونقوم بربط النقص فى مقدرتنا على الفهم بما يدور حولنا، بهذه الأشياء التى لا يمكن التعبير عنها بالكلمات. وبهذه الطريقة، فإن ما لدينا من جهل يتجه إلى أعظم الاكتشافات قاطبة. ومن ثم يمكننا ربط «هذا الاكتشاف العظيم» بافتراض ينطوى على سبيل المثال بمبدأ «المنقذ» أو بعض التفسيرات الأخرى التى نجدها فى التعاليم المكتوبة.

وفى حين أننا لم نعلم أى شئ من قبل على الإطلاق، فإننا الآن نعلم بعض الشئ الذى لم نكن نعلمه فى وقته ولا يمكننا أن نصف ذلك بالكلمات، أو بالافكار، أو التصورات، غير أننا تمكنا من استكشاف ذلك، وللبدء به، فإنه عبارة عن لوى أنفسنا باتجاه الصائب. وعلى ذلك فإن لدينا هذا الشئ الوحيد الذى نبدأ به: وهو أننا يمكن أن نترجم مباشرة وعن عمد ما يعتمل فينا من اضطراب كما لو كنا شيئا لا يعتوره الاضطراب. ونقوم بذلك لمجرد أننا نبحث عن السعادة ، السعادة الروحية. وبقيامنا بفعل ذلك فإننا نؤكد أن السعادة والبهجة التى ننشدها لها طبيعة لا يمكن إدراكها ، ولأننا لا نملك الآن أية فكرة أو أى نوع من السعادة الروحية سوف يتسنى لنا الحصول علها من هذه المناورة. وكافة التفسيرات الروحية الصادرة عن التعاليم المكتوبة التى تشير إلى المجهول يمكن تطبيقها على حقيقة أننا لا نعلم ماذا نحن بصدد تجربته روحياً. وعلى أية حال، فإننا منغمسون الآن بصفة قاطعة فى قناعة روحية، لأننا قمنا بالضغط على شكوكنا الأصلية حول من نكون نحن وماذا نكون - إن شعورنا أنه ربما لا نكون شيئا مذكورا. ولقد ضغطنا على ذلك، ومن ثم فربما لا يتسنى لنا حتى معرفة أى شئ عنه مرة أخرى.

ولأننا قد ضغطنا على الحيرة والاضطراب الذى تعانيه الذات - ذلك الأمر

الذى وفر لنا الوسائل التى نرقى عليها إلى المجهول، وهو الذى لم نفهم كنهه، فإن الأمر ينتهى بنا إلى ضربين من الارتباك: نوع من المجهول، ونوع من المجهول الذى يتجاوز المحسوس. وكلا هذين النوعين يشكلان جانبا من المادية الروحانية. إننا لا نعلم من وماذا نكون، لكننا نعلم بالفعل أننا نود أن نكون فرداً ما أو شيئاً ما. ولذلك نصمم على المضى قدماً بما نود أن نكونه حتى لو لم ندرك ماهية ذلك - ذلك هو النوع الأول من أسس «اللعبة» ثم إنه فوق ذلك، وبالنسبة لأن نكون شيئا ما، فإننا نود كذلك أن نعلم أن هناك شيئا ما عن العالم أو الكوكب الأرضى يقابل هذا «الشيء» الذى نكونه نحن. ولدينا الإدراك بأنه ينبغى التعرف على هذا «الشيء ما» الذى نود معرفته كلنا فى الحقيقة لا يمكننا التعرف عليه أو فهمه، ومن ثم يصبح مجهولاً فوق مستوى الإدراك. وطالما أننا لا نقدر على فهمه فإننا نقول: «فلندع هذا الشيء الأكبر والارتباك الاكثر ضخامة بين يدى الألوهية ذات القدرة الروحية اللانهائية» أو شيئا من هذا القبيل.

على أن هذا سوف يوفر لنا بعض الإدراك لمبدأ المادية الروحانية. إن الخطر الماثل والمادية الروحانية أنه فى ظل تأثيرها فإننا نفترض كافة صنوف الافتراضات. فأولاً، هنا الافتراضات المحلية أو الافتراضات على الصعيد الشخصى التى نقدمها. لأننا نود أن نكون سعداء. وثانيا، هناك الافتراضات الروحية التى نقدمها لأن ذلك الاستكشاف الضخم الذى يتجاوز قدرة العقل يظل غامضاً. وهذا من شأنه أن يؤدى إلى افتراضات أكثر غوراً وأعظم حجما: وهو أننا لا ندرى ماذا نحن بصدد إنجازه بإنجازنا هذا الشيء المجهول، ولكن كيفما كان الحال، فإننا نخلع عليه بعض الوصف الغامض مثل «أنه تم ابتلاعه إلى نظام كونى متناغم». وطالما أنه لن يتسنى لبشر أن يذهب بعيداً إلى هذا الحد، فإنه إذا ناقش امرؤ هذا الاستكشاف «الابتلاع ضمن النظام الكونى»، فإنه يكون بوسعنا إقامة وضع منطقى أكثر بعداً، أو أن نرنو ببصرنا نحو طلب دعم من لدن التعاليم المكتوبة أو سلطات أخرى.

ونتيجة لكل ذلك هو أن ينتهى بنا الأمر بأن نؤكد لأنفسنا أن الخبرة التى نقول بها هى خبرة حقة. وليس هناك أمرؤ يشك فى صدقها. وفى بعض المراحل ليس هناك محل للتشكك فيها على الإطلاق. إن نظرتنا العامة تصبح قائمة وراسخة تماما بحيث لا محل هناك للشك أو التساؤل. ذلك ما يمكن أن نطلق عليه تحقيق الذات فى مواجهة تحقيق الاستنارة الروحية. وعند تلك النقطة إذا رأيت أن ممارسة هجومى وإبداء عاطفتى نحوك فى حين أنك لا تقبل ذلك، فإن هذه تكون غلطتك أنت. إنك إذن لا تدرك الروحانية الطاغية، لذا فأنت فى موقع الخطأ. والسبيل الوحيد الباقى أساس لمساعدتك هو أن أحجِّمك إلى رأسٍ مستقلية لكى انتزع منها عقلك وفؤادك. وتصبح من ثم مجرد لعبة تخضع لأوامرى.

ذلك عرض تقريبى لما يسمى بالمادية الروحانية. إنها واحدة من مدخلين محتملين: محاولة التقبل لما تود أن تكونه. والآن فلنتحدث عن المدخل الثانى الممكن وهو محاولة تقبل أن تحيا على ما أنت عليه.

إن هذه الإمكانية ترتبط برؤية ما نحن عليه من اضطراب أو بؤس أو ألم. ولكننا لا نجعل هذه الاستكشافات بمثابة الإجابة. وبدلاً من ذلك فإننا سوف نستكشف أعمق، وأعمق، وأعمق دون البحث عن أية إجابة. إنها بذلك تكون عملية نقوم بها مع أنفسنا، مع حياتنا مع موقفنا السيكولوجي دون النظر إلى أية إجابة، وإنما نرى الأشياء كما هى – نرى ما يدور فى رءوسنا مباشرة وببساطة، حرفيا. فإذا استطعنا مباشرة عملية من هذا القبيل، إذن فهناك إمكانة هائلة أن يصبح اضطرابنا – وتلك الفوضى والاضطراب العصابى الذى يدور فى أفئدتنا – أساساً جديداً للفحص. وعلى ذلك فإننا ننظر بعمق، وعمق، وعمق. إننا لا نركز على أمر هام، أو على إجابة نستخلصها من شئ واحد. وعلى سبيل المثال، فإنه يمكن لنا الاعتقاد أنه نظراً لأننا استكشفنا شيئاً بعينه يكون خاطئاً نحونا فإنه يجب أن يكون «ذلك» الشئ هو مكمن المشكلة. وأن ذلك هو الإجابة. إننا لا

نركز على ذلك، بل نذهب إلى أعمق منه «لماذا يكون ذلك هو القضية؟» ثم ننظر إلى أعمق، وأعمق. ثم نسأل «لماذا يكون هناك روحانية؟ لماذا تكون هناك صحوة؟ لماذا تكون هناك تلك اللحظة للراحة؟ لماذا يكون هناك مثل هذا الشئ مثل استكشاف البهجة الروحانية؟ لماذا؟، لماذا؟، لماذا؟، ونمضى فى الغوص ثم الغوص ثم الغوص ثم الغوص إلى أن نصل إلى النقطة التى لا نجد منها الإجابة. ليس هناك حتى سؤال. وكلا الاثنين: السؤال والإجابة يموتان دفعة واحدة عند نقطة معينة. ويبدأ كل منهما فى الاحتفال بالآخر عن قرب ويحدث نتيجة لذلك «دائرة مغلقة» بطريقة ما. وعند تلك النقطة فإننا نميل إلى أن نسلم الأمل لتلقى أى إجابة، أو تلقى أى شئ كان لهذا الأمر. وينعدم لدينا الأمل تماماً. ونصبح فى وضع خيبة الأمل تماما. ويمكن أن نسمى ذلك الأمل الذى يتجاوز الحسن والإدراك، إذا كان يحلو لك أن تصيغة فى تعبير ملطف.

إن هذه الحالة من انعدام الأمل هى صلب «الحكمة المجنونة» إنها فقدان الأمل. وهى الأمل المفقود على إطلاقه. إنها شئ يتجاوز فقدان الأمل. (من الطبيعى أنه سوف يكون ممكناً إذا حاولنا قلب هذا الموقف من فقدان الأمل نفسه إلى نوع من الحل، ثم ينتابنا الاضطراب مرة أخرى وذلك فى أقل القليل).

إن هذه العملية تتضمن المضى فى التعمق مرة ومرة دون وجود أية إشارة إلى وجود منقذ، ودون وجود نقطة مرجعية للخير أو للسوء - دون وجود أى نقطة يتم الرجوع إليها بحال من الأحوال. وفى النهاية فإنه قد يتسنى لنا أن. نبلغ المستوى الأساسى لفقدان الأمل، مستوى الأمل الذى يسمو على الإدراك الحسى. وذلك لا يعنى أن ينتهى بنا المطاف لنكون مثل الأفاعى المقدسة. فلا يزال لدينا - كافة الأنشطة، ولا يزال لدينا سحر الاستكشاف، ورؤية هذه العملية تتفتح، وتتفتح، وتتفتح لتنجلى للعيان باستمرار. إن عملية الاستكشاف تلقائيا تزود نفسها بشحنة تجعلها تمضى إلى أعمق وأعمق وأعمق.

وهذه العملية التى تذهب إلى أعمق وأعمق هى عملية الحكمة المجنونة،

وهذا هو ما يميز القديس طبقا للتقاليد البوذية.

إن الجوانب الثمانية لبادماسمبادهاڤا والتى نحن بصدد مناقشتها ترتبط بمثل هذه العملية للنفاذ السيكولوچى، وهو التوغل فى نطاق السطح السيكولوچى ثم النفاذ خلال سطح جديد وإلى ما لا نهاية فى أسطح أبعد غوراً، أعمق وأعمق. إنها العملية التى نغمس أنفسنا فيها بمناقشة حياة بادماسمباهاڤا، أى الجوانب الثمانية لپادماسمباهاڤا والحكمة المجنونة.

وفى هذا السياق فإننا نرى أن المدخل البوذى إلى الروحانية يعتبر واحدا من وسائل النفاذ دون شفقة خلال أية فرصة تتاح لنا لتأكيد ذاتنا فى أية مرحلة معينة للتطور فى الطريق الروحانى. وحينما نستكشف أننا قد أحرزنا أى تقدم فى الطريق الروحانى، فإن هذا الاستكشاف للتقدم يجرى النظر إليه بمثابة عائق فى طريق مزيد من التقدم. لذلك فلا نجد فرصة للراحة، أو الاسترخاء، أو حتى تهنئة أنفسنا على الإطلاق. إنها اندفاعة واحدة بالمضى فى رحلة روحانية دون شفقة أو رحمة. وذلك هو صلب روحانية پادماسمباهاڤا.

لقد كان على پادماسمباهاڤا أن يعمل مع شعب التبت فى تلك الأيام. ويمكنك تصور ذلك. أن يأتى ساحر هندى عظيم ورجل حكيم. رجل ڤيديادهارا أو أحد سادة التانترا[1] أن يأتى ذلك الرجل إلى أرض الجليد، فى هضبة التبت.

ولقد ظن أهل التبت أنه سوف يعلمهم بعض التعاليم الروحية الجميلة حول كيفية العلم بأساس العقل. وكانت هذه التوقعات من جانب أهل التبت هائلة. وكان على بادماسمباهاڤا أن ينفذ من خلال طبقات التوقعات التى بناها أصل التبت، ومن خلال كل افتراضاتهم حول كنه الروحانية. وفى النهاية، فى نهاية مهمة پادماسمباهاڤا فى التبت حينما أظهر نفسه بمثابة دورچى ترولاو، فإن

---

١ - التانترا: هي أحد أواخر كتابات الهندوسية أو البوذية التي تتسم بالسحر والغموض (المترجم).

هذه الطبقات التى بنوها من التوقعات، قد تم اختراقها تماماً. وبدأ أهل التبت يوقنون أن الروحانية عبارة عن النفاذ من خلال الأمل والخوف بالإضافة إلى الاستكشافات المفاجئة للذكاء الذى يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع هذه العملية.

طالب: ما هو الفرق بين الحكمة المجنونة، ومجرد أن يكون المرء مجنونا؟ بعض الناس ربما يريدون أن يمضوا مجانين ومضطربين ويتحلون لأنفسهم الأعذار بالقول بأن هذه هي الحكمة المجنونة. لذلك فما هو الفرق؟

ترونجبارينبوكى: حسنا، هذا ما كنت أحاول شرحه خلال حديثى كله، ولكن دعنا نحاول مرة أخرى. إنه فى حالة الجنون العادى فإننا نحاول دوماً كسب الجولة. ولكننا ربما حاولنا قلب الجنون إلى نوع من اليقين ليتسنى لنا المضى فى هذا الطريق. وقد نحاول جذب الناس بالعاطفة أو ندمرهم بالعدوان، أو كيفما كان الأمر. إن هناك لعبة مستمرة تدور فى الذهن. لعبة العقل - وهناك استراتيجيات تمضى قدما - يمكن أن تجلب لنا لحظة من الراحة من حين لآخر. ولكن هذه الراحة يجب الحفاظ عليها بعدوان جديد أو هجوم جديد. إن هذا النوع من الجنون يجب أن يحافظ على نفسه بصفة مستمرة.

إنه فى حالة الجنون الأساسى المتعلق بالحكمة المجنونة فإننا لا نسمح لأنفسنا بأن تنساق بعامل العاطفة أو أن تثار بعامل الهجوم على الإطلاق. إننا نرتبط بالأحرى مع هذه التجارب كما هى. وإذا ظهر أى شئ من خلال هذا الوضع الطبيعى الكامل، ويتضح حجمة أمامنا، فإننا نعمل على إضعافه. دون إشارة خاصة إلى ما هو حسن، أو إلى ما هو شئ. فالحكمة المجنونة هى مجرد فعل الحقيقة. إنها تقلل من أى شئ. وهى لا تحاول حتى ترجمة الردئ إلى الأصيل الصادق، لأن ذلك فى حد ذاته هو الفساد. إنها انعدام الشفقة لأنك إذا أردت الحقيقة الكاملة، وأن تظل سليما وحكيما، إذن فأى افتراض ينشأ من ترجمة ما يثور فى اعتقادك وتفسيره طبقا لمعتقداتك لا يستحق النظر إليه. ومن

جهة أخرى فإن المدخل المعتاد للجنون ينتمى إلى ذلك النوع من الأشياء - لأن صنع أى شئ ينشأ يناسب ذلك الشئ الذى يمتلك. إنك تجعله يناسب ما تريد أن تكونه، يناسب ما تريد أن تراه. لكن الحكمة المجنونة تصبح مضبوطة تماماً من اللحظة التى تكون الأشياء كما هى. وذلك هو أسلوب العمل الذى جاء به پادماسمباهاڤا.

طالب: كيف يكون النظام مرتبطاً بأن تكون أنت حقيقة ما تكون؟ لقد كنت أظن أن النظام يعنى أن تقوم بفرض شئ ما على نفسك.

ترونجبارينبوكى: إن أكثر أنواع النظام صرامة هو أن تكون أنت ذاتك؛ وأما أن تستمر فى محاولة أن تكون غير ما تكون فهو أمر أكثر سهولة. ذلك أننا قد تدربنا على تفحص أنفسنا أو الآخرين لوضع الأمور فى وضعها المناسب. ففى حين قيامك بتجنب كل ذلك، فإن الأمر كله يصبح مدعاة للضجر، والملل. فليس هناك محل لأن تتحدث مع نفسك عن أى شئ غريب. فكل شئ بسيط تماماً.

طالب: إنك تستخدم غالبا روح المرح فى شرح الأشياء. فهل روح المرح بالأسلوب الذى تتبعه، هو نفس أسلوب الحكمة المجنونة؟

ترونجبارينبوكى: ليس تماماً. فإن ميزان روح المرح لا يزال مائلاً نحو الجانب الآخر. باتجاه الأمل وميزان الخوف. إنها عقلية جدلية، فى حين أن الحكمة المجنونة تعتبر مدخلاً شاملاً.

طالب: هل نرتبط مع الأمل والخوف من خلال نظام الممارسة الروحية؟

ترونجبارينبوكى: هذه نقطة حسنة، فعلاً فمن وجهة النظر هذه فإن أى شئ يتصف بعدم الشفقة - أى شئ لا يعير التفاتا للأمل أو الخوف - يمكن ربطه بالممارسة الروحية.

التريكايا

لقد ناقشنا مدخلين محتملين للروحانية: المادية الروحانية، والمادية الروحانية التى تتجاوز نطاق المحسوس. وأسلوب پادماسمباهاڤا هو المادية الروحانية التى تتجاوز المحسوس، والتى تعنى بتطوير السلامة النفسية الأساسية. وتنمية وتطوير السلامة الأساسية هى عملية تتضمن تناول أنفسنا بحيث يكون «الطريق» نفسه هو أساس العمل، وليس بالأخرى بلوغ الهدف. إن الطريق فى حد ذاته هو الذى يلهمنا بصفة مستمرة، وليس أسلوب الجزرة والقرد الذى يقدم الوعود حول بعض الإنجازات التى تتراءى أمامنا. وبمعنى آخر، ولكى نجعل ذلك واضحاً تماماً، فإن الفرق بين المادية الروحانية والمادية الروحانية التى تتجاوز المحسوس أنه بالنسبة للمادية الروحانية فإن الوعود تستخدم بمثابة الجزرة التى تتدلى أمام القرد لكى تغريه إلى كافة أنواع الرحلات الروحية، أما بالنسبة للمادية الروحانية التى تتجاوز نطاق المحسوس فليس هناك هدف يرجى بلوغه. إن الهدف يوجد فى كل لحظة من لحظات حياتنا وأوضاعها، فى كل لحظة من رحلتنا الروحية.

وبهذه الطريقة، فإن الرحلة الروحية تصبح مثيرة كما تصبح بدرجة من الجمال كما لو كنا بوذيين من قبل. وهناك استكشافات جديدة بصفة مستمرة، ورسائل روحية وتحذيرات بصفة دائمة، وهناك إعادة تشكيل وتهذيب بصفة مستمرة أيضا، ، بالإضافة إلى دروس مؤلمة. فضلاً عن أخرى تجلب السعادة لذلك فإن الرحلة الروحانية التى تتجاوز المادية الروحانية هى رحلة كاملة، وليست رحلة تعتمد على هدف خارجى.

إن ذلك الكمال الذى تتصف به هذه الرحلة هو الذى نحن بصدد مناقشته بالنسبة لحياة پادماسمباهاڤا. وهذا الكمال هو الذى يمكن وصفه فى سياق عدة جوانب: إنها تضم فراغاً أساسيا أو شمولياً، وإنها قدر من النشاط واللعب، كما أنها تتضمن تطبيعاً واقعيا، أو التعامل مع مواقف الحياة كما هى. إن لدينا هناك

ثلاثة مبادئ هى: «المجموعية» باعتبارها الاحساس الشامل بالجو المحيط على الطريق، والإحساس باللعب على الطريق، والإحساس بالتفرد على الطريق. تلك هى المجموعات الثلاث التى تتطور باستمرار.

وقبل التطرق لتفاصيل الجوانب الثمانية لتعاليم پادما سمباهاڤا، فقد يحسن مناقشة هذه المبادئ الثلاثة على ضوء كيفية قيام پادماسمباهاڤا إظهارها لنا كطريق نسلكه.

أولا: علينا أن ننظر عن قرب أكثر إلى طبيعة الطريق ذاته. فالطريق هو الجهد الذى نبذله، وهو النشاط الذى نقدمه فى أوضاع الحياة اليومية. وهو يتكون من محاولتنا العمل مع مواقف الحياة اليومية باعتبارها عملية تعليمية - بصرف النظر عما إذا كان هذا الموقف خلاقاً، أم مدمراً، أو كيفما يكون عليه الحال. إنك إذا أرقت قدحاً من القهوة على منضدة أحد جيرانك، أو إذا أمررت الملح إلى أحد جيرانك فهو نفس الشئ. تلك هى الأمور التى تحدث طوال الوقت فى حياتنا اليومية. إننا نفعل أشياءً بصفة مستمرة، ويكون لنا علاقة مستمرة بالأشياء أو أننا نرفض مثل هذه الأشياء. فهناك إذن أداء أو لغب مستمر. إننى لا أتحدث بالتحديد عن الروحانية فى هذه النقطة، وإنما عن الوجود اليومى: عن هذه الأحداث التى تتم طوال الوقت فى مواقف حياتنا. ذلك هو «الطريق».

وهذا الطريق لا يستلزم بالتحديد نعته على أنه روحى. إنه مجرد رحلة روحية بسيطة، تلك الرحلة التى تشتمل على تبادل مع حقيقة هذا وذاك - أو مع عدم حقيقة ذلك أيضا إذا شئت. فالارتباط مع هذه التبادلات - عملية الحياة وعملية الوجود - هى الطريق ذاته. ولربما نفكر فى طريقنا بأسلوب محاولة بلوغ الاستنارة الروحية، أو بلوغ تحقيق الذات، أو كيفما كان الحال. وعلى أية حال فاننا لا نلتصق جامدين على أية حال، على الرغم من أننا قد نظن أننا قد التصقنا على ذلك النحو.

إن رتابة الحياة وتكرارها كما نعتقده، ليست فى حقيقة الأمر نوعاً من

التكرار، وإنما هى تتألف من أحداث متوالية، ومن مواقف تتحول باستمرار طول الوقت. وهذا هو «الطريق». والطريق من هذه الزاوية شئ محايد - فهو لا ينحاز بطريقة أو أخرى. فهناك رحلة دائمة بدأت منذ وقت الانشطار الأساسى. ولقد بدأنا الانتساب على نسق: «الآخر»، «نفسى»، «ما يخصنى»، «نحن»، وهكذا. ولقد بدأ ارتباطنا مع الأشياء باعتبارها كيانات منفصلة. فقد قلنا عن الآخرين «هم»، وذلك الشئ قلنا عنه «أنا»، أو «ما يخصنى». وبدأت الرحلة من هناك مباشرة. وكان ذلك إيذانا باتباع مبدأ «السمسارا»، و«النرفانا»(×). وفى االبداية، حينما اعتزمنا الارتباط على نحو ما مع نشاط المواقف، فإننا نكون قد انهمكنا فى رحلة روحية، أى فى الطريق.

وبعد ذلك، فإننا نعمل على تطوير طريق ما يربط أنفسنا مع الطريق، ويتكيف الطريق باتجاهين إما العالم الدنيوى أو الروحانية. وبمعنى آخر، فإن الروحانية ليست فى حقيقة الأمر هى الطريق، ولكن الروحانية هى وسيلة لتكييف طريقنا، ونشاطنا.

وعملية التكيُّف التى تحدث لطريقنا تتم فى سياق المجموعات التصنيفية الثلاثة التى أشرت إليها آنفاً. ويحدث ذلك على سبيل المثال، فى نطاق التجربة «المجموعية»، فى المجموعة التصنيفية الأولى. وهذا جانب من جوانب «كيف» نرتبط مع طريقنا - فى نطاق المجموعية الشاملة لتجربتنا. والطريق يحدث على أية حال، ثم نرتبط به بكيفية ما، حيث نتخذ موقفاً معينا تجاهه. ومن ثم يصبح الطريق إما روحانيا أو طريقاً دنيوياً أرضياً.

وهذا هو السبيل للارتباط مع الطريق، وهذه هى كيفية بدء دوافعنا. غير أن دوافعنا هذه تتخذ نمطاً ثلاثيا.

(×) السمسارا: هي الدورات التي لا حدود لها وتتكرر باستمرار الولادة، والبؤس والموت والتي تتسبب فيها «الكارما» وهي القوة التي تنتج عن أفعال المرء طبقا للمذهبين الهندوسي والبوذي. أما النرفانا فهي السعادة القصوي التي تتخطي الألم، والتي يجري التماسها في البوذية عن طريق قتل شهوات النفس (المترجم).

وطبقا لتقاليد البوذية فإن هذه الجوانب الثلاثة من الطريق تسمى الدارماكايا، والسامبوچاكايا، والنيرماناكايا. ويحدث تكيُّف الطريق فى نطاق هذه الجوانب الثلاثة. على أن تواتر العملية الخاصة بالطريق تستلزم موقفاً كلياً معيناً. وتتخذ الرحلة نمطاً ينطوى على عنصر للسلامة الأساسية الكلية. وهذه السلامة الكلية، أو صفة الاستنارة الروحية ليس لها بريق محدد بالمعنى العادى. إنها الإحساس بالانفتاح الكامل مما أشرنا إليه سلفاً. وهذا الانفتاح الكامل هو الذى يجعل فى مقدورنا التسامى وتجاوز كل من الأمل والخوف. وبهذا الانفتاح فإننا نتصل بالأشياء كما هى، وليس بالأحرى عما نود أن تكون عليه. وهذه السلامة الأساسية، وهذا المدخل الذى يتجاوز الأمل والخوف، هو موقف الاستنارة الروحية.

إن هذا الموقف عملى جداً، لأنه لا يرفض ما يطرأ على الطريق، وهو لا يرتبط أيضا بما يطرأ على هذا الطريق. إنه يرى الأشياء كما هى عليه. وعلى ذلك فإن هذا أمر جمالى، انفتاح كامل - رغبة كاملة للنظر فى أى شئ يثور، وأن يتعامل معه ويتصل به كجزء من عملية شاملة. هذه عقلية «الدارماكايا» ذات الاتساع الذى يشمل الكل. والذى يشمل أى شئ دون تحيز. إنه اسلوب متسع الأفق للتفكير. ووسيلة عظمى للنظر إلى الأشياء، على عكس النظرة الضيقة للأمور والتدقيق فى التفاصيل.

إننا نتخذ المدخل الخاص بالدارماكايا طالما أننا لا نرتبط بالعالم كأحد أعدائنا. فالعالم هو الوضع الحين بالنسبة لنا. إذ يكون علينا أن نتعامل معه. فليس هناك من شئ يحدث ينبغى أن يجعلنا نتصارع مع هذا العالم. والعالم هو بمثابة وضع ثرى بطريقة غير عادية لأنه مفعم بالموارد بالنسبة لنا. وهذا المدخل الأساسى االمتضمن السخاء والغنى هو مدخل الدرماكايا. إنه عبارة عن تفكير اجمالى إيجابى. وهذه النظرة الاعظم هى بمثابة الموقف الأول بالنسبة للطريق.

ثم نجد أمامنا الموقف الثانى الذى يرتبط بالسامبوچاكايا. إن الأشياء

مفتوحة ومتسعة ويمكن التعامل معها كما سبق أن قلنا، ولكن هناك شئ إضافي. فعلينا أيضاً أن نرتبط بالبريق، النشاط بالتوهتات والحيوية التي تتخذ لها مكاناً في هذا التفتح. فهذا النشاط الذي ينطوي على التعدي، وعلى العاطفة، والجهالة، والزهو، والحسد، وهلم جراً، يجب أن يؤخذ كله في الحسبان. إن أي شئ يخطر في مجال العقل يمكن قبوله بمثابة النور الوهَّاج الذي يشع من خلال الطريق الروحاني الكبير. إنه يشع بصفة دائمة، ويبهرنا باستمرار. وهناك ركن آخر من حياتنا هي مفعم بالنشاط والقوة. وهناك استكشافات تحدث طول الوقت. وهذا هو سبيل السامبوچاكايا وصلتها بالطريق.

وعلى ذلك فإن «الطريق» يشتمل على إحساس أكبر من القبول المجمل للأشياء كما هي عليه. وبالمثل يشتمل الطريق على ما يمكن أن تسميه الانبهار بالاستكشافات المثيرة التي تنطوي عليها المواقف. وهذا يستحق منا أن نكرر هنا أننا لا نضع خبراتنا في فجوات ضيقة للفضائل أو المبادئ العقائدية أو الدنيوية. إننا إنما نرتبط فقط بالأشياء التي تحدث في أوضاع حياتنا. وهذه الطاقات وتلك العواطف التي نجابهها في رحلتنا تقدم لنا استكشافات مستمرة لأوجه مختلفة من أنفسنا، وأوضاع مختلفة منها. وعند هذه النقطة فإن الأشياء تبدو مثيرة للاهتمام. وفي نهاية المطاف فلسنا بمثابة صفحة بيضاء أو منبسطة تماماً كما تصورنا ذلك لأنفسنا.

وبعد ذلك فإن أمامنا النوع الثالث من العلاقة مع الطريق التي ترتبط بما يسمى النيرماناكايا. وهي الخصوصية الأساسية للحياة فيى العالم. فلدينا الإجمالية، ولدينا الطاقات والأنشطة المختلفة، ثم لدينا كيفية العمل في العالم كما هو، العلم الذي نعيش فيه.

وهذا الجانب الأخير يتطلب وعياً ضخماً ومجهوداً متوافراً. ولا يمكننا أن ببساطة أن نترك ذلك للإجمالية وللنشاط للعناية بكل شئ، فعلينا إذن أن نضع نظاماً لمدخلنا هذا لمواقفنا وأوضاعنا في الحياة. وكل الأنظمة والتقنيات التي م

التحدث بشأنها فى التقاليد الروحانية ترتبط بمبدأ النيرماناكايا الذى يجرى تطبيقه فى الطريق. فهناك ممارسة التأمل، والعمل مع الفكر والفطنة، واتخاذ موقف العناية والاهتمام فى العلاقة بين كل منها، وتطوير موقف عاطفى أساسى، وإحساس بالتواصل وتطوير نوع من المعرفة أو الحكمة تكون قادرة على النظر إلى الموقف بأسره، وتكون قادرة على اختيار السبل التى تكون الأشياء فيها قادرة على العمل فى سهولة ويسر. وكل هذه تكوّن نظام النيرماناكايا.

على أن هذه المبادئ الثلاثة، أو المراحل الثلاثة - الدارماكايا، والسامبوجاكايا، والنيرماناكايا - إذا استخدمت معا، فإنها تمدنا بأساس كامل لرحلتنا الروحانية. وتصبح الرحلة بسببهم، ويصبح موقفنا تجاه الرحلة شيئاً نافعاً، شيئاً يمكن التعامل معه مباشرة وبذكاء، دون أن ننزل بها إلى مستوى أكثر غموضاً مثل «غموض الحياة».

وفى سياق حالتنا السيكولوچية، فإن كلاً من هذه المبادئ له خاصية أخرى تستحق التعرض لها هنا. فالدارماكايا كحالة سيكولوچية عبارة عن كائن أساسى. إنها الإجمالية التى لم يجد الاضطراب ولا الجهل محلاً فيها على الإطلاق. إنها الحياة الإجمالية التى لا تحتاج إلى نقطة للرجوع إليها.

أما السامبوچاكايا فهى التى تشمل بصفة مستمرة نشاطاً متجدداً تلقائيا، لأنها لا تستند مطلقاً على أى نوع من النشاط الذى يتضمن السبب والنتيجة أو الأثر. وذلك فى حين أن النيرماناكايا عبارة عن تحقيق لابتهاج الشخصى. حيث لا يستلزم الأمر بلاضرورة وضع استراتيجية للعمل. تلك هى الجوانب السيكولوچية ذات الطبيعة البوذية التى تقوم بدورها فى انسجام.

فإذا ما نظرنا إلى حياة پادماسمباهاڤا وجوانبه الثمانية، فإننا نجد هذه المبادئ الثلاثة قائمة. ورؤية هذه المبادئ السيكلوچية وهى تعمل فى حياة پادماسمباهاڤا يمكن أن يكون عوناً لنا فى ألاّ ننظر الى پادماسمباهاڤا ببساطة على أنه شخصية أسطورية لم يلتق بها أحد. تلك إذن هى المبادئ التى يمكن أن نعمل

بها سويا، ويمكن لكل واحد منكم أن يعمل بها بالنسبة لأنفسكم.

طالب: هل تعتبر الجوانب الثمانية لبادماسمباهاڤا كمراحل ثمانية يمكن لنا أن نعمل من خلالها فى محاولتنا للاندفاع فى تطورنا السيكولوچى؟

ترونجبارينبوكى: حقيقة، فإن الجوانب الثمانية ليست ذات نسب واحد، أى ليست مستويات متتابعة من التطور. وما هو أمامنا الآن هو موقف فردى له جوانب ثمانية، هو مبدأ مركزى يحيط به ثمانية أنماط من المظاهر. أى أن هناك ثمانية جوانب من كل أنواع المواقف. ومن الناحية السيكولوچية، فيمكننا أن نحدث نوعاً من الاندفاعة بالارتباط بذلك. وكما ترى. وكما ورد فى الكتابات والتعاليم المكتوبة أن پادماسمباهاڤا تجلى بمثابة الجوانب الثمانية، فإن كان قبل ذلك قد حقق الاستنارة الروحية. فالجوانب الثمانية لم تكن رحلته الروحية، لكنه كان يعبر عن نفسه، يرقص بالمواقف. لقد أتى من قبل بتعبيرات الحكمة المجنونة. إن ما أريد أن أقوله هو أننا يمكن أن نعثر على كل هذه الجوانب الثمانية داخل أنفسنا، فى موقف عمل واحد. ويمكننا الارتباط بها. أى أننا يمكن النفاذ إلى غور هذه الجوانب مرة واحدة.

طالب: إذن فمن المؤكد أنها ليست تقدماً على نسق متصل واحد مثل المبادئ العشرة «للبوميس».

رينبوكى: أنظر، نحن هنا نتحدث عن الطريق الفجائى، أو طريق التانترا المفاجئ. وهذا نوع من الإدراك لا يستند على تعزيز نفسى خارجى تقدمى، أو على إزالة القناع. انه نوع من تحقيق النخر من الداخل، وليس بالأحرى كشف القناع من الخارج. إن عملية النخر من الداخل هى مدخل «تانترى». وبكيفية ما فإن ذلك يتجاوز «البوميس» العشرة، أو المراحل التى تضمنها طريق البوديستاڤا[×]. إننا نناقش

(×) البوديستاڤا هو كائن يحرم نفسه بحب وطوعية من الدخول في حالة الفيرڤانا (السعادة الغامرة) من أجل إنقاذ الآخرين طبقا لمبادئ البوذية (المترجم).

«الڤاچراسامادى» التى تضمنتها تعاليم البوذية. وأسلوب الارتباط مع الأشياء والتى ترتبط بالطبع بالطبيعة البوذية. إننا نتناولها هنا باعتبارها رسالة فجائية مباشرة، وأسلوبا مباشراً دون أن نمر بأى من «البراميتاس» أو «البوميس» إن طريقة التناول هنا هو النظر إلى المرء على اعتباره بوذى سلفاً. فالبوذية هى الطريق وليست بالأحرى هى الهدف. نحن نعمل من الداخل باتجاه الخارج. ويسقط القناع من تلقاء ذاته.

طالب: هل كان پادماسمباهاڤا بوذيا سلفاً قبل أن يولد؟

ترونجبارينبوكى: لقد كان شخصا متيقظاً قبل أن يكون بوذيا. لقد كان هو عبارة عن مبدأ الدراماكايا يحاول الظهور على مستوى السامبوچاكايا، ثم بعد ذلك بدأ الاتصال بالعالم الخارجى، وبذلك فقد تمكن من أن يجرى النظر إليه كشخص بوذى قدير منذ مولده، ثم إذا به يحطم الحواجز لتحقيق هذه المقدره دون شفقة أو خوف. ولقد بلغ الاستناره الفورية فى الحال. ويبدو أنه يمكننا صنع نفس الشئ.

طالب: هل يرتبط هذا بفكرة أن نقفز، وهو الأمر الذى كنت قد تحدثت عنه مراراً؟

ترونجبا رينبوكى: إن هذا الأمر يتعلق أكثر بالموقف الذى يتضمن اتخاذ قفزة إلى الأمام بأكثر من القفز نفسه. إنك راغب فى القيام بهذه القفزة، لذلك فهناك موقف القفز. إن الشئ الهام هنا هو الروح الأساسية، أو النظرة التى تتهيأ لها بأكثر من مجرد التطبيق العملى حول كيفية تناول الأشياء. إنه شئ أكبر كثيرا من ذلك.

طالب: لقد تحدثت طويلاً حول عدم الشفقة وعدم الخوف. فماذا أنت فظ تجاهه؟ هل أنت عديم الشفقة لمجرد اتخاذ موقف سيكلوچى معين؟

ترونجبا رينبوكى: إن الأمر برمته بالنسبة لعدم الشفقة هو حين تكون غير شفيق

فإن أحداً لن يتفحصك ولن يغريك فى اتجاه غير صحى. إنها انعدام الشفقة بهذا المعنى، وليس بالأحرى طبقاً للمعنى التقليدى الذى يتضمن العدوان غير المنطقى كحالة موسوليني أو هتلر أو أى شخص من هذا القبيل. لا يستطيع أحد أن يدقق معك أو يغريك. لأنك لن تقبل ذلك. وحتى المحاولات الرامية لإغرائك فإنها تثير النشاط الذى له أثر مدمر تجاه هذا الإغراء. فإذا كنت منفتحاً كلية ومشاراً كليةً فى نطاق الحكمة المجنونة. فإن أى امرئ لن يكون بمقدوره استدراجك إلى أراضيه.

طالب : هل يمكن لك الإبقاء على حالة عدم الشفقة؟

تروبجبا رينبوكى : إنك لا تحتفظ بحالة عدم الشفقة. فما يحل بك من عدم الشفقة يحتفظ به الآخرون. إنك لا تحتفظ بأى شئ على الإطلاق. إنك مجرد أن تكون هناك. وأى موقف يواجهك فما عليك إلا الرد. خذ النار كمثال إنها لا تمتلك قوتها التدميرية. إن ذلك يحدث بفعل فاعل. فإذا وضعت شيئا فى النار أو أردت أن تقتل النار فإن قدرتها الهجومية تتحرك للظهور. إنها الطبيعة العنصرية أو الكيماوية للنار.

طالب : حينما تأتيك هذه الأشياء فما عليك إلا أن تكون عديم الشفقة لتتمكن من صدها أليس كذلك؟ ويبدو بعد ذلك أن حكما ينبغى أن يصدر نحو الصواب والخطأ فى نطاق ما يجابهك إن كان إيجابيا أو سلبيا. وأن تكون بالتالى متعاطفاً أم عديم الشفقة.

تروبجبا : لا أعتقد ذلك، هذه هى النقطة بكاملها فى انعدام الشفقة ذات النمط الذى يعلو المحسوس. إنها لا تحتاج إلى حكم يصدر عليها. فالموقف نفسه يستدعى التصرف. إنك ببساطة تقوم برد الفعل. ذلك أن العناصر تحتوى على الهجوم. فإذا تدخل شئ فى هذه العناصر أو تعامل معها شئ بطريقة غير محترمة أو غير ماهرة فإنها ترد عليك رداً مباشراً بالضرر.

إن حالة انعدام الشفقة قد تبدو باقية بأسلوب نسبى، بمعنى «هذا» فى

مواجهة «ذلك»، ولكنها فى حقيقة الأمر لا تكون كذلك. إنها شىء مطلق. ويقدم الآخرون فكرة نسبية وأنت تنفذ من خلالها. وهذه الحالة من الوجود ليست قائمة على مستوى نسبى على الإطلاق. وبمعنى آخر، فإن هذا الإطلاق يندفع خلال الفكرة النسبية التى تأتى إليها. لكنها تظل مع ذلك تحصر نفسها بنفسها.

طالب : وهذا يجعلها منعزلة جداً، ووحيدة جداً.

ترونجيبا : لا، أنا لا أعتقد ذلك. لأن المطلق يعنى كل شىء، لذلك فإن لديك أكثر مما تحتاج.

طالب : هل تقول بأن فقدان الأمل وانعدام الخوف يعتبران شيئاً واحداً؟

ترونجيبا : نعم، إنهما الشىء النهائى، إذا كانت لديك القدرة للتعامل مع ذلك. إنهما الشىء الواحد فى نهاية الأمر.

طالب : كيف ينطبق انعدام الشفقة على تدمير الذات؟ إذ إن انعدام الشفقة تبدو خالية من العاطفة، والذات فى أغلب الحالات تحب نفسها.

ترونجيبا : حسناً، إنها كثافة الذات هى التى تستجلب اعتبارات «غير عاطفية». وبمعنى آخر إنه حينما تبلغ الأمراض العصابية والاضطرابات نقطة بالغة فإن السبيل الوحد لتصحيح هذا الاضطراب هو بتدميره.

فعليك حينذاك أن تعصف بالشىء كله. وهذه العملية - عملية التدمير مطلوبة من جانب الاضطراب نفسه، وليس بالأحرى من كونها مسألة وجود شخص يفكر فى أنها فكرة جيدة لتدمير الاضطراب بالقوة. ليس هناك فكر آخر يدخل فى هذه العملية. إن كثافة الاضطراب فى حد ذاته يتطلب تدمير نفسه. ولذلك فإن انعدام الشفقة إن هى إلا وضع هذه الطاقة موضع العمل. إنه مجرد قتل شىء ما. إنك ببساطة تدع عصاب الذات يقدم على عملية انتحارية، ولا تقوم بقتله. هذه هى انعدام الشفقة. إن الذات تقتل نفسها دون شفقة، وأنت توفر الجو

المناسب لهذه العملية.

إن الأمر لا يتعلق القيام بمعركة حربية. أنت هناك، ولذلك فإن هذه المعركة تنشب. ومن ناحية أخرى، فإذا لم تكن هناك فإن هناك إمكانية وجود كبش الفداء، وطرقاً فرعية من كل شكل ولون. ولكن لو أنك كنت هناك فإنه سوف لا يتوجب عليك أن تكون حتى عديم الشفقة بالفعل. كن هناك من وجهة نظر الذات، وهذه هى حالة انعدام الشفقة.

البراءة الأساسية

إن اكتشاف «الطريق» والموقف الملائم تجاهه له دور معين من الناحية الروحانية. فالطريق يجعل من الممكن الاتصال بالحياة الأساسية البدائية البريئة.

إننا نشدد كثيرا على الألم والاضطراب لدرجة أننا ننسى البراءة الأساسية. إن المدخل المعتاد الذى نتخذه تجاه الروحانية هو أن نبحث عن بعض التجربة التى قد تمكننا من إعادة اكتشاف رجولتنا، ولانعود بالأحرى لصفات البراءة التى يتسم بهاصبانا. ولقد غرر بنا لكى نبحث عن وسيلة لكى نكون يافعين تماماً، نحظى بالاحترام وأن نكون أصحاء من الناحية السيكلوجية.

وهذا يبدو أنه يقابل الفكرة الأساسية التى تعلمناها فى الاستنارة الروحية. فيفترض فى الشخص المستنير أن يكون نموذجاً للمرء المسن العاقل. ليس تماماً كأستاذ مسن، ولكن ربما كأب كبير السن يمكن أن يمدنا بنصائح سليمة حول تناول كافة مشاكل حياتنا، أو جدة مسنة تعلم كافة الوصفات وكافة وسائل العلاج. ويبدوأن هذا هو التصور الجارى، والذى يوجد فى ثقافتنا فيما يتعلق بالكائنات المستنيرة. أنها مسنة وعاقلة، وقد تقدم بها السن، وهى رصينة فى ذاتها.

أما «التانترا» فلها فكر مختلف عن الاستنارة، وهو يرتبط بالشباب والبراءة. ويمكن رؤية هذا النموذج فى قصة حياة بادماسمباهافا. حيث أوضحت حالة صحوة العقل أنها لا تتعلق بشخص متقدم السن أو فى سن الرجولة، ولكن فى حالة الشباب والحرية. فالشباب والحرية فى هذه الحالة ترتبط بميلاد وصحوة العقل. فحالة صحوة العقل لها صفة الصباح، وطلوع الفجر. والانتعاش والبريق، واليقظة الكاملة. هذه فى الحقيقة هى صفات مولد بادماسمباهافا.

والأن وقد عرفنا الطريق والموقف الصحيح تجاه الطريق، فإننا سرعان ما

تكتشف أن هناك شيئا رائعا عنه. فالطريق يتضمن حالة من الانتعاش الذى يتضاد بشدة مع الملل الذى يلازم غده برامج من مختلف الممارسات. فالاكتشافات الجديدة قد تم القيام بها. لكن الأكتشاف الجديد هو مولد بادماسمباهافا.

لقد ولد بادماسمباهافا داخل زهرة اللوتس فى بحيرة فى منطقة يوديانا. وكان يبدو عليه أنه فى سن الثامنة. لقد كان دائم الاستفسار، لماحاً ممتلئ الشباب، لم يمسه شيء. وطالما أنه لم يمسسه شيء مطلقا فإنه لم يكن يشعر بالخوف من أن يلمس أى شيء. وكان محاطاً ببعض الأتباع الذين يقدمون له بعض الهدايا ويضربون الموسيقى. وكان هناك حتى بعض الوحوش والحيوانات المفترسة، كلها تقدم الاحترام له فى هذه البحيرة المنتعشة التى لم يلوثها أحد، وهى بحيرة داناكوشا فى منطقة «أوديانا» التى تقع فى مكان ما فى منطقة الهملايا فى أفغانستان. لقد كان المنظر الطبيعى هناك يشبه نظيره فى كشمير، حيث يوجد جبل يلفه الهواء العليل، وتبدو قمم الجبال من حوله يكسوها الجليد. وهناك جو من الانتعاش ونقاء الجو، وفى نفس الوقت بعض الإحساس بالو حشة والغربة.

فبالنسبة لطفل يولد فى هذا المكان المنعزل الموحش فى وسط بحيرة وفى زهرة اللوتس فهذا يتجاوز ما يدركه العقل. فمن ناحية، فإننا لا يتصور مولد طفل داخل زهرة لوتس. ومن ناحية أخرى فإن منطقة موحشة كهذه وجبلية ليست مكاناً سهلاً يتلقى مولد طفل يموج بصحة فى ذلك المكان. فمثل هذا المولد أمر مستحيل، ومع ذلك فإن الأشياء المستحيلة تحدث، هذه الأشياء التى تفوق تصورنا. وفى الحقيقة، فإن الأشياء المستحيلة تحدث حتى قبل أن ينشط خيالنا إزاءها، لذلك فإننا يمكن أن نصفها طبيعيا على أنها غير متصورة – حتى «خارج حدود البصر» أو «خارج نطاق الإدوراك».

لقد ولد بادماسمباهافا فى زهرة اللوتس فى تلك البحيرة، ولقد ولد أميراً، صبيا، جذاباً فاتناً، وذكيا أيضا ذكاءً مبهراً. إن عينه الوضائتين تنظر إليك. ولم يكن يخشى لمس أى شيء على الإطلاق. وفى بعض الأحيان يكون

من دواعي الحدة أن تكون حوله، هذا الطفل الطيب الجميل ذو الثمانية أعوام من عمره. إن حالة التيقظ العقلي قد تكون شبيهة بالطفولة كما هي بالنسبة للكبار. بالطريقة التي نتخيل بها الكبار. إن الحياة تضربنا بعنف وبصفة مستمرة، وتسبب لنا الاضطراب، ولكن بعض الناس يستطيعون عبور نهر الحياة الهائج، ويجدون الجواب، وبعض الناس يعملون بكدح شديد، جداً، وفي النهاية يتوصلون إلى هدوء البال. هذه هي فكرتنا المعتادة، ولكنها الآن تماثل حالها مع بادماسمباهافا. إنه غير مفعم بالتجربة. إن الحياة لم تضربه بعنف على أية حال. إنه مجرد أن ولد في زهرة لوتس وسط بحيرة في مكان ما في أفغانستان. إن هذه رسالة مثيرة، مثيرةبشكل غير عادي. إن المرء يمكن أن يصبح مستنيراً وطفوليا أيضا، وهذا يتسق مع الأشياءكما هي : فإن كنا متيقظين، فإننا أطفال فقط. وفي المرحلة الأولى من تجربتنا، فإننا مجرد طفل. يتسم بالبراءة، لأننا رجعنا إلى حالتنا الأصلية من الحياة.

ولقد تمت دعوة بادماسمباهافا إلى بلاط الملك إندرابوتي. وكانالملك قد طلب من أحد البستانيين الذين يعملون في قصره إن يجمعوابعض الزهور الطازجة -من اللوتس وبقية أزهار الجبال - في المنطقة المحيطة بالبحيرة ولشدة ما اعترى أحد هؤلاء البستانيين من دهشة أن يكتشف زهرة لوتس ضخمة مع صبي يجلس عليها - وعلى سعادة غامرة. ولم يكن البستاني راغبا في لمس الصبي. فقد كان خائفاً من الغموض الذي يكتنف الصبي. وعاد يحكي ذلك للملك الذي أمره بإحضار الصبي واللوتس أيضاً. وتم إجلاس بادماسمباهافا على الوتس وتتويجه كأمير على منطقة أوديانا. وأطلق عليه اسم بادما راجا، أو بيما جيالبو، وفي التبت، «ملك اللوتس».

إنه من الممكن بالنسبة لنا أن نكتشف براءتنا وجمالنا الذي يعود الى الصبا، وكذلك صفة الأمراء في أنفسنا. فعندما يتم لنا اكتشاف كافة ما بنا من اضطرابات أو أمراض عصابية، فإننا نبدأ في اليقين بأنها غير ذات ضرر، وأنه لاحول لها

ولاحيلة. ثم نعثر بالتدريج على الصفة البريئة لمرحلة الصبا فى أنفسنا. وبالطبع، فإن ذلك يختلف تماماً عن النسخة الأولى من الفكرة. ولا يعنى ذلك أننا قد تضاءلنا لكى نكون فى سن الصبية. بل إننا نكتشف بالأحرى الصفة التى تلازم الصبية فى أنفسنا. فنصبح متعيسين، لدينا الرغبة فى السؤال عن كل شىء، وتعمنا البهجة، ونريد أن نعلم مزيداً عن العالم ومزيداً عن الحياة. وتنزاح عنا كافة ما كان لدينا من فكرة سابقة عن العالم. ونبدأ فى التعرف على أنفسنا وإدراكها، ويكون ذلك بمثابة عملية ميلاد ثانية لنا. فنكتشف براءتنا، وصفاتنا الفطرية الأولى وشبابنا الدائم.

إن هذه الاختراقة الأولى تقدم لنا صفتنا كصبية، ولكن يعترينا الخوف إلى حد ما حول كيفية التعامل مع الحياة، وذلك رغم عدم خوفنا منها. ويكون هناك شعور بانطلاق سوا عدنا والبدء فى اكتشاف كافة المناطق المجهولةللمرة الأولى. إن تجربتنا عن التنائية، وعما نظن أننا نعلمه، وتصوراتنا المسبقة-كل ذلك يصبح غدير صحيح ويسقط أشلاء. والآن وللمرة الأولى ندرك كنه الصفة الحقيقية للطريق. ونتخلى عن تحفظات الذات، أو على الأقل ندرك ماهيتها.

وكلما تحققنا من الذات. ، وما بها من أمراض عصابية، كلما أصبحنا أكثر قربا من حالة طفولة العقل، وإننا لاندرك كيفية اتخاذ الخطوة التالية فى الحياة. وغالبا ما يسأل الناس: «فلنفترض أننى أقوم فعلاً بالتأمل، وإذن فماذا يجب على أن أفعل؟ فإذا بلغت حالة السلام للعقل، فكيف يمكننى التعامل مع أعدائى ومن هم أعلى منى فى المرتبة؟». وغالبا ما نسأل أسئلة طفولية جداً. «إذا حدث هذا أو ذاك ونحن نتقدم على طول الطريق، فماذا سوف يحدث بعد ذلك»؟. إن ذلك وضع صبيانى جداً، وهو شبيه بالأسئلة الطفولية. إنه اكتشاف جديد للتصور وهو أيضا اكتشاف جديد لشعور المرء بالأشياء كما هى.

وعلى ذلك فإن بادماسمباهافا عاش فى القصر، وكان يحظى بالرعاية والتربية. وفى لحظة معينة طلب إليه أن يتزوج. ونظرا لبراءته كانت لديه تحفظات

على ذلك. ولكنه فى النهاية عقد العزم على المضى فيه. وكبر الأمير الصغير ونما واكتشف أمر الحياة الجنسية، ونظام الزواج وارتبط بزوجة. وحثيثا حثيثا.، أدرك إن العالم من حوله لم يعد بهذه الرقة، وليس بنعومة أوراق اللوتس. فالعالم أصبح مثيراً، مسرحاً للعب مثله كمثل من أعطى للمرة الأولى لعبة ضخمة يمكن ضرب وفكها إلى أجزاء متناثرة ثم تركيبها مرة ثانية.

هذه قصة حية جداً عن رحلة إلى الأمام نحو الخارج. بدأت من البراءة الأساسية من مستوى الدارماكايا، وهى الحالة البدائية للطبيعة البوذية، فعلينا أن نتدفع إلى الإمام، إلى الخارج. وعلينا أن نرتبط مع ما يزخر به العالم من دواعى اللعب كما هى بالنسبة لمستويات السامبوجاكايا والنيرفاناكايا.

ويقدم لنا بادماسباهافا كطفل هذه الحالة من عمر الطبيعة بصفة كاملة. حيث لايكون هناك ثنائية، فليس هناك «هذا» وليس هناك «ذاك» هذه الحالة تنتشر انتشارا كاملاً. وهناك أيضا شعور بالنشوة، لأن هذه الحالة هى حالة إجمالية شاملة، فليس هناك نقطة مرجعية. وحين لاتكون هناك نقطة مرجعية فلن يكون هناك بالتالى ما يكدر أفكار أى امرىء أو تصوراته. إنه شىء مطلق نهائى كليةً.

وانطلاقاً من ذلك، فإن بادماسمباهافا، وقد تزوج، فقد أصبح أكثر قدرة على اللعب والمناورة. فقد بدأ تجربة قدرته على الهجوم، واكتشف أن بإمكانه استخدام قوته على إلقاء أشياء وأشياء بمكن أن يصيبها الكسر. ونفذ هذا العمل إلى أقصى جد، وهو تعلم أن لديه القدرة على حيازة الحكمة المجنونه فى داخله. وقام بالرقص ما سكابيديه صولجانين-صولجان القاجراوصولجان «الترايدنت» على سقف القصر. وأسقط الصولجانين ووقعا فأصابا امرأة وابنها كانا يمشيان أسفل القصرفقتلاهما معا على الفور. وتصادف أن كانا زوجة وابن أحد وزراء الملك. وأصابت «القاجراً» رأس الصبى وضربت «الترايدنت» أوالحرية قلب الأم.

أمر يموج بالحركة واللعب جداً! (أخشى ألاتكون هذه قصة محترمة) .

لقد كان هذه الواقعة أصداء خطيرة . وعزم الوزراء على مباشرة نفوذهم على الملك ، وطلبوا منه أن يرسل بادماسمباهافا بعيداً عن المنطقة . وأن ينفيه من المملكة

لقد ارتكبت جريمة بادماسمباهافا فى وحشة اكتشاف الأشياء ، والتى لاتزال فى نطاق مرحلة السامبوجاكايا - فى مجال اختبار الأشياء وفراسة الإلمام بهـا واكـتـشـاف المولد وكـذلك الموت . وعلى ذلك فـقـد قـام الملك بنفى بادماسمباهافا . وكان ذلك لشدة أسف الملك ، ولكن كان على اللعبة المتعلقة بظواهر العالم أن تأخذ شكلها القانونى . فظواهر العالم عبارة عن نظام أساسى قانونى . فاللعبة فى نطاق هذه الظواهر لها سبب ، كما أن لها أثر يحدث باستمرار من خلالهما .

وهذا لايعنى القول بأن بادماسمباهافا كان يخضع لفكرة الكارما . بل إنه بالأحرى كان يكتشف قانونية الكارما-أى التفاعل بين أصول الكارما[×] والعالم الخارجى ، ذلك العالم المضطرب . إنه ذلك العالم المضطرب الذى صاغ حياة بادماسمباهافا ليكون مدرساً ، وليس بالأحرى ما أعلنه نفسه بالقول : «أنا مدرس» ، أو «أنا منقذ العالم» فلم يعلن شيئاً مثل هذا . لكن العالم بدأ فى جعل بادماسمباهافا يكون فى قالب مدرس أومنقذ . ويعتبر واحداً من التعبيرات التى أطلقها العالم ، والتى جعلت هذه العملية ما ضية فى هذا السبيل ، هى حقيقة أنه قام بهذا العمل العنيف ، والذى أسفر عن طرده من مملكة الملك إندرابوتى ، وكان عليه أن يذهب إلى أرض المقابر فى منطقة «سيلواتسال» (المقبرة الباردة) ، وهى تقع فى مكان ما فى منطقة بودجايا فى جنوبى الهند .

هذه الصفة الطفولية أو الصفة الاستكشافية التى تنمو وتتطور فى حياتنا

(×) الكارما في البوذية والهندوسية هي القوة المتولدة من أفعال المرء لتخليد الهجرة الأسمي وتحديد مستقبل المرء في حياته الثانية (المترجم) .

حين نبدأ العمل فى الطريق الروحانى، فالعمل تكتنفه المخاطر، كذلك تكتنفه المباهج من كافه الأنواع. وهذه الصفة ذات السمة الصبيانية تتجه تلقائيا باتجاه العالم الخارجى، وحين نوقن بذلك من قبل حالة الاستنارة المفاجئة للعقل لاتكون هى النهاية، بل تكون بداية الرحلة. وتحدث الصحوة المفاجئة، وبذلك نصبح بمثابة الطفل. وبعد ذلك نكتسف كيف نعمل مع الظاهرة.، وكيف نرقص مع الظاهرة، وفى نفس الوقت كيف نرتبط مع الأناس المضطربين. والعمل مع الأناس المضطربين الأمر الذى يجرنا تلقائيا إلى أشكال معينة طبقاً للتعاليم التى يتطلبها هؤلاء الأناس المضطربون ومع المواقف التى تستوجب الحدوث، وذلك من أجل الارتباط معهم.

طالب: هل تستطيع أن تحدثنا أكثر قليلاً عن مبدأ الدارماكايا، وعن فكرة الإجمالية وكذلك الحال عن السامبوجاكايا والنرماناكايا؟

تروبجيبا رينبوكى: يبدو أن مبدأ الدارماكايا هو ذلك الذى يسكّن ويريح كل شىء. إنه يريح أى أشياء متطرفة، بصرف النظر عما إذا كانت هذه الأشياء المتطرفة. هناك أم لا-وهو لا يوجد أى اختلاف. إنه الإجمالية حيث يوجد محل واسع للتحرك فيه. أما مبدأ السامبوجاكايا فهو الطاقة التى تنطوى عليها هذه الإجمالية، والتى تضع مزيداً من التأكيد على هذه الإجمالية. فالجانب الإجمالى من مبدأ الدارماكايا يكون بمثابة المحيط أما الجانب الخاص بالسامبوجاكايا فهو يشبه الأمواج فى هذا لمحيط التى تدلل على أن هذا المحيط موجود بالفعل. فى حين أن جانب النيرماناكايا فهو بمثابة السفينة فى ذلك المحيط وهى التى تجعل الموقف برمته موقفا واقعياً قابلاً للعمل، ومن ثم يمكنك الإبحار عبر المحيط.

طالب: كيف يمكن ربط هذا بالاضطراب؟

رينبوكى: الاضطراب هو الشريك الآخر. فإذا كان هناك تفهم، فإن هذا التفهم عادة ما يكون له التحديدات التى صنعهالنفسه بالنسبة للفهم. وعلى

ذلك فإن الاضطراب يكون هناك بصفة تلقائية حتى يتسنى بلوغ مستوى المطلق، وحيث لايحتاج الفهم مساعدته الذاتية، نظراً لأن الموقف بكامله هو موقف مفهوم.

طالب : كيف ينطبق ذلك على الحياة اليومية ؟

تروبجيبارينبوكى : حسناً، فى الحياة اليومية، فإن الأمر متشابه تماماً. فإنه بالعمل مع الإجمالية، يكون هناك محل أساسى للعمل مع الحياة. وهناك أيضا الطاقة أو النشاط ونوع من الدنياميكية فى هذا السياق. وبمعنى آخر نحن لسنا محدودين بشىء معين بذاته. ويأتى جانب كبير من الإحباط الذى يكون معنا من الإحساس بعدم وجود الوسائل الكافية للتغيروالابتكار فى مواجه مواقفنا فى الحياة. لكن هذه المبادىء الثلاثة، الدارماكايا، والسامبوجاكايا، والنيرماناكايا، تمدنا بامكانات هائلة للارتجال والابتكار. وهناك موارد لاحصرلهامن كافة الأنواع يمكن أن نتعامل منها.

طالب : ماذا كانت علاقة بادماسمباهافا مع الملك إندرابوتى ؟ وكيف ارتبطت مع تطوره من براءته الأساسية ؟

تروبجيبارينبوكى : كان الملك إندرابوتى أول الحضور بالنسبة له. كان أول ممثل للسمسارا. وكان إحضار إندرابوتى له إلى القصر نقطة البداية، لتعلمه كيف يعمل مع تلامذته، ومع الأناس المضطربين، ولقد قدم إندرابوتى أول مثال للعقل المضطرب بالنسبة لشخصية الأب.

طالب : من هى الأم والإبن اللذين قتلا ؟

تروبجيبارينبوكى : كانت هنالك عدة تفسيرات عن ذلك فى الكتابات والتعليقات الخاصة بحياة بادماسمباهافا. وطالما أن «القاجرا»ترتبط بوسائل ماهرة. فإن الصبى الذى صقلته القاجراهو العكس بالنسبة للوسائل الماهرة. التى هى العدوان. كذلك فإن «الترايدنت» يرتبط بالحكمة، لذلك فإن

المرأة التى تم قتلها بواسطته تمثل الجهل. وهناك أيضا عدة تبريرات مبينة على الكارما الخاصة بحياة سابقة : فالإبن قيل عنه كذا وكذا وأنه إرتكب عملاً سيئاً بالنسبة لمبدأ الكارما. وقيل نفس الشيء بالنسبة للأم. لكننى لا أعتقد أن علينا أن ننساق فى هذه التفاصيل، إذا إن الأمر يصبح شديد التعقيد على نحوما. إن قصة بادماسمباهافا تكون عند هذه النقطة ذات أبعاد مختلفة كلية. ذلك بالنسبة للعالم السيكلوجى. إنها تنخفض إلى مستوى عملى، حينما جاء إلى التبت، وبدأ فى التعامل مع أهل التبت. وقبل ذلك فإن الأمر كان فى نطاق العقل.

طالب : هل يوجد هناك شيء من التناظر بين حادثتى الوفاة الأثنتين وسيف مانجوشرى الذى قطع جذور الجهل ؟ أو حديث بوذا عن الشونياتا، والفراغ، وبعض أتباعه الذين أصابتهم نوبات قلبية ؟

ترونجيبارينبوكى : لا أعتقد ذلك. إن سيف مانجوشرى موجه بدرجة كبيرة نحو الممارسة فى الطريق، لكن قصة بادماسمباهافا ترتبط مع الهدف. فبمجرد أن تكون قد خبرت سلفاً الوهج المفاجيء للاستنارة، فكيف يمكن لك أن تسيطر على نفسك فيما وراء ذلك؟ إن قصة مانجوشرى وقصة قلب سوترا وكافة القصص الأخرى لتعاليم سوترا تقابل مستويات هنيانا، وماهيانا، وكلها مصممة للباحث على الطريق. فما نناقشه هنا هو فكرة المظلة–فكرة النزول من القمة : فإذا بلغنا سلفاً وضع الاستنارة، فكيف نعمل مع برامج أبعد غوراً ؟ إن حياة بادماسمباهافا عبارة عن كتيب عن البوذيين، وكل واحد منا هو واحد منهم.

طالب : هل كان يخوص تجاربه مع دافع لذلك ؟

ترونجيبارينبوكى : حسنا، إنه فى مجال الدارماكايا يكون من الصعب جداً القول ماذا يكون الدافع؟ وماذا لايكون ليس أى شيء مطلقاً.

طالب : أود أن أعرف شيئاً عن الاستعارات المتناقضة حول النخر من الداخل

وكشط طبقات من الخارج. إذا كنت أفهم جيداً، فإن الكشط هو طريق البوديستافا، فى حين أنه في طريق التانترا فإنك تنخر نحو الخارج من الداخل. لكنتى حقيقةً لا أفهم هذه الاستعارات.

ترونجيبارينبوكى : إن الأمر برمته هو أن التانترا معدية. إنها تنطوى على مادة قوية جداً وهى طبيعة البوذية بالنخر من الداخل باتجاه الخارج وليس بالأحرى يمكن التوصل إليها عن طريق الكشط، أو تقشير الطبقات من الخارج. وفى قصة حياة بادماسمباهافا فإننا ندرس الهدف باعتباره الطريق، وليس بالأحرى الطريق باعتباره الطريق. انه تصور مختلف كليةً، إنها ليست وجه النظر لكائنات واعية محسوسة تحاول التوصل إلى الاستنارة. لهذا فإن المدخل التانترى هو الذى يتضمن النخر نحو الخارج. أى من الداخل باتجاه الخارج. إن صعوبات بادماسمباهافا مع والده، الملك اندرابوتى، مع مقتل الصبى ووالدته كلها ترتبط مع الكائنات الواعية. ونحن نروى القصة من الداخل وليس بالأحرى النظر لأخبار شخص آخر تؤخذ من الداخل.

طالب : كيف تتم عملية النخر من الداخل نحو الخارج ؟

ترونجيبارينبوكى : من خلال التعامل مع المواقف بمهارة. إن المواقف تخلق سلفاً من أجلك، وما عليك إلا الخروج والتعامل معها. إنها بمثابة لغز للقطع التى ينبغى إعادة ترتيبها وقد ركب نفسه بنفسه.

طالب : هل هو مبدأ الدارماكايا الذى ينشر الأمل والخوف ؟

ترونجيبارينبوكى : نعم، يبد وأن هذا هو الشىء الأساسى. إن الأمل والخوف كلها قابلة للانتشار، تمثل موقفا تخيم عليه الأشباح. لكن الدارماكايا تزيح هذا الرعب كليةً.

طالب : هل تقول إن قصة بادماسمباهافا، منذ ولادته فى اللوتس من خلال قيامه

يتدمير كافة طبقات توقعات تلامذته وفى النهاية ظهر مثل دورجى ترولا ، كان يتحرك ببطء من الدارماكايا نحو النيرماناكايا ؟

ترونجيبارينبوكى : نعم، هذا ما كنت أحاول أن أتناوله. لقد نهض من الدارماكايا وأوشك على الوصول إلى حافة السامبوجاكايا. والسامبوجاكايا هى مبدأ الطاقة أو مبدأ الرقص-أما الدارماكايا فهى الإطار الكامل.

طالب : هل يكون على الأمل والخوف أن ينقشعا قبل الـ . .

ترونجيبا ينبوكى : قبل أن تحل مرحلة الرقص؟ نعم، وبالتأكيد.

طالب : هل طاقة السامبوجاكايا هى الطاقة التى يرتبط بها الرغبة والغضب ؟

ترونجيبارينبوكى : إن مستوى السامبو جاكايا لايبدو أن يكون كذلك. إنها الجانب الإيجابى الذى يتبقى من عملية رفع القناع. وبمعنى آخر انك تحصل على غياب العدوان، وهذا الغياب ينقلب إلى طاقة.

طالب : لذلك فإنه عندما يتحول التشوه إلى حكمة ــ

ترونجيبا : يحدث التحول. انها أكثر من مجرد التحول-إننى لاأعرف أى نوع من الكلمات يمكن قولها. إن التشوهات يمكن ربطها تماماً بحيث يكون أداؤها دون جدوى، ولكن عدم أدائهالدورها يصبح نافعا. وهناك نوع آخر من الطاقة فى السامبوجاكايا.

طالب : يبدو أن هناك نوعاص من النكتة الكونية، حول الموضوع برمته. وما تقوله هو أن عليك أن تتخذ الخطوة الأولى ، ولكن لايمكنك أتخاذ الخطوة الأولى قبل أن تتخذ الخطوة الأولى.

ترونجيبارينبوكى : نعم، ينبغى أن يدفعك دافع إليها. إنها العلاقة بين المدرس والطالب هى التى تتواجد. إن على شخص ما أن يقوم بالدفع . وهذا هو المستوى البدائى جداً فى البداية.

طالب : هل أنت تقوم بالدفع ؟

ترونجيبا : أعتقد هذا.

الخلود وأرض المقابحة

أود أن أتأكد من أن ماناقشناه من قبل أصبح واضحاً تماماً. إن مولد پادماسمباهاڤا يشبه تجربة مفاجئة لحالة اليقظة. وإن مولد پادماسمباهاڤا لايمكن أن يتم دون وجود تجربة لحالة يقظة العقل التى تظهر لنا براءتنا، وصفتنا بما يشبه حالة الأطفال. وكذلك فإن تجارب پادماسمباهاڤا مع الملك إندرابوتى فى أرديانا ترتبط بالمضى إلى أبعد بعد أن تلقى المرء سلفاً لمحة مفاجئة من اليقظة. ويبدو أن هذه هى التعاليم، أو الرسالة لحياة پادماسمباهاڤا.

والآن دعنا نمضى إلى الجانب التالى لپادماسمباهاڤا. فبعد أن مر بتجربة حالة يقظة العقل، وبعد أن مر بالتجربة الجنسية والعدوان وكل المباهج التى توجد فى العالم، فلايزال هناك حالة عدم التأكد حول كيفية العمل بالاستعانة بهذه العمليات الدنيوية. لم يكن پادماسمباهاڤا غير موقن بمعنى كونه مضطربا، ولكن حول كيفية قيامه بالتدريس، وكيف يتصل بالحاضرين. وكان الطلبة أنفسهم يشعرون بالرهبة، لأنهم من ناحية لم يتعاملوا من قبل مع شخص مستنير روحياً، فالعمل مع شخص مستنير هو أمر غير عادى وحساس ومثير للبهجة، ولكن فى نفس الوقت يمكن أن يكون ذلك مدمراً تماماً. فإذا فعلنا الشىء الخاطىء فيمكن أن نصاب، وأن يلحق بنا الدمار. إن ذلك يشبه اللعب بالنار.

لذلك فإن تجربة پادماسمباهاڤا بارتباطة بالعقل «السمسارى» يظل مستمراً. لقد تم طرده من القصر، واستمر مع ذلك فى صنع استكشافات أبعد غوراً. والاستكشافات التى صنعها فى هذه النقطة هى الخلود. والخلود هنا بمعنى أن تجربة الصحوة تظل مستمرة دون تذبذبات – ودون الحاجة إلى اتخاذ قرارات بالنسبة لهذا الأمر. وعند هذا الظرف، وبالنسبة للجانب الثانى يصبح انعدام القرار الخاص بتجربة پادماسمباهاڤا فى التعامل مع الكائنات ذات الحس أمرا عظيماً.

إن الجانب الثانى لپادماسمباهاڤا يسمى «ڤاچرادارا» ولڤاچرادارا هذه هو مبدأ أو حالة ذهنية تمتلك القدرة على عدم الخوف. إن الخوف من الموت،

والخوف من الألم ومن البؤس-كل تلك المخاوف-أمكن تجاوزها. وبتجاوز هذه الحالات، فإن خلود الحياة مستمر فيما وراءها. ومثل ذلك الخلود لايعتمد بصفة خاصة على مواقف الحياة. وبصرف النظر عن قيامنا بجعلها أكثر سلامة. وسواء أحرزنا طول العمر أم لا. انه لا يعتمد على أى شىء من هذا القبيل.

إننا نناقش شعوراً بالخلود يمكن أن ينطبق على حياتنا أيضا. وهذا الموقف الخاص بالخلوديختلف تماماً عن فكرة الخلود بمعناها الروحانى التقليدى. فالفكرة التقليدية تتضمن أنه إذا أنت بلغت مستوى معينا من السمو الروحى، فإنك سوف تكون حينذاك متحرراً من المولد ومن الموت. وسوف تعيش إلى الأبد، وسوف تكون قادراً على ملاحظة لعبة العالم، وتكون لك القدرة أيضا على السمو على كل شىء. إنها بمثابة فكرة السوبرمان الذى لا يمكن تحطيمه، والمنقذ الجيد الذى يساعد كل الناس فى استخدام إمكانيات السوبرمان. هذه الفكرة العامة للخلود والروحانيةيعتورها التشويه بعض الشىء، وتشبه إلى حدما الصور المتحركة: فالسوبرمان الروحانى له القوة والقدرة على الآخرين، ومن ثم يمكنه بلوغ امتداد الحياة التى هى استمرار لقوته فوق قوة الآخرين. وطبيعى أيضا أنه يساعد الآخرين فى نفس الوقت.

وباعتباره ڤاچرادارا، فإن تجارب پادماسمباهاڤا حول الخلود - أوبقاؤه بمثابة الخلود - أمر مختلف تماماً. فهناك شعور بالاستمرارية. لأنه قد تجاوز خوف الميلاد، والموت، والمرض، وأى نوع من أنواع الألم. فهناك حياة دائمة، ولكن الأمر بالأحرى هو أن العالم هو الذى يعيش ويبقى، وعلى ذلك فإنه هو العالم، والعالم هو. إن لديه القوة فوق العالم، لأنه لا يمتلك القدرة فوق العالم. إنه لايريد أن يمسك فى يديه بأى نوع من المناصب باعتباره شخصاً قويا فى هذه النقطة.

والڤاچرادارا هى اسم سنكريتى. وڤاچرا معناها «غيرقابل للتدمير» ، و«دارا» معناها «القابض» ولذلك يكون هذا التعبير عبارة عن «القابض على إنعدام التدمير» أو «القابض على ما لا يتزحزح». وبالتالى فإن پادماسمباهاڤا يبلغ

حالة الخلود. ولقد وصل إلى هذه الحالة لأنه ولد كصبى نقى تماماً وبرىء تماماً بحيث لا ينتابه أى خوف من اكتشاف عالمى الولادة والموت، أو العاطفة أو العدوان. وكان ذلك بمثابة الإعداد لوجوده ولكن اكتشافاته استمرت إلى ما وراء هذا المستوى. ان المولد والموت وبقية المخاطر يمكن رؤيتها من جانب العقل السامسارى أو المضطرب باعتبارها أجزاء متينة من العالم المتين. ولكن بدلاً من رؤية العالم باعتباره موقفا مليئا بالمخاطر، فإنه بدأ فى رؤيته باعتباره بيتاً له. وبهذه الطريقة بلغ الحالة البدائية الأولى بالنسبة للخلود، والتى تختلف تماماً عن حالة تخليد الذات. والذات تتطلب الحفاظ على نفسها بصفة مستمرة، وإنها تحتاج إلى طمأنة نفسها باستمرار. ولكن فى هذه الحالة ومن خلال المادية الروحانية التى تسمو على المحسوس، تمكن پادماسمباهافا من بلوغ التقدم واستمرار الوضع القائم على تلقى الإيحاءات من زملائه من البشر الذين أصابهم الاضطراب، أى الكائنات ذات الحس.

إن الأمير الشاب، الذى تم إجلاؤه من القصر ظل يجول حول أرض المقابر. وكانت هناك الهياكل العظمية الطافية مع الشعر الطافى. وكان هناك ابن آوى وكذلك النسور تحوم حول المكان، وتصدر منها الأصوات المختلفة. كذلك كانت رائحة الجثث العفنة تملأ المكان. ولكن الأمير الشاب المهذب كيّف نفسه على رؤيه هذه المناظر جيداً، رغم تعارض أشكالها وألوانها. لقد كان عديم الخوف، وأصبح انعدام الخوف هذا نوعاً من الراحة وألفة المكان حين كان يجول خلال أدغال أرض المقابر فى «سلواتسال» بالقرب من بودجايا. لقد كانت هناك أشجار لها منظر مرعب وأحجار وصخور تبعث على الخوف، فضلاً عن بقايا أحد المعابد. لقد كان الشعور الغامر هو شعور الموت والخراب. ولقد هجره الجميع وطرد من مملكته. لكنه ظل يجول كما لو لم يكن قد حدث شىء. وفى الحقيقة فإنه كان ينظر إلى هذا المكان على أنه قصر آخر على الرغم مما كان منه من مناظر مرعبة. ولما رأى عدم استمرارية الحياة، فقد اكتشف خلود الحياة، وكذلك عملية التغير المستمر للموت والمولد تحدث طيلة الوقت.

ولقد كانت هناك مجاعة فى المنطقة القريبة، وكان الناس يموتون بصفة مستمرة. وفى بعض الأوقات كانت بعض الجثث لأناس نصف أموات يحضرونها إلى أرض المقابر، لأن الناس كانوا مصابين بالإعياء الشديد نتيجة العملية المستمرة للموت والمرض. وكانت هناك أفواج من الذباب، والديدان، واليرقات، والأفاعى. وهذا هو پادماسمباهاڤا الأمير الشاب الذى طرد لتوه من قصر مرصع بالجواهر جعل من ذلك منزلاً له، ولم يجد أى فارق على الإطلاق بين أرض المقابر هذه والقصر الذى كان ينعم فيه.

إن عالمنا المتحضر منظم بكيفية لايمكننا فيه رؤية أماكن مثل أرض المقابر هذه. فالجثث يجرى حفظها فى أكفان وتوارى فى مثواها الأخير بطريقة محترمة. وعلى أية حال فهناك أرض المقابر الأعظم للميلاد، وكذلك الفوضى التى تدور حولنا طول الوقت، ونواجه المواقف التى توجد فيها أراضى المقابر فى حياتنا بصفة دائمة. ويحيط بنا أناس أنصاف أحياء، وهياكل عظمية فى كل مكان. ولكن مع هذا فإننا بالتعرف على پادماسمباهاڤا، نستطيع أن نرتبط بذلك كله دون أى خوف. ويمكن أن تلهمنا هذه الفوضى - بدرجة كبيرة بحيث تصبح هذه الفوضى نظاما بشكل ما. إنها يمكن أن تكون على نسق، وليس بالأحرى فوضى مضطربة، لأننا قد يكون بمقدورنا الاتصال بالعالم كما هو.

ولقد ذهب پادماسمباهاڤا فى طريقه ليعثر على أقرب كهف. وقام بعملية التأمل على أساس مبدأ الخلود الذى تتضمنه الطبيعة البوذية : إن الطبيعة البوذية قائمة بصفة دائمة، لايمسها أى خطر أو تهديد على الإطلاق. والتيقن من هذا المبدأ هو واحد من المراحل الخمسة للڤيدياداراا. إنه المرحلة الأولى، التى تسمى ڤيديادارا الخلود.

وڤيديادارا هذه تعنى «ذلك الذى يمسك بيده بالمعرفة العلمية» أو «ذلك الذى أنجز الحكمة المجنونة»وعلى ذلك فإن المرحلة الأولى للحكمة المجنونة هى حكمة الخلود. فليس هناك ما يهددنا على الإطلاق فكل شىء هو بمثابة حلية. وكلما تعظم قدر الفوضى، كلما أصبح كل شىء بمثابة حلية. وهذه هى حالة

الفاجرادارا.

ولربما تساءلنا كيف تسنى لأمير شاب برىء أن يحصل على مثل هذه التمرينات، حتى أنه أصبح بمقدوره التعامل مع مواقف أرض المقابر. ولربما وجهنا مثل هذا السؤال، لأننا نفترض بصفة عامة أنه لكى نتناول شيئاً ما فإننا تكون بحاجة إلى التمرين: فيكون علينا أن نستفيد من النظام التعليمى. ويكون علينا أن نقرأ بعض الكتب حول كيفية أن نعيش فى أرض المقابر، وأن نأكل هناك. ولم يكن پادماسمباهافا بحاجة ضرورية إلى هذا التدريب، لأنه كان مستنيراً فى لحظة ولادته. لقد كان خارجاً من الدارماكايا إلى السامبوجاكايا، ولايحتاج الوهج المفاجىء للاستنارة إلى أى تدريب. ولا يحتاج إلى نظام تعليمى. إنها أمور موروثة بالطبيعة ولا تعتمد على أى نوع من التدريب على الإطلاق.

وفى حقيقة الأمر، فإن الفكرة بكاملها نحو الحاجة إلى التمرين للأشياء هى مدخل ضعيف جداً، لأنها تجعلنا نشعر بأننا لايمكن أن نحوز هذه المقدرة فى داخلنا. ومن ثم فعلينا أن نجعل أنفسنا أفضل مما هى عليه، وعلينا إذن أن نحاول أن نتبارى مع الأبطال أو مع السادة. وعلى ذلك فنقوم بمحاولة تقليد أولئك الأبطال وأولئك السادة، اعتقاداً منا بأننا فى نهاية الأمر باستخدام بعض العمليات السيكلوجية يمكن أن نكون أمثالهم. وعلى الرغم من أننا الآن لسنا هم، فإننا نعتقد أننا يمكن أن نكون ذاتهم بمجرد التقليد - وعن طريق التناظر، بخداع أنفسنا بصفة مستمرة بأننا أصبحنا إياه. ولكن حينما تحدث هذه الاستنارة ذات الوهج المفاجىء، فإن ذلك النفاق لا تقوم له قائمة. وليس عليك أن تتظاهر بأن تكون شيئاً ما. فإنك بالفعل شىء ما. ولك ميول معينه تعيش فى داخلك على أية حال. إنها مجرد مسألة وضع هذه الميول موضع الممارسة.

وربما أصبحت اكتشافات پادماسمباهافا تبدو كئيبة من ناحية ومفزعة نوعاً من ناحية أخرى من وجة نظرنا إذا ما تخيلناه يقوم بالتأمل فى أحد الكهوف تحيط به الجثث والحيونات المخيفة. ولكن على أية حال فإن علينا أن نرتبط مع ذلك فى

مواقف حياتنا الشخصية. إنه ليس بمقدورنا تفحص التجربة القائمة للحياة، ولا بمقدورنا تفحص تجاربنا أو أن نغيرها عن طريق اعتناق بعض المعتقدات غير الواقعية بأن الأشياء تمضى على ما يرام، وأن الأمور سوف تصيرفى نهاية المطاف جميلة رائعة. فإذا ما أخذنا بهذا المدخل فإن الأمور سوف لاتكون على ما يرام. فلنفس السبب الذى نتوقع فيه أن تصبح الأشياء جيدة، ورائعة، فإنها لن تكون كذلك.

وحين تكون لدينا مثل هذه التوقعات فإننا نتناول الأشياء من الزواية الخطأ كليةً. إن الجمال ها هنا يتبارى مع القبح، كما يتبارى السرور مع الألم. وفى هذا النطاق من المقارنة، فإنه ليس بالمستطاع أن يتم إنجاز شىء على الإطلاق.

ولربما قلنا : «لقد كنت أقوم بالممارسة، وكنت أبحث عن الاستنارة، وعن النيرڤانا، ولكننى كنت دائما أجد الصد، وفى البداية. وجدت نوعاً من الرفض من جانب هذه الممارسات. وكنت أفكر فى أننى سوف أبلغ مرادى إلى حد ما. وكنت أشعر شعوراً جميلاً، واننى غاية فى السعادة، وكنت اعتقد أنى سوف أتمس وأن أتجاوز حتى ذلك الوضع. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. وأصبح التدريب مملاً، ومن ثم بدأت أبحث عن حل آخر، عن شىءآخر. وفى نفس الوقت بدأت أفكر: إننى بدأت فى أن أكون غير مؤمن بالممارسات التى وهبت لى. وأنه لا ينبغى لى البحث عن ممارسات جديدة. ولاينبغى لى أن أبحث فى أى مكان آخر. ينبغى أن أكون مفعما بالإيمان وأن أتمسك به. حسناً، فلنشرع فى ذلك، ومن ثم تمسكت بذلك الموقف. ولكن الوضع لايزال غير مريح، يدعو إلى الضجر. وفى الحقيقة، أصبح مثيراً للضيق والألم بشكل فائق».

واستمر بنا الوضع فى هذا السبيل. وكنا نكرر أنفسنا: لقد أقمنا شيئا ما وجعلنا أنفسنا نعتقد فيه. وكنا نقول لأنفسنا: «علىَّ الآن أن أتذرع باليقين. فإذا كانت لدى العقيدة والإيمان فأننى سوف أصل إلى بر النجاة». إننا نحاول أن نصطنع الإيمان بطريقة ما، فى حين نتخلص منه خفياً. ولكن الأمر ينتهى بنفس الطريقة مرة أخرى بصفة متكررة - ولايتسنى لنا أن نستخلص منه شيئاً. وهناك

أيضا تلك المشكلات الملازمة لهذا المدخل للروحانية .

وبالنسبة لمدخل بادماسمباهافا نحو الروحانية ، فإننا لاننظر نحو وكلة أو إيحاء معين ، أوحتى إلى السعادة الغامرة . وبدلاً من ذلك فإننا نحفر بأظافرنا نحو مضايقات الحياة ، ونثب نحو المضايقات وتصنع لنا بيتاً من ذلك . فإذا كان باستطاعتنا أن نصنع من تلك المضايقات بيتا ، إذن فإن المضايقات تصبح مصدراً للمتعة العظيمة ، وهى متعة تفوق حد المحسوس ، والتى تسمى «ماهاسوكها» - لأنها لاتتضمن أى ألم على الإطلاق . وهذا النوع من المتعة لم يعد له صلة بعد بالألم ، أو أن يتناقض مع هذا الألم على الإطلاق . ولذلك فإن الأمر بأكمله يصبح محدداً ودقيقاً وقابلاً للفهم بحيث يمكننا الارتباط به .

إن تكيُّف بادماسمباهافا مع العالم بطريقة أعمق من خلال موقف الظروف أول الخمسة مراحل للفيديادارا ، يلعب دوراً هاماً فى دراسة بقية جوانب البدماسمباهافا . ويبرز هذا الموضوع المرة تلو المرة .

طالب : لماذا لايعتبر قيام بادماسباهافا بصنع بيته فى أرض المقابر من قبيل الماسوشية[×] ؟

تروبجباريتبوكى : بداية ، فليس هناك نوع من العدوان على الإطلاق . ولم يخرج ليكسب ود أى شخص . إنه كان هناك ليرتبط مع الأشياء كما هى . أما فى الماسوشية ، فإنه يكون عليك أن تجد شخصا توجه إليه اللوم - شخصياً للاتصال مع آلامك : فإذا أنا ارتكبت جريمة الإنتحار ، فإن والدىَّ سوف يعلمان بعد ذلك إلى أى قدر أكنا لهما الكراهية» وإذن فليس هناك شيء من هذا القبيل هنا . إنه عالم غير موجود ، ولكنه لا يزال هناك ، يعيش معه .

طالب : ليس بوسعى أن أفهم هذه الصفة التى تتعدى القدرة الآدمية فى أن يولد أمرؤ من نبات اللوتس . مثل المسيح وأمه العذراء . أليس ذلك يقدم

(×) من المعلوم في علم النفس أن الماسوشية عبارة عن نوع من الانحراف النفسي يتلذذ فيه المرء بالتعذيب الذي ينزل به (المترجم) .

پادماسمباهافا كمثال يتجاوزنا، والذى يكون علينا أن نرتبط به باعتباره ليس من قبيل البشر؟

ترونجبارينبوكى : بكيفية ما، فإن ولادته من أم ومن زهرة اللوتس يعتبر ان فى نفس الوضع. وليس هناك شىء يتجاوز البشر فى هذا : إنها تعتبر عن معجزة قائمة بالفعل. إن الناس وهم يشاهدون الميلاد لأول مرة غالبا ما يجدون ذلك كمعجزة أيضا. ونفس الطريقة، فإن الولادة من نبات اللوتس معجزة كذلك. ولكن ليس هناك شىء مقدس أوصرف حول ذلك على وجه الخصوص. حدوث الولادة من اللوتس عبارة عن تعبير عن الانفتاح. وعملية البقاء فى الرحم لتسعة شهور ليس من المحتم المرور بها. إنه موقف حر ومفتوح - إن اللوتس تتفتح ويظهر الصبى. إنه شىء مستقيم تماماً. أما بالنسبة للوتس فليس علينا أن نناقش مثل هذه المسائل، فمثل صلاحيتها كمثل صلاحية أن أم المسيح كانت عذراء. ويمكن فقط أن تكون هذه اللوتس هى الوحيدة الموجودة فى ذلك الأوان. ولكنها ماتت بعد ذلك. ولذا يمكن القول أنه كان ميلاداً حراً.

طالب : إن الميلاد من قلب اللوتس قد يعنى كذلك نفس التاريخ الكارمى.

ترونجبا : هذا صحيح، نعم. ليس هناك تاريخ كارمى فى هذا الموضوع على الإطلاق. الأمر هو مجرد أنه فى مكان ما فى أفغانستان أن زهرة لوتس حملت بصبى.

طالب : هل يمكن أن تقول لنا من فضلك شيئاً عن العلاقة بين الفاچرادارا الخاصة بپادماسمباهافا والدارماكايا البوذية الخاصة بنسب الكاچيو، والتى يطلق عليها أيضا اسم الفاچرادارا ؟

ترونجبارينبوكى : كما قلت أنت، فإنه بالنسبة لنسب الكاچيو، فإن فاچرادرا هى اسم البوذية الأساسية أو البدائية على مستوى الدارماكايا. والتى توجد بصفةمستمرة. أماجانب الفاچررادارا المتعلق بپادماسمباهافا فإنه يوجد على مستوى السامبوجاكايا التى تنتسب إلى تجارب الحياة، أو على

مستوى الدارماكايا الثانوية، والتى ترتبط بالانتشار العام للكائنات ذات الحسن، وهى رهن أمرك تعمل معها. ولكنها أساساً هى فى مبدأ السامبوجاكايا. لذلك فإن بوذية السامبوجاكايا الخمسية هى الجوانب الثمانية فى پادماسباهافا.

طالب : لقد تحدثت عن البقاء مع المضايقات، فى الحقيقة التلذذ بها. فهل تكون الفكرة أن الألم مرتبط بالانسحاب والتحاشى، بحيث أنك تتحرك باتجاه الألم أو قريبا من الألم فيتبدد ذلك الألم ؟ هل هناك بعض الإمكانية أن تأتى الاستنارة من ذلك الوضع ؟

ترونجبارينبوكى : هذه فى الحقيقة نقطة صعبة جداً. إن لدينا مشكلة فى أن هناك نوعاً من السادية يمكن أن يحدث مما يجعلنا نراه فى عدد من المواقف المعادية باتجاه ممارسات «الزّن[×]» كذلك. ولدينا أيضاالمدخل «الإيحائى» بالتوغل فى التعاليم وتجاهل الألم. هذه المواقف تؤدى إلى اضطراب أعمى. ونجد أجسادنا يساء استخدامها ولايجرى مراعاتها بكيفية صحيحة. وفى هذه الحالة فإن الارتباط مع الألم ليس أمرا سادياً تماماً وليس من قبيل الممارسات العدوانية من جهة، وليس مبنيا على فكرة تجاهل الأمر برمته، والهروب إلى رحلتك الذهنية من جهة أخرى. إنه وضع يقع بين هذين الطرفين. وبداية، فإن الألم يجرى النظر إليه كشىء حقيقى شىء يحدث بالفعل. ولايجرى النظر إليه باعتباره شيئاً يتعلق بالمبادىء أو بالأمور الفلسفية. إنه الألم ببساطة أو عدم الراحة السيكلوجى. إنك لاتبتعد عن الألم، لأنك لو فعلت ذلك، فلن يكون لديك موارد للعمل منها. إنك لاتسعى إلى الألم ولاتتسبب لنفسك فى الألم، لأنك حينذاك سوف تكون قد أدخلت نفسك فى عملية

(×) الزّن، عبارة عن التأمل الديني تؤديها طائفة من البوذية المهايانا في اليابان. وتحث تعليمها علي تدريب النفس وانضباطها وبلوغ الاستنارة الروحية بطرق عجيبة متعارضة وليست منطقية (المترجم).

انتحارية. وتكون بذلك قد سعيت إلى تدمير نفسك. لذلك فإن الأمر يقع بين الاثنين.

طالب : كيف يكون إقامة «بيت» من المضايقات مرتبطاً بمبدأ الماندالا(×) ؟

ترونجباربنبوكي : يبدو أن ذلك سلفاً هو الماندالا في حد ذاتها. فالارتباط مع المضايقات يتضمن معنى أن تكون هناك كافة أنواع المضايقات، وأن هناك إمكانات لاحصرلها من هذه المضايقات. وهذه هي الماندالا. أنت هناك بالفعل. فالماندالا هي شعور بالوجود الكامل معك في الوسط. ولذلك فها أنت في قلب الضيق. إنها ذات قوة كبرى.

طالب : حينما عرفت الفيديادارا تحدثت عن المعرفة العلمية. فما العلاقة بين المعرفة العلمية وبين حياة پادماسمباهاڤا ؟

ترونجبيباربنبوكي : إننى استخدم تعبير«المعرفة العلمية» بمعنى المعرفة الأكثر دقة حول القيام برد الفعل تجاه المواقف. إن لب الحكمة المجنونة هو ألا تكون لديك أية برامج ذات استراتيجية أو مبادىء على الإطلاق مرة أخرى. إنك تكون متفتحا ليس إلا. وأيما قدم التلامذة فإنك تتصرف طبقا لذلك. وهذا أسلوب علمى مستمر. بمعنى أنها تكون متوافقة باستمرار مع طبائع العناصر.

(×) الماندالا : طبقاً للتعاليم البوذية والهندوسية، عبارة عن رمز منقوش للكون (المترجم).

فلندع الظواهر تؤدى دورها

ربما لا يتوافر لدينا الوقت للبحث فى بقية الجوانب الثمانية لبادماسمباهافا بنفس المعدل الذى اتبعناه فى الجانبين الأولين، ولكن مناقشاتنا مع ذلك تكون قد قدمت أرضية أساسية لمناقشة للعملية بأكملها الخاصة بحياة بادماسمباهافا واتساع مدى تأثيره الشخصى. وما أود أن أفعله هو محاولة إرسال شعور من البادماسمباهافا يستدعى كافة جوانبه موجودة معا. والحقيقة أن هذا شئ شديد االصعوبة. لأن مجال الكلمات محدود. فالكلمات لا تستطيع تغطية القدر الكافى من الإدراك. ولكن سوف نبذل أقصى ما فى وسعنا فى هذا السبيل.

إننا لا نتحدث عن بادماسمباهافا من زاوية تاريخية خارجية،أو من زاوية خارجية أسطورية. إننا نحاول الوصول إلى النخاع داخل العظام - إلى الجانب اللحظى أو البدائى منه، وكيف ارتبط بالحياة من خلاله. وهذا أسلوب مقدس أو «تنتاوى» لرؤية حياة بادماسمباهافا فى مقابل ما يجرى اعتباره والتأويلات التى تنظر إليه على أنه مجرد شخص تاريخى أو أسطورى - مثل الملك آرثر أو شخصاً من هذا القبيل.

إن القصة فى مضمونها تنبنى على علاقات الأحداث فى حياة بادماسمباهافا وفى تعاليمه. وتلك هى وجهة النظر التى حاولت انطلاقاً منها أن أعمل فى قصة بادماسمباهافا باعتباره الأمير الشاب، وباعتباره الشاب «سيِّدا» أو اليوجا فى تمامها، فى أرض المقابر. وهذان الجانبان مهمان بشكل غير عادى لبقية حياة بادماسمباهافا.

ولقد ظهرت المرحلة التالية لبادماسمباهافا من الحاجة إليه ليجرى قبوله فى الحياة الديرية. وكان يقتضى ترسيمه «بيكشو» أو راهب. وارتباطه مع حياة الدير ونظمه كان أمرا مهماً، لأنها أمرته بوضع نظامى. وتم ترسيم بادماسمباهافا من جانب «أناندا» أحد تلامذة وحضور مجالس بوذا. واكتسب بادماسمباهافا، باعتبارة راهباً اسم شاكيا سيمها، أو شاكيا سنجى فى هضبة التبت. وهذا معناه «أسد قبيلة شاكيا». وذلك كان أحد الأسماء البوذية (كان بوذا يعرف فى بعض

الأحيان باسم«حكيم الشاكيا»)، ومن خلال هذا الاسم أصبح بادماسمباهافا معروفاً بالتقاليد البوذية. وكان ذلك أمرا هاما جداً، لأن المرء يحتاج إلى شعور هائل بالعلاقة مع خط النسب. ولذلك فإن بادماسمباهافا ربط نفسه بخط النسب وأيقن أهمية الدور الذى يلعبه ذلك.

إن خط النسب البوذى هو خط من السلامة الدائمة، وهو بمثابة مدخل صحيح للحياة. وأن يصبح الإنسان راهباً فهذا معناه أن يعيش عيشة سليمة - سليمة ومقدسة - لأنها ا نغماس كلى مع الأشياء كما هى. فإن أصبحت راهبا فإنه يقتضى ألا تفوتك أية نقطة. انك ترتبط مع الحياة من زاوية أن لحظة معينة تسمح بشعور من الحياة القوية، بشعور من «الإجمالية»، بشعور أنك لا تدفعك العاطفة، ولا العدوان، ولا أى شئ على الإطلاق - إنك تتعامل مع الأشياء كما تسمح لك حياة الدير، وكما هى - ليس إلا.

وكما تطور بادماسمباهافا فى دوره الديرى، فقد أصبح مرة أخرى يظهر على شكل أمير شاب، ولكنه فى هذه الحالة كأمير شاب أصبح راهباً. لقد عقد العزم على أن يكون المنقذ للعالم. الذى يأتيه برسالة الدارما.

وفى أحد الأيام قام بزيارة أحد أديرة الراهبات. وفى هذا الدير بالذات كانت تقيم إحدى الأميرات، واسمها مانداراڤا، وكانت من توها قد أصبحت راهبةً وتحولت كلية عن مباهج العالم الأرضى. لقد عاشت حياتها فى عزلة، وكان يتولى حراستها خمسمائة امرأة، وكانت مهمتهم التأكد من أنها تحافظ على نظامها فى الدير، وحينما وصل بادماسمباهافا إلى الدير، فإن كل امرئ أعجب به تماماً - وكان ذلك أمرا طبيعيا. فقد كانت لديه براءة ذلك الذى ولد من نبات اللوتس كما كان يتمتع بهيكل طبيعى مثالى. ولقد كان جميلاً جدا أيضا، ولقد استطاع أن يحول كافة النسوة فى الدير، وأصبحوا جميعاً من تلامذته.

وسرعان ما سمع الملك، والد مانداراڤا عن ذلك. ولقد روى أحد رعاة البقر أنه سمع صوتا غير عادى يصدر من الدير، يعظ ويصرخ. ولقد ظن الملك أن منداراڤا كانت راهبة كاملة الرهبنة بشكل مطلق، أنها لم تكن على أية صلة من

أى نوع بالرجال. ولكنه استشاط غضباً لما سمعه من راعى البقر، وأرسل وزراءه لكى يستجلوا ما كان يحدث فى الدير. لكن الوزراء لم يسمح لهم بدخول مبنى الدير. لكنهم تشككوا فى أن شيئاً غريبا كان يحدث هناك. وعادوا أدراجهم إلى الملك الذى قرر أن يقوم الجيش بتدمير بوابة الدير. وأن يدخلوه عنوة، وأن يقوموا بالقبض على ذلك الوغد الذى يدعى أنه مدرس. وبالفعل قام الجيش بذلك. وقبض رجاله على بادماسمباهاڤا ووضعوه فى محرقة من خشب االصندل وأضرموا فيها النار (وكان ذلك هو الأسلوب المتبع فى الإعدام فى تلك المملكة بالخصوص). كذلك تم إلقاء الأميرة فى أحد الحفر التى تحوى الأشواك والقمل والبراغيث. وكانت تلك فكرة الملك وعقيدته.

واشتعلت النار التى ألقى فيها بادماسمباهافا واستمرت فى اشتعالها لمدة سبعة أيام. وكان المتبع أنه إذا تم تنفيذ الإعدام فى شخص ما بهذه الطريقة ألا تستمر النار مشتعلة سوى يوم أو يومين. وفى هذه الحالة استمرت النار مشتعلة ودام اشتعالها. وظهر أنه أمر غير عادى بشكل واضح - وبدأ الملك يفكر أنه ربما كا هناك أمر غير عادى بالنسبة لهذا الرجل الذى يتظاهر بأنه أب روحى.

وأرسل الملك رجاله للتقصى، ولكنهم رأوا النار قد اختفت، وأن المنطقة بكاملها حيث كانت فيها النار قد تحولت إلى بحيرة كبرى، وكان فى أوسط هذه البحيرة بادماسمباهاڤا، يجلس مرة أخرى على نبات اللوتس. وحينما سمع الملك هذا الخبر عقد العزم على أن يستجلى المزيد حول هذا الشخص. وقرر ألا يدع الأمر فى يد رسول، وذهب بنفسه لرؤية بادماسمباهاڤا. وحينما وصل إلى المكان سيطر على نفسه وجود هذا الشخص جالساً على نبات اللوتس فى وسط البحيرة. حيث توجد أرض للمقابر، ومكان لحريق المجرمين. واعترف الملك بما اقترفه من إثم وما أقدم عليه من تصرف خاطئ فى حق بادماسمباهاڤا ودعاه إلى القصر. ورفض بادماسمباهافا أن يذهب إلى هناك قائلاً بأنه سوف لا يدخل قصر مذنب - قصر ملك شرير قام بتوجيه الإدانة إلى شخص كان بمثابة المضمون الروحى لكل من الملك والأب الروحى، والذى تجاهل الأساس الحق للروحانية.

وكرر الملك طلبه، وفى النهاية قبل بادماسمباهاڤا دعوته، وقام الملك بنفسه بجر العربة التى كان پادماسمباهاڤا يجلس عليها، وأصبح بادماسمباهاڤا «الراچورو»، أى المعلم الروحى للملك كما تم إنقاذ مانداراڤا من الحفرة التى ألقيت فيها.

وخلال هذه المرحلة من حياته، أصبح مدخل بادماسمباهاڤا إلى الحقيقة مدخلاً للضبط والدقة. ولكن فى نطاق هذا المجال من الضغط، كان على استعداد لأن يسمح للناس بقدر ما يرتكبون فيه الأخطاء فى الطريق الروحى. بل إنه كان مستعداً حتى أن يذهب بعيداً. لأن يسمح للملك بأن يحرقه حياً وأن يضع تلميذته الأميرة فى الحفرة. ولقد شعر أن عليه أن يدع هذه الأشياء تحدث، وهذه نقطة هامة تظهر نمط تعاليمه.

وكان الأمر يستدعى وجود محل لأن يتحقق الملك من مرضه العصابى - ومن طريقه بالكامل نحو التصرف والتفكير - وأن يكتشفه بنفسه. وكانت هذه الطريقة. للتحقق هى أن يسمح له بأن يدرك ذلك بنفسه، وليس بالأحرى عن طريق قيام بادماسمباهاڤا بإظهار بعض المعجزات التى تتضمن قوة سحرية. (والتى كانت فى نطاق قدراته)، وذلك قبل القبض عليه. وكان يمكن لبادماسمباهاڤا أن يقول: «أنا أعظم مدرس فى العالم،إنكم لا تستطيعون لمسى. والآن سوف ترون عظمة قوتى الروحية». ولكنه لم يفعل ذلك، وبدلاً من ذلك سمح لنفسه أن يتم القبض عليه.

ان هذه إشارة هامة جداً لطريقة بادماسمباهاڤا فى الارتباط مع العقل «السمسرى» أو المضطرب: دع الاضطراب يأتى، ودع الاضطراب يصبح نفسه. إن الأمر يشبه قصة أحد سادة «الزِّن» الذى كان لديه طالبة من السيدات. وأصبحت السيدة حاملاً فى طفل، وأتى أهلها إلى سيد الزِّن حاملين الطفل وشكوا إليه قائلين: «إن هذا طفلك وعليك أن ترعاه» ورد سيد الزِّن: «أهو كذلك؟» وأخذ الطفل ورعاه، وبعد بضع سنين قليلة لم تعد المرأة قادرة على تحمل الأكذوبة التى قالتها - ولم يكن والد الطفل هو المدرس، ولكن كان

شخصاً آخر كلية. وذهبت إلى والديها وقالت، «إن مدرسى لم يكن أب الطفل، إنه كان شخصاً آخر» وعلى ذلك اعترى الوالدين القلق، وشعرا أنه من الأفضل إنقاذ الطفل من أيدى المدرس، الذى كان يقوم بعملية تأمل فى الجبال.. ووجدوه هناك وقالوا: «لقد اكتشفنا أن هذا الطفل ليس طفلك. والآن نود إنقاذه منك، اننا نود أن نأخذه من يديك. إنك لست أباه الحقيقى» وقال سيد الزّن: «هل الأمر كذلك؟».

لذلك دع «الظاهرة» تؤدى لعبتها، ودع الظاهرة تجعل الناس يستغفلون أنفسهم بأنفسهم. وهذا هو المدخل. فليس هناك جدوى من القول: «دعنى أتجاذب معك أطراف الحديث، إننى أود أن أشرح الموقف كله بداخلك» ومن تلقاء نفسها، مجرد قول شئ ما ليس أمراً كافيا - فما بالك بصعوبة العثور على الشئ الصحيح لإمكان قوله إنها - هذه الطريقة لا تجدى. إن عالم الظواهر لا يمكن تفحص كنهه بالكلمات ولا بالمنطق، ولا بأقل القليل من المنطق. إن عالم الظواهر يمكن التعامل معه فقط فى نطاق ما يحدث فى داخله. فى نطاق منطقه هو ذاته. إن هذه هى نوعية أكبر نطاقاً من المنطق، هى «إجمالية» استخدام المنطق الخاص بالموقف نفسه. لذلك فإن سمة هامة من سمات أسلوب بادماسمباهافا هى أن تدع الظاهرة تؤدى دورها بنفسها، وليس بالأحرى محاولة برهنة أو شرح بعض الشئ.

وفى الموقف التالى، فى الجانب التالى، جابه بادماسمباهافا خمسمائة مهرطق، أو ترثيكاس، فى سانسكريت. وفى هذه الحالة كان المهرطقون أو المنشقون أناساً يؤمنون بوجود الإلة، من البراهما، ويمكن أن يكونوا ربانيين - أو كيفما يحلو لك أن تسمى المدخل المضاد للمدخل غير الإلهى للبوذية. وثار هنالك نقاش منطقى: وأحاط جمهور ضخم بالعالمين الروحيين، كل منهما فى مواجهة الآخر. وكان كل من العالم الروحى الدينى ونظيرة غير الإلهى يقارع الآخر الحجة حول طبيعة الروحانية. وكان كل منهما فى رحلة روحية. (ولا يهم إن كنت تؤمن بالآلهة - أم غير ذلك - فإنك يمكن أن تظل فى رحلة روحية).

وكان كل من الرجلين يحاول أن يرسى دعائم منطقه ليثبت أنه يمتلك الحجة فى أن الطريق الروحى هو طريقة. وفى هذه الحالة، فإن الإلهيين كسبوا الجولة، والبوذيين الذى تم إفحامهم تماماً عن طريق الذكاء المنطقى خسروها. وعلى الفور، طُلب من بادماسمباهافا أن يقيم احتفالاً للتدمير، من أجل تدمير الإلهيين وما أقاموه من حجة. وقام بهذا الاحتفال المطلوب وحقق انتصارا ضخماً تسبب فى قتل هؤلاء الخمسمائة عالما، ودمر كافة ما بناه هؤلاء الفلاسفة من حجة.

وفى هذا الجانب، فقد عُرف بادماسمباهافا باسم سنج درادروك ومعناها، «زئير الأسد» فزئير الأسد يدمر السيكولوچية الثنائية. ويمكن إرجاع القيمة والصلاحية للأشياء لأن هناك الشئ الثانى قد حدث - البراهما، أو الإله، أو كيفما يحلو لك أن تسميه. إن المدخل الثنائى يقول إنه نظراً لأن «ذلك» قد حدث، لذلك فإن «هذا» أيضا هو شئ حقيقى ومتين. ومن أجل أن تصبح «هو» أو «هى» وأياً منهما يكون، فإن ينبغى علينا أن نكون على استعداد لتلقى ما يأتينا من ذلك الشئ الأعلى، ذلك الشئ الموضوعى. إن هذا المدخل يتسم دائماً بالجدل. والوسيلة الوحيدة لتدمير هذه الثنائية هو أن تشهد جانب الحكمة المجنونة لبادماسمباهافا من أجل تدميرها وما بنيت عليه.

ومن وجهة نظر الحكمة المجنونة، فإن «ذلك» لا وجود له. والسبب هو أن «ذلك» لا وجود له - هو أن «هذا»، أى النفس لم يعد له وجود. وبمعنى ما، فإنه يمكنك القول أنه هنا يكون التدمير متبادلاً، ولكن فى نفس الوقت يكون هذا التدمير مستحباً من وجهة النظر غير المعترفة بوجود الإله. فإذا كان الرب، البراهما موجودين. إذن فالملاحظ أو المراقب عليه أن يعيش، وأن يكون موجوداً من أجل أن يدرك هذا الوجود. لكن مدخل الحكمة المجنونة هو عدم وجود هذا الذى يدرك. إنه لا يصبح موجوداً هناك، أو على الأقل فإن هذا الأمر يكون محل تساؤل. فإن كان «هذا» غير موجود، فإن «ذلك» يكون خارج الموضوع تماماً. إن الأمر مجرد شبح، شئ خيالى. وحتى أنه بالنسبة لوجود خيال، فإنك

بحاجة إلى ا لمتخيل. وعلى ذلك فإن عملية تدمير الفكرة المركزية لنفسٍ ما يستدعى معه عدم وجود «ذلك».

هذا هو المدخل لبادماسمباهاڤا باعتبارة سينجى درادروك، زئير الأسد. فزئير الأسد يمكن سماعه، لأن الأسد لا يخشى من «ذلك» فالأسد لديه الرغبة للتقدم، للسيطرة، بصرف النظر عما يكون هناك، لأن «هذا» لا يوجد حتى يمكن تحطمه مرة أخرى. وفى هذا المفهوم، فإن زئير الأسد يمكن ربطه مع تطوير «الڤاچرابرايد».

وتكون الخطوة التالية هى دوچى ترولاو، والتى ظهرت حينما ذهب بادماسمباهافا إلى التبت. ولم يكن أهل التبت منغمسين فى عبادة أجنبية خارجية وافدة عليهم. ولم يكن لديهم مجال لألهة الهندوس. ولم يكونوا حتى على علم بكلمة براهما. وما كان لديهم هو «يشين» والذى يعتبر المقابل اللفظى فى تقاليد «البوين» للمطلق (١) فمقطع «يى» يعنى البدائى أو الأساس، ومقطع «شين» معناه سلفى - أى العلاقة بالأسلاف والمستمد منهم. أو «الصديق العظيم». وبقدوم بادماسمباهافا إلى التبت كان عليه الآن مجابهة زاوية جديدة تماماً، ومدخلاً جديداً أيضا.

وحتى ذلك الوقت، كان بادماسمباهافا يتعامل مع الهندوس ومع البراهما. وما واجهه فى التبت كان مختلفاً تماماً عن ذلك، والكلمة التقليدية لأهل التيت «يشين» لها معنى يشبه إلى حد ما «السلفى» أو «القديم» أو حتى «السماوى». إنه مشابه للكلمة اليابانية «شين» والتى تعنى «السماء»، أو للكلمة الصينية «تا» والتى تعنى «ذلك الذى هو أعلا». وكل هذه المسميات الثلاثة ترتبط بشئ ما أعظم، بشئ ما أعلا. فهناك عملية صعود إلى أعلا تتضمنها هذه المسميات، ويمكن ربطها بالتنِّين، والرعود، والسحاب وبالشمس والقمر وبالنجوم وهلم جراً. إنها ترتبط بذلك الشئ «الأعلى»، الأسمى، وبالنمط الكونى الأعظم.

هذا كان أمرا بالغ الصعوبة لبادماسمباهافا أن يتعامل مع هذا الوضع. لقد

كان أمرا مستحيلاً أن يتم التعامل مع ذلك من خلال المنطق، لأن حكمة وتقاليد مذهب البيون كانت شديدة الغور، بل بالغة العمق. فإذا كان على بادماسمباهافا أن يتحدى أنصار البيون هؤلاء باستخدام المنطق، فإن المدخل الوحيد الذى كان عليه أن يتبعه هو أن يكون قد قال إن الأرض والسماء وحدة واحدة، وأن السماء على هذا النحو لا توجد. لأن السماء والأرض تعتمد كل منهما على الأخرى. ولكن ذلك منطق مهتز جداً، لأن كل امرئ يعلم أن هناك الأرض، وأن هناك السماء، وأن هناك الجبال، والنجوم والشمس والقمر. وأنه لا يمكنك تحدى هؤلاء بالقول بأنه ليس هناك أرض، ولا جبال، وأنه ليس هناك شمس ولا قمر، ولا سماء، ولا نجوم.

إن الفلسفة الأساسية للبيون قوية جداً. وهى تشبه إلى حد بعيد مداخل الهنود الأمريكيين، والشنتو، أو التاوية بالنسبة للسلامة الكونية. والأمر بأسره عبارة عن مدخل سليم بطريقة غير عادية. ولكن هناك مشكلة. أنها أيضا ترتبط بشدة وتتركز على الشق السلالى فى المدخل. فالعالم قد تم خلقه للكائنات الحية، فالحيوانات تشكل الوجبة الغذائية التالية للبشر. وجلودها هى ما يلبسه البشر فى المرحلة القادمة. والمدخل الانثروبولوجى أو السلالى ينقصه السلامة الأساسية - فهو لا يستطيع أن يحترم الأساس الاستمرارى للوعى الضميرى. وبناءً على ذلك، فإن عقيدة «البيون» تصف تضحية الحيوان للتشينى، أو الإله العظيم. وهنا مرة أخرى نجد تشابها مع الهنود الأمريكيين، ومع النظرة التى تتسم بها ديانة الشنتو، التى تتخذ البشر كصلب للكون. وتبعاً لتلك النظرة العامية، فإن الحشائش والشجر، والحيوانات المفترسة، والشمس والقمر خلقت لخدمة البشر. فالنظام بكامله مبنى على الوجود البشرى. وهذه هى المشكلة الكبرى.

إن البوذية ليست مدخلاً وطنياً دينياً. فالعقائد أو الديانات الوطنية تميل إلى أن تكون مؤمنة بوجود إله أو آلهة. وعلينا أن نتذكر أن المسيحية ورثت مدخلها الإلهى من اليهودية، واليهودية، والشنتوية والهندوسية وكثير من الديانات الأخرى من أحزابهم هى ديانات ذات طابع وطنى، وهى الأخرى تؤمن بوجود

إله. ولهـذه الديانات شعـور خـاص بالعـلاقـة القـائمـة بين «هذا»، و«ذلك»، الأرض، والسـمـاء. والمدخل الذى لا يؤمن بوجـود الإله هو مـدخل صـعب تقـديمه فى بلد بدائى يعتقد سلفاً فى ديانة إلهية. فالطريق الذى يرتبط به أناس ذلك القطر ببقائهم الأساسى يحتوى سلفاً على شعور بالأرض بالنسبة للسماء العليا. وشعورهم بالنسبة للعبادة يكون متطورا من قبل.

إن المبشرين الجزويت والكاثوليك قد قاموا حديثا بتطوير طريقة يقولون فيها للناس البدائيين، «نعم، إن آلهتكم تعيش بالفعل، هذا حقيقى، ولكن إلهى اكثـر حكمـة عن إلهك. لأنه كلىُّ الوجـود، وهكذا - الفـائق القـدرة وما إلى ذلك». لكن البوذية تواجه مشكلة مختلفةً تماماً. فليس هناك محل للنقاش بين إلهك وإلهى. أنت لك إلهك، ولكننى ليس عندى إله. لذلك فـإننى نوع من الأمـور المعلقـة هناك. فليس لدى عـوض عن ذلك. فـأين العظمـة أو القـوة فى مدخلى هذا؟ ليس لدى ما أعوِّض به. والشئ الوحيد الذى أعوِّض به هو الحكمة المجنونة - فالعقل شديد القوة، وكلنا لدينا العقل، بما فى ذلك الحيوانات. كل امـرئ له عـقل. ولا يهم أن يكون الحـديث «عنه» أو «عنهم»، أو «عنهم»، أو «عنه» أو أى إمرئ آخر.

إن حـالة عـقل أى امرئ قوية جداً. انها يمكن أن تتـخيل تدميـر بعض الأشـياء. ثم تقـوم بتدمـيرها. إنهـا يمكن أن تتـخيل ابتداع شئ ما ثم تقوم بابتداعه. وكيفـما تنوى فى نطاق العقل، فإنه يحدث. تخيل عدوك. إنك تود تدمير عدوك، وأنت تقوم بتطوير كافة أنوع التكتيكات للقيام بذلك. إن لديك خيالاً لا نهائى حول تناول مسألة تدمير هذا العدو. تخيل صديقك. إن لديك آمالاً لا نهاية لها حول كيفية الاتصال بصديقك، وحول كيفية جعله أو جعلها تشعر بالسعادة، أو تشعر بشعور أحسن أو يصبح أكثر غنىً.

وذلك هو السـبب الذى من أجله بنينا هذه المنازل والطريق، وصنعنا هذه الأسِرَّة والبطانيات. وهو السـبب الذى جعلنا نوفر هذا الطعام، وفكرنا فى كل أنواع الأطباق. لقد فعلنا كل ذلك لكى نبرهن لأنفسنا أننا نعيش بالفعل. وهذا

هو نوع من المداخل الإنسانية. إن المرء يعيش، وذكاؤه يعيش. وهذا وضع لا يعترف بالألوهية كلية.

إن المدخل الذى اتبعه بادماسمباهافا فى السحر كان فى هذا المستوى الذى لا يعترف بالألوهية. إن البرق يحدث لأنه يحدث بالفعل، وليس بالأحرى لأن هناك أى سبب لماذا؟، أو من؟، أو ما الذى اشترك فى هذا؟ إنه يحدث بالفعل والأزهار تتفتح لأن ذلك يحدث، إن الأمر كذلك. ولا نستطيع أن نجادل بأنه ليست هناك أزهار، ولا نستطيع أن نجادل بأنه ليس هناك ثلج قد سقط. إن الأمر كذلك. إنه يحدث. إنه أتى من هناك، من السماء، ولكن ماذا؟! ماذا تريد أن تصنع هناك؟.

إن كل شئ يحدث على هذا السطح، على هذا السطح الدنيوى. كل شئ يحدث على مستوى مستقيم تماماً، وعلى وجه البسيطة. لذلك فإن الحكمة المجنونة لدورجى ترولاو - تبدأ فى التطور. إنها طاغية القوة بشكل غير عادى. إنها قوية على مستوى حوض المطبخ - وهذا هو وجه الضيق بصددها. وحقيقة الأمر. فإن ذلك هو وجه القوة. إنها تبث الرعب فى كل فرد - إنها موجودة فعلاً هناك.

لقد قدم دورجى ترولاو إلى التبت راكبا أنثى النمر الحامل. إن أنثى النمر كانت كهربية. إنها الكهرباء الحامل. ولكنها كانت إلى درجة ما مستأنسة. ولكنها كانت لديها فى ذات الوقت القدرة على أن تصير متوحشة. ان دورجى ترولاو لم يكن يعرف شيئا عن المنطق. وفيما يتعلق بدورجى ترولاو، فإن المنطق الوحيد المعتاد هناك كان يرتبط مع السماء والأرض. لأن السماء تشكل نفسها على شكلها المخصوص، والأفق موجود. هناك اتساع الفضاء، السماء، وهنا إتساع الأرض. إنها والسماء متسعتين، ولكن حسنا، ثم ماذا؟ هل تود أن تصنع شيئاً ذا بال من هذا الاتساع؟ مع من تود المنافسة؟ هناك هذا الاتساع، ولكن لماذا لا تأخذ فى الحسبان أيضا الأشياء الأصغر حجما، والتى تحدث هى الأخرى؟ ألا

تحمل تهديداً اكبر؟ إن ذرة الرمل اكثر تهديداً عن اتساع الصحراء، بسبب تركزها، إنها قابلة للانفجار بشكل بالغ وهنا نكتة كونية نكتة كونية ضخمة.

تحمل كل أسباب القوة.

وحين انتشرت الحكمة المجنونة لدورجي ترولاو، فقد قام بتطوير مدخل للاتصال مع الأجيال المقبلة. وبالنسبة للعديد من كتاباته، فقد كان يظن، «أن هذه الكلمات ربما لم تكن مهمة عند هذه النقطة، ولكنني سوف أدونها وأدفنها في جبال التبت». وقد فعل ذلك. وكان يظن، «أن شخصا سوف يكتشفها فيما بعد، وسوف يجدها تهز العقل بطريقة غير عادية. فلنعطها الوقت الكافي إذن» لقد كان ذلك مدخلاً فريداً في نوعه. إن العلماء الروحانيين في أيامنا هذه يفكرون جديا في ضوء الأثر الذى يمكن أن تحدثه الآن. ولكنهم لا يأخذون في الاعتبار ما يمكن أن تحدثه من أثر قوى في المستقبل. لكن دورجي ترولاو كان يعتقد، «إنني إذا تركت مثالاً عن تعاليمي من بعدى، وحتى ولو لم يمارس أجيال المستقبل نهجى، فإن مجرد سماع كلماتي وحدها ربما سببت قنبلة ذرية روحانية، تنفجر في مستقبل الأيام» ومثل هذه الفكرة لم يسمع عنها من قبل.

إنها شئ مفعم بالقوة.

ان القوة الروحانية لپادماسمباهافا كما وردت في تظاهراته، وكما يعتبر دورجي ترولاو رسولاً مباشرا والذى لم يعد يعلم عن أى موضوع. فهى تحدث بالفعل. وليس هناك محل للتأويل والتفسير. ليس هناك محل لأن نصنع بيتاً من ذلك. فهناك مجرد طاقة روحية تمضى إلى الأمام، ولها ديناميكية حقيقية فإذا شوهت صورتها فسوف يلحقك الدمار في الحال. وإذا كنت قادراً فعلاً على رؤيتها، إذن فأنت على صواب معها. إنها لا تتسم بالشفقة، وفي نفس الوقت فإنها مفعمة بالعاطفة، لأنها تضم كل هذه االطاقة فيها. إن الزهو بأن تكون في حالة الحكمة المجنونة شئ هائل. ولكن هناك صفة الحب تكتنفها كذلك.

هل يمكنك أن تتخيل أن يصيبك الحب والكراهية في نفس الوقت؟ ففي الحكمة المجنونة، فإننا تصيبنا المحبة والحكمة في نفس الوقت، دون أن تكون

هناك فرصة لتحليلهما. فليس هناك وقت للتفكير، وليس هناك وقت لفرز الأشياء على الإطلاق. إنها هناك، ولكن فى نفس الوقت انها ليست هناك. وفى نفس الوقت أيضا إنها نكتة كبيرة.

طالب : هل تتطلب الحكمة المجنونة أن ترفع من مستوى طاقتك؟

ترونجبارينبوكى : لا أعتقد ذلك، لأن الطاقة يستدعى وجودها الموقف نفسه. وبمعنى آخر، فإن الطريق العمومى هو الطاقة، وليس قيادتك السيارة بسرعة. فالطريق العمومى يفترض أنك تقود مسرعاً، والطاقة التى تخلق نفسها تكون هناك.

طالب : ألا يعتريك القلق بالنسبة للسيارة؟

تروجبا : لا.

طالب : هل تطورت الحكمة المجنونة مع خط انتساب بخلاف خط انتساب نينيجما؟

ترونجبارينبوكى : لا أعتقد ذلك، فهناك أيضا خط نسب مهامودرا، والتى بنيت على شعور من الدقة والتحديد. ولكن خط الحكمة المجنونة التى تلقيتها من معلمى الروحى تبدو أنها تمتلك قدرة وطاقة أكبر. انها على نحو ما غير منطقية - وبعض الناس ربما وجدوا االشعور بأنهم لا يعرفون كيف يرتبطون معها أمراً يهددهم. ويبدو أنها ترتبط مع تقاليد النيينجما ومع خط نسب مها - آتى فقط.

طالب : ماذا كان اسم جانب بادماسمباهافا قبل دورجى ترولاو؟

ترونجبارينبوكى: نييما أوسر، «القابض على الشمس»

طالب: هل كان ذلك حينما كان مع مانداراقا؟

ترونجبا: لا، إنه كان يسمى حينئذ لودن شوكس، وفى هيئته التصويرية، كان يبدو مرتديا عمامة بيضاء.

طالب: هل هناك أية نواحى ضبط أو قواعد سلوكية ترتبط بالحكمة المجنونة؟

ترونجبارينبوكى: بخلاف هى ذاتها، لا يبدو أن هناك أى شئ، مجرد أن تكون هى فى حد ذاتها.

طالب: أليست هناك خطوط إرشادية؟

ترونجبا: ليس هناك كتاب مرجعى لكى يكون الإنسان شخصا ملتزما بالحكمة المجنونة، ولكن لا ضرر من قراءة بعض الكتب. ولكن ما لم يكن بمقدورك أن تحوز على بعض التجارب الخاصة بالحكمة المجنونة أنت نفسك من خلال الاتصال بخط النسب مع الحكمة المجنونة مع شخص يكون مجنونا وعاقلاً فى نفس الوقت - فإنك لن تستطيع أن تستفيد كثيرا من الكتب بمفردها. إن الكثير حقاً يعتمد على رسالة النسب، استناداً على واقع أن بعض الناس قد ورثوا سلفاً بعض الشئ. ودون حدوث ذلك، فإن الأمر برمته يصبح أمراً أسطوريا. ولكن إذا حدث ورأيت أن شخصاً، يمتلك بعض عناصر الحكمة المجنونة، فإن ذلك سوف يمدك بتأكيدات معينة، تكون ذات فائدة فى هذه النقطة.

طالب: هل لك أن تذكر واحدة من القنابل الروحية الموقوته، بخلاف خط النسب بذاته، والذى تركه لنا بادماسمباهافا كوصية وكتعاليم، والتى لها صلة بالعالم الذى نعيشه الآن؟

ترونجبارينبوكى: يمكن ان نقول أن هذه الندوة هى واحدة منها. فإذا لم نكن مهتمين ببادسمباهافا، لما كنا هنا. لقد خلف لنا وصيته، ترك لنا شخصيته، ولهذا نحن هنا.

طالب: لقد ذكرت بعض الصعوبات التى واجهها بادماسمباهافا فى تقديم «الدارما» لأهل التبت. وعلى الخصوص من أن أهل التبت كانوا ممن يؤمنون بوجود إله فى حين أن البوذية لا تؤمن بالإله. وما هى تلك الصعوبات التى واجهها فى تقديم الدارما للأمريكيين؟.

ترونجبارينبوكى: أعتقد أنها نفس الشئ. إن الأمريكيين (الهنود) يعبدون آلهة

الشمس والمياه وآلهة الجبال - ولا يزالون يفعلون ذلك. وهذا مدخل فطرى جداً. وبعض الأمريكيين يعيدون اكتشاف إرثهم. ولدينا أناس يذهبون فى رحلات للأمريكيين الهنود. وهى رحلات جميلة، بيد أن المعلومات التى استقيناها عنها ليست دقيقة على الإطلاق. إن الأمريكيين ينظرون إلى أنفسهم باعتبارهم مهذبين وعلميين، وأنهم خبراء فى التربية فى كل مجال. ولكننا لا نزاال حتى الآن على مستوى ثقافة القردة. ويعتبر مدخل بادماسمباهافا فى الحكمة المجنونة ثقافة إضافية نضيفها إلى أنفسنا - ويمكن أن نصبح قردة على أعلى من مستوى الإدراك.

طالب: هل لك أن تقول لنا المزيد حول االڤاچرا برايد؟

ترونجبا رينبوكى: الڤاچرا برايد هى الشعور بأن السلامة الأساسية توجد بالفعل فى حياتنا، لذلك فلسنا مطالبين بالسعى لا يجادها منطقيا. ولسنا مطالبين كذلك بإثبات أن شيئا ما يحدث أو لا يحدث، وعدم القناعة الأساسى الذى يجعلنا نبحث عن التفهم الروحانى هو تعبير عن الڤاچرا برايد: بمعنى أننا لسنا راغبين فى الخضوع للضغط الذى يسببه اضطرابنا. إننا راغبون أن نرفع رقابنا إلى أعلى. ويبدو أن هذا تعبير أول عن غريزة الڤاچرا برايد، ويمكن أن ننطلق من هناك.

طالب: إن هناك جانبين من جوانب بادماسمباهافا يبدوان متناقضين. فقد سمح بادماسمباهافا للاضطراب الذى أصاب الملك أن يبدو مظهره ثم ينقلب على نفسه، وعلى ذلك فإنه لم يسمح بالاضطراب الذى أصاب االخمسمائة حكيم أن يظهر (إذا أردت أن تسمى الثنائية اضطرابا). إنه قام ببساطة بتدميرهم بهجوم ساحق. هل يمكن أن نعلق على هذا؟

ترونجبارينبوكى: يبدو أن الحكماء كانوا أناساً بسطاء، لأنهم لم يكن لهم أية صلة بمشكلات مستوى حوض المطبخ فى الحياة. إنهم كانوا ببساطة قد نجحوا

فى عرض أنفسهم ومن يكونون. وعلى ذلك وطبقا للقصة، فإن الطريقة الوحيدة للاتصال بهم كانت عن طريق تزويدهم بخبرة الهجوم الساحق - الضغط المفاجئ أو الصدمة، وأى شئ آخر كان يمكن اعادة تفسيره إلى شئ آخر، ولو كان هؤلاء الحكماء فى وضع الملك لكان موقفهم اكثر تصلباً فى تمسكهم الشديد بالمبادئ الجامدة. وأكثر من ذلك فقد كان من الضرورى لهم أن يتحققوا من عدم وجود أنفسهم والبراهما. لذلك فإنهم تلقوا الخبرة عن مصيبة نجمت ليس عن طريق البراهما، ولكن عن طريقهم هم. وهذا تركهم فى وضع لا يؤمن بالآلهة: فهم أنفسهم كانوا كل ما كان موجودا هناك. ولم يكن هناك أية إمكانية لإلقاء اللوم على الذات الإلهية، أو على براهما أو على أيٍ من كان.

نأمل أن تكونوا قد حزتم على لمحة على الأقل عن بادماسمباهافا وجوانب تعاليمه. وطبقاً للتقاليد، فهناك ثلاثة طرق يمكن بها الحديث عن حياة بادماسمباهافا: الجانب الخارجى الواقعى، والجانب الداخلى السيكلوچى، ثم الطريق السرى الأعلى. الذى هو عبارة عن مدخل الحكمة المجنونة. ولقد ركزنا على الطريقة السرية مع إدخال بعض العناصر من الجانبين الآخرين.

وعلى سبيل التمحيص، فإنه من المستحسن مناقشة كيف يمكن لنا الارتباط مع بادماسمباهافا. وهنا نعتبر بادماسمباهافا كمبدأ كونى، وليس بالأحرى شخصية تاريخية، أو قديس هندى. وتظهر بصفة مستمرة عدة ظواهر مختلفة لهذا المبدأ: بادماسمباهافا هو شاكيا سنجى، وهونييما آوسراليوجا، وهوأمر بيماجياليو، وهو اليوچا المجنون دورچى ترولاو وهندا. ويتضمن مبدأ پادسمباهافا كل عنصر بشكل جانبا من العالم المستنير.

ومن بين تلامذتى يوجد مدخل معين للتعاليم يبدو أنه قد بدأ يتطور. وبصدد البداية، تكون قد تبنينا موقفاً من مواقف انعدام الثقة: انعدام الثقة تجاه أنفسنا، وكذلك تجاه التعاليم والمعلم - تجاه الموقف برمته فى الحقيقة. إننا نشعر بأن كل شىء ينبغى أخذه مع حبة من الملح، وإنه ينبغى علينا أن نفحص ونعتبر كل شىء بدقة وإمعان للتأكد من أنه ذهب أصيل. وحين نتبع هذا المدخل، فإنه ينبغى أن نطور شعورنا بالأمانة، وينبغى علينا أن ننفذ إلى خداع أنفسنا التى تلعب دوراً هاماً. وليس باستطاعتنا إقامة الروحانية دون التغلغل فى المادية الروحانية.

وحين نكون قد أعددنا سلفاً القاعدة الأساسية بمساعدة هذه الحالة من انعدام الثقة، فقد يكون قد آن الأوان لتغير السرعة وأن نحاول العمل فى المدخل المضاد. وحين نكون قد طورنا عملية ضبط النفس بنظام الفاچرا، وغرسنا طبيعة الفاچرا، فإنه يمكننا أن ندرك ماهية الروحانية، وسوف نجد أن الروحانية أمر عادى تماماً. إنها طبيعية بشكل عادى، ومع ذلك فإنه يمكننا الحديث عنها على

أنها غير عادية، والحقيقة هى أنها أكثر الأمور اتساماً بالعادية.

ولكى نرتبط بذلك، فقد يتوجب علينا أن نغير من نمطنا. وتكون الخطوة التالية هو تطوير التفانى واليقين. فلايمكننا الارتباط مع مبدأ بادماسمباهافا إلا بتوافر نوع من الدفء. فإذا توغلنا خلال الخداع كليةً وبأمانة، فإن موقفا إيجابياً سوف يبدأ فى التطور. ونكتسب بالتالى تفهماً إيجابيا بالنسبة لأنفسنا وكذلك الحال بالنسبة للتعاليم والمعلم. ومن أجل العمل فى تناسق ولياقة أوما يسمى «أديشتانا» طبقا لتعاليم بادماسمباهافا، بالتوافق مع هذا المبدأ الكونى للسلامة الأساسية، فإنه ينبغى أن نعمل على تطوير نوع من الرومانسية. وهذا أمر هام كذلك يمثل أهمية مدخل ضبط النفس الذى كنا نتبعه حتى الآن.

وهناك نوعان من هذا المدخل الرومانسى، أو «الباكتى» أحدهما ينبنى على شعور بالفقر. شعورك بأنك لاتحوز الشىء فى حين أن الآخرين يحوزونه. فأنت تعجب بهذا الثراء الذى مع «ذلك»: الهدف، والمعلم الروحى، والتعاليم. وهذا مدخل يتعلق بالفقر - فأنت تشعر بأن هذه الأشياء الأخرى رائعة الحسن لأنك لا تحوز ما يحوزونه. إنه مدخل مادى - إنه مدخل المادية الروحانية وهو ينبنى على أن ليس هناك وفرة السلامة فى المقام الأول، وعدم وجود وفرة فى الشعور بالثقة والثراء.

أما النوع الثانى من المدخل الرومانسى فهو ينبى على أنك تحوز الشىء بالفعل. إنه موجود سلفاً. وأنت لايأخذك الإعجاب به لأنه فى حيازة شخص آخر، وأنه فى مكان ما بعيداً عنك. بل لأنه قريب منك ، إنه فى قلبك. إنه شعور بالإعزاز والتقدير لما تكونه أنت. إن لديك من الوفرة بمثل ما لدى المعلم منه. وأنت فى طريق «الدارما» أنت نفسك، لذلك فأنت لست بحاجة للنظر إلى الدارما من الخارج. إن هذا مدخل سليم، إنه مدخل ثرى من أساسه، وليس هناك شعور بالفقر كليةً.

ان هذا النموذج من الرومانسية أمر مهم. إنها أقوى لأشياء على الإطلاق: فهى تتوغل خلال عملية ضبط النفس كفضيلة، والتى توجد من أجل

نفسها فقط، من أجل حماية ذاتها. إن هذا النموذج ينفذ من خلال لعبة ضبط الذات ويقوم بتطوير نوع من الزهور والفخار - زهو الڤاچرا كما يسمونها. وهناك شعور بالجمال، وحتى بالحب والنور. وبدون ذلك، فإن الارتباط مع مبدأ بادماسمباهافا هو مجرد رؤية إلى حد يكون عمق نفاذك فى تجربتك السيكلوچية. ويبقى الأمر أسطورة، بعض الشيء الذى تفتقد حيازته، لذلك يبدو الأمر مثيراً للاهتمام، ولكنه لا يتحول إلى الصفة الشخصية. إن التفانى أو العاطفة هو الطريق الوحيد للارتباط مع نعمة الاديشتانا، أو بركات بادماسمباهافا.

ويبدو أن كثيراً من الناس يجدون أسلوبا متشككاً وساخراً حتى أصحبنا فى حالة يرثى لها من شدة الضيق. وخصوصا أولئك الناس الذين يواجهون منظرنا للمرة الأولى فسوف يقولون ذلك. فليس هناك شعور بالقابلية فالناس يجرى النظر اليهم من أعلى. وربما كانت هذه طريقة أمينة جداً لكى ترتبط بالشخص «الآخر» الذى هو أنت كذلك. ولكن عند نقطة ما فإن بعض الدفء ينبغى أن يتم تطويره بالإضافة إلى حالة البرودة. وليس عليك بالضبط أن تغير من درجة الحرارة - فالبرودة المكثفة هى الدفء - ولكن هناك عملية تحويل يمكن لنا أن ننجزها. وهذا التحويل يكمن فقط فى تصورنا الذهنى وفى المنطق. وفى الحقيقة فإنه ليست هناك عملية تحويل على الإطلاق. ولكن علينا أن نعثر على طريقة لوضع ذلك فى كلمات. إن مانتحدث عنه دافئ بطريقة تدعو إلى الضيق، وهو قوى إلى درجة كبيرة، كما أنه يتمتع بالجاذبية.

لذلك فإن مناقشاتنا حول بادماسمباهافا تبدو بمثابة نقطة تحول فى جغرافية رحلتنا معا: لقد آن الأوان لبدء هذا المدخل الرومانسى، وليس المدخل المادى الرومانسى.

إن ندوتنا هنا قد حدثت بمحض الصدفة، ولو أنها تضمنت بعض النواحى التنظمية وإعداد بعض الترتيبات. ولكن تظل أنها تمت بمحض الصدفة. إنها صدفة عزيزة جداً، أننا تمكنا من مناقشة مثل هذا الموضوع، موضوع حياة

بادماسمباهافا. وذلك أن فرصة مناقشة مثل هذا الموضوع نادرة جداً، وفريدة، وثمينة جدا، لكن مثل هذا الوضع النادر الحدوث والثمين يمضى بصفة مستمرة. ذلك أن حياتنا كجزء من التعاليم عالية بشكل فائق. فكل امرىء جاء هنا بمحض الصدفة، وطالما إنها صدفة فإنه لايتنسى تكرارها. ومن هنا فهى ثمينة. ولهذا السبب فإن الدارما ثمينة. كل شىء يصبح ثمينا، وتصبح الحياة البشرية شيئاً ثميناً.

هناك هذه الصفة النادرة والثمينة لحياتنا البشرية: فكل منا له عقله، وله القدرة على التصور، وله الناحية المادية التى يعمل عليها. ولكل منا مشاكله فى الماضى: مايصيبنا من اكتئاب، لحظات انعدام السلامة، لحظات النضال. كل هذه تشكل شعوراً ما. ولذلك فإن الرحلة تمضى فى طريقها، وتمضى الصدفة فى طريقها - لهذا فنحن هنا. وهذا هو النوع من الرومانسية، هذا النوع من الدفء الذى أتحدث عنه. ويستحق منا الأمر أن تتناول التعاليم بهذه الطريقة. فإذا لم نفعل، فإنه لن يكون بوسعنا الارتباط مع مبدأ بادماسمباهافا.

طالب : هل لك أن تقول لنا شيئا عن كيفية اتصالك بالحكمة المجنونة التى تلقيتها من معلمك الروحى چمچون كوبجتراول من سيشن، إن كانت لديه، وكيف أمكنك ربط هذين المدخلين من الثروة والفقر حينما درست معه؟

تروچبارينبوكى : أعتقد أن طريقتى فى العمل معها كانت شبيهه لطريقة عمل كل فرد آخر. ففى البداية، فإننى شخصيا، كان لدى كثير من الانبهار والإعجاب المبنى على وجة النظر المتعلقة بالفقر. وكذلك كانت الطريقة مثيرة، وذلك بسبب رؤية چمچون كوبجتراول رينبوكى، وليس بالأحرى لمجرد أن أجلس، وأن أستظهر بعض النصوص مع أخذ بعض فترات الراحة. لقد كان مدعاة للسرور والبهجة أن أشاهده، وأن أتصل به، كان ذلك أمر عظيماً.

وهذا كان لايزال مبنيا على من ضربهم الفقر من العقليات، وأن يعالج

المرء بذلك الشيء الذى لايملكه. وكل ما كنت أمتلكه هو كتبى لكى أقرأها ومعلمى لكى يمنحنى قدرا من النظام والإنضباط. وأكثر من ذلك فإن چمچون كونجتراول وما يمتلكه من فهم غير عادى وطاقة روحية، كان بمثابة المثل الذى يجب أن أحتذيه حينما أكبر. وذلك ما كان يقال لى مرات ومرات، وهوما كان ينبنى على أسلوب الفقر والمادية. وبالطبع، فقد أحاطنى رجال الدير بالرعاية. ولكنهم كانوا كذلك يهتمون بالعلاقات مع الجمهور: الشهرة والزهو، والاستنارة.

ولكن عندما أصبحت قريبا من چمچون كونجتراول، فقد أوقفت تدريجيا محاولاتى لجمع بعض الشيء لنفسى لكى يصيبنى بعض الثراء. فشرعت فى التمتع بالحضور معه للمضى قدماً معه. وبعد ذلك استطعت بالفعل أن أشعر بدفئه وثرائه، وأن أكون جزءاً منه أيضا. لذلك يبدو أنك يجب أن تبدأ بالمدخل المادى ثم تتحول تدريجيا إلى مدخل السلامة، ثم إلى التفانى والإخلاص.

أما بالنسبة لچمچون كونجتراول، فإنه كان يمتلك كافة الصفات الخاصة ببادماسمباهافا. وفى بعض الأحيان كان يبدو وكأنه طفل كبير. وذلك كان جانب الأمير الصغير. وبعض الأحيان كان عطوفاً ومعيناً. وبعض الأحيان الأخرى يظهر الهواء القاتم الأسود الذى يجعلك تشعر بأن شيئا ما قد أصبح خاطئاً، ويجعلك تشعر بنوع من جنون الاضطهاد. وكنت فى بعض الأوقات أشعر بأن لى رأسا ضخمة تتدلى، وكانت تصيبنى الحيرة نحوها، لكننى لم اكن أعلم ماذا أفعل.

طالب : هل مرحلة التشاؤم التى غر بها ترجع إلى كوننا أمريكيين؟ وهل لذلك علاقة بالثقافة الأمريكية، أم أن عليها أن تفعل شيئاً حول التعاليم الدينية التى لا علاقة لها بالثقافة؟.

ترونجباربنبوكى: أعتقد أنهما كليهما. إنه بسبب الثقافة الأمريكية، خصوصا بسبب تلك الفترة الخاصة بالتغير الاجتماعى. حينما تم تطوير «سوبرماركت» روحانى. ولذلك فعلينا أن نكون على قدر من الذكاء

للتغلب على عقلية السوبرماركيت وألا نجعلها تبتلعنا.

ومن جة أخرى، فإنه مدخل بوذى تماماً. فيمكنك أن تتصور العثور على هذا النوع من العقلية فى جامعة نالاندا. وكان ناروبا وكافة الحكماء الآخرين - كانوا يوغلون فى قلب كل شىء بعقولهم ذات المنطق العالى. لقد كان أمراً مؤلما حقاً. وهذا المدخل يرتبط بالفكرة البوذية بأن التعاليم تبدأ بالألم والمعاناة. وهذه أول حقيقة نبيلة. إنها طريقة عملية للنظر إلى الأشياء. فليس كافيا مجرد أن نكون سهل التفكير لين العريكة، فهناك بعض الثقل يحتاج اليه المرء، بعض التشاؤم. أو الانضباط. وبمجرد مرور الوقت فإنك سوف تتحدث عن الطريق، وهو الحقيقة النبيلة الرابعة، وسوف تشعر بوجود شىء إيجابى يظهر إلى عالم الوجود. وهو الجانب الاخلاص الذى ينطلق إلى الوجود. لذلك فالأمر عبارة عن تركيبة من عوامل ثقافية وموروثة. ولايزال هو ذلك الطريق الذى يجب سلوكه، وهو يبدأ بهذه الكيفية.

طالب : لقد استخدمت كلمة «عرضيا» فهل من وجة نظرك يتضمن ذلك الإرادة الحرة ؟

ترونجباريبوكى : حسناً إنه كليهما، فالإرادة الحرة هى سبب العرضى، وبدون الإرادة الحرة، فإنه ليس بمقدورك، ولايتسنى حدوث الأمر العارض.

طالب : لقد كنا نتحدث عن طريقة پادماسمبهافا فى الارتباط مع الأناس المضطربين. فهل نعتقد أنه من المناسب أن استخدام وجة نظر بادماسمباهافا فى الارتباط مع أنفسنا، وعلى سبيل المثال هل ينبغى لنا أن ندع تيار المرض العصابى ينساب، وأشياء أخرى من هذا القبيل؟

ترونجباريبوكى : أعتقد أن هذه هى المسألة بكاملها. نعم، إن هناك جانبا من جوانب بادماسمباهافا فى داخلنا. وهناك ميل خاص بألا نتقبل اضطراباتنا الكائنة الآن. وأن نتوغل فيها. فهناك شىء بداخلنا يقول إننا لا نخضع للاضطراب، وهوجانب ثورى.

طالب : هل من المهم أن نحاول تجنب التشاؤم الآن فى مدخلنا لتلك التعاليم ؟.

ترونجبارينبوكى : أعتقد أن التشاؤم يبقى له صفة الدوام، ويصبح تشاؤماً قوياً. إنك لاتستطيع أن تتحكم فيه بإدخاله أو إيقافه، بمثل ما تفعل فى تعبير قنوات التلفزيون. انه يستمر ويبقى هناك، فعلى سبيل المثال، فإنك حين تواجه تعاليم جديدة، أو مستوى أعلى منها ينبغى أن تختبرها بنفس الطريقة التى كنت تتبعها. ولذلك فسوف تحصل على مزيد من المعلومات، وبالتالى تكون ثقتك بها سبيلاً إلى تعضيدها ودعمها.

طالب : هل تظل تعاليم بادماسمباهافا تساير العصر الحالى؟ وهل لا تقتضى التغيرات التاريخية والثقافية تغييراً فى هذه التعاليم ؟

ترونجبارينبوكى : تظل هذه التعاليم مسايرة للعصر الحاضر، لأنها مبنية على الاتصال بالاضطرابات الذهنية. ويبقى اضطرابنا مسايراً للعصر، وإلافانها لاتسبب لنا الاضطراب. كذلك فإن التحقق من الاضطراب يظل معاصراً، لأن الاضطراب يسبب لنا المشاكل ويدفعنا إلى اليقظة وإدراك الاضطراب هو بمثابة التعاليم، لذلك فهو وضع قائم باستمرار. وضع نعيشة ونواجهه دوماً.

طالب : لقد تحدثت فى البداية حول وجود بادماسباهافا فى حالة انعدام القرار والحسم. فهل هذا نفس الشيء كما لو انعدم التفكير تماماً ؟-أنت تعلم -أن العقل لايزال يؤدى دوره ؟

ترونجبارينبوكى : ماذا يكون التفكير ؟. ولكن فى إمكانك أن تفكر دون أن تقوم بالتفكير. فهناك نوع معين من الذكاء يرتبط «بالإجمالية» التى تكون أكثر تحديداً، ولكنها ليست لفظية، وإنها ليست متصورة على الإطلاق. إنها تفكر بأسلوب ما، لكنها لاتستخدم التفكير فى معناه التقليدى.

طالب : هل هو نوع من التفكير لايرتبط بمنهج معين ؟

ترونجبارينبوكى : شيء أكبر من ذلك. إنه التفكير دون وضع منهج له، ولكنه يظل شيئاً أكثر من ذلك. إنه نوع من الذكاء الذى يوجد نفسه بنفسه.

طالب : رينبوكى، حول التفانى، إننى أصبح مبتهجاً حينما أمارس خاصية حياة الدارما. فهناك مثل هذا الابتهاج العظيم، إنه كمن يشعر بوجوده فى وضع علوى. ولكنى حينئذ أجد سقوطاً يعقب هذه التجربة، وهوما يهبط بى إلى نوع من الأرض القاحلة، أو إلى موطن مهجور موحش. لقد كنت أحس أنه كان من الأفضل أن أتجنب هذه المشاعر المتطرفة، لأنها تستدعى دوما وجود المواقف المعاكسة.

تروبجبارينبوكى : أنظر، إذا كان مدخلك هو مدخل الفقر، إذن فإن الأمر يشبه استجداء الطعام، إن لديك الطعام وأنت تستمتع به حين تأكله. ولكن يكون عليك-أن تستجديه مرة أخرى، وخلال فترة الاستجداء الأول والثانى هناك حالة غير مرغوب منها. إنه ذلك النوع من الأشياء، إن الأمر عبارة عن الارتباط بالدراما باعتبارها الشىء «الآخر»، ولكن ليس بالأحرى بالشعور بأنك تملكها وبمجرد أن تتحقق من أن الدارما هى أنت، وأنك أصبحت فيها سلفاً، فإنك لا تشعر بالسعادة والابتهاج بصفة خاصة، فليست هناك سعادة أخرى إضافية، أو أى سمو من أى نوع على الإطلاق. فإذا كنت تشعر بالعلو، إذن فأنت فى مرتبة عالية كل الوقت، ولذلك فليست هناك نقطة مرجعية للمقارنة. وإذا لم تكن فى مكان عال، إذن فأنت عادى بطريقة غير عادية.

طالب : هل لاتتعارضَ فكرتك عن الأمرالعارض مع قانون الكارما، التى تتضمن أن كل شىء له سبب، كما أن له أثراً ؟

تروبجبارينبوكى : إن «العارض» هو الكارما. فموقف الكارما يحدث بطريق المصادفة. إنه يعمل مثل الحجر والصلب حين يتصادمان يحدث الشرر، إن الأحداث تأتى دون توقع، وأية حادثة هى بمثابة حدث فجائى، ولكنها حادثة كارمية. إن الفكرة الأساسية للكارما هى الحدث التحولى الذى ينتمى إلى «النيدانا» الاثنى عشرة. والتى تبدأ بالجهل، مع عملية صانع الفخار. إن هذا الحدث التحولى الذى يبدأ بالجهل هو الحدث العارض.

الحكمة المجنونة - الندوة رقم ٢

كارمى - تشاولنج ١٩٧٢

بادما سمباهافا وطاقة التانترا

سوف نناقش فى هذه الندوة قديس التبت البوذى العظيم بادماسمباهافا. ولقد كان بادماسمباهافا عالم اليوجا الهندى العظيم والڤيديادارا الذى أدخل التعاليم البوذية الكاملة إلى التبت، بما فى ذلك الڤچرايانا، أو التانترا. أما بالنسبة للتواريخ والتفاصيل التاريخية، فإننا لسنا على يقين من ذلك. فمن المفترض أن بادماسمباهافا يكون قد ولد بعد وفاة بوذا باثنى عشر عاماً. واستمر فى الحياة وذهب إلى التبت فى القرن الثامن لنشر مبادئ البودهارما هناك. إن مدخلنا هنا من ناحية التتابع الزمنى ليس منهجيا تماماً. لأن أولئك من بينكم الذين يهتمون بالتواريخ والحقائق التاريخية والأشخاص، فإننى أخشى ألا أقدم البيانات المضبوطة. وعلى أية حال، فإن إيحاءات بادماسمباهافا، كيفما كان مسناً أم شاباً فإنها لا تزال صحيحة حتى الآن.

ودون أن ندرس حياة وأفعال بادماسمباهافا طبقاً للمنهج التتابعى التاريخى، فإننا سوف نسعى لمناقشة المعنى الأساسى لمبادئه، فإذا أردتم ذلك - الصفات الأساسية لحياة بادماسمباهافا حسبما ارتبطت مع مستهل تعاليم الڤاچرايانا فى التبت. وربما أطلقنا على ذلك مبدأ البادماسمباهافا. ولقد فتح مبدأ بادماسمباهافا عقول ملايين البشر فى التبت، وهى تفتح أذهان الناس فى هذا البلد وفى بقية أنحاد العالم لهذا الأمر.

لقد كان عمل بادماسمباهافا فى التبت هوإدخال تعاليم بوذا هناك بالاتصال مع برابرة التبت. وكان أهل التبت فى تلك الأيام يؤمنون بنفس، وبسلطة عليا خارج النفس، والتى عرفوها بأنها الإله. وكان دور بادماسمباهافا هو تدمير هذه المعتقدات. وكان مدخله لذلك: إذا لم لكن هناك اعتقاد فى النفس، إذن فليس هناك اعتقاد فى الإله - وهو مدخل لا يؤمن بوجود إله تماماً. وكان عليه أن يدمر هذه القلاع الرملية غير الموجودة التى بنيناها. لذلك فإن مغزى بادماسمباهافا يرتبط بتدمير هذه المعتقدات الخادعة. وكان دخوله إلى

التبت يعنى تدمير هذه الكيانات الروحية الخادعة التى تؤمن بوجود إله، والتى كانت قائمة فى ذلك البعد. لقد قدم بادماسمباهافا إلى التبت وأدخل فيها البوذية. وأثناء قيامه بإدخالها فقد اكتشف أنه ليس عليه فقط أن يدمر المعتقدات البدائية لأهل البلد، وإنما عليه أيضا أن يرفع مستوى وعيهم فى ذات الوقت. ولذلك فإنه بتقديم مبدأ بادماسمباهافا هنا، فإن علينا أيضا أن نرتبط مع نفس المشكلات الأساسية لتدمير ما يجب أن ندمره، وأن نغرس ما ينبغى غرسه.

وبدايةً، فإن علينا تدمير بعض أفكار خاطئة ترتبط مع القداسة، والروحانية، والطيبة، والسماء، والألوهية، وهكذا. وما يجعل هذه الأفكار خاطئة هو الاعتقاد فى النفس فى «الأنا» أو التراث. وهذا الاعتقاد يجعل الأمر بهذه الكيفية، مما يجعلنى أمارس الطيبة والصلاح، وعلى ذلك فإن هذا الصلاح وتلك الطيبة تنفصل عن نفسي، أو أنها تتضمن نوعاً من العلاقة تعتمد فيها الطيبة علىّ، كما أننى أعتمد على الطيبة أيضا. وعلى ذلك فإنه من الوجهة الأساسية [طالما لا هذا ولا ذاك يعيش من تلقاء نفسه] فليس هناك شئ يمكن البناء فوقه على الإطلاق. وبهذا المدخل الذى يعتمد على «الأنا» يمكن الوصول إلى نتيجة نظراً لوجود عوامل أخرى تبرهن على أن النتيجة هى كذلك. ومن هذه الزاوية فإننا نبنى قلاعاً من الرمال أو نقدم بناء قلاع على كتلة من الجليد.

وطبقاً للنظرة البوذية، فإن «الأنا» أو الذات، ليست موجودة. إنها لا توجد فى أى عوامل محددة أو حقيقية على الإطلاق. فهى مبنيه فقط على الاعتقاد أو افتراض أنه طالما أننى أسمى نفسى كذا وكذا، لذلك فأنا موجود. وإذا لم أعرف اسمى، إذ ليس هناك كيان لا ينبنى عليه الشئ برمته. والطريقة التى يعمل بها هذا المعتقد البدائى هو الاعتقاد فى «ذلك»، الآخر، الذى يجلب «هذا»، النفس. فإذا كان «ذلك» موجوداً فإن «هذا» ينبغى أن يكون موجوداً هو الآخر: إننى اعتقد فى «ذلك» لأننى أحتاج نقطة مرجعية لوجودى نفسى، من أجل «هذا».

فبالنسبة للمدخل التانترى، أو الفاچرايانا الذى أدخله بادماسمباهاڤا إلى التبت، فإن وجودى بالارتباط مع الآخرين الموجودين ينبنى على بعض الطاقة. إنه مؤسس على بعض الشعور بالفهم، والذى يمكن أن يكون بالتساوى شيئاً من الشعور بعدم الفهم.

وحين نسأل أنفسنا «من أنت، وماذا تكون؟» ونجيب «أنا كذا وكذا»، فإن تاكيداتنا تنبنى على وضع شئ ما لهذا السؤال الفارغ. إن السؤال يكون بمثابة الوعاء الذى نضع فيه بعض الأشياء لكى نجعله وعاءً صالحاً مناسباً. وهناك بعض الطاقة بين المرحلتين، مرحلة ولادة السؤال، والوصول إلى الجوانب. وهناك عملية نشاط تتولد فى نفس الوقت. والنشاط الذى يتولد بين السؤال والجواب يرتبط إما بالحقيقة الكاملة، وإما بالزيف الكامل. ومن الغريب حقاً، ألاّ يتعارض هذان الاثنان معاً. فالحقيقة الكاملة والزيف الكامل يكونان فى نفس المعنى شئ واحد. إنهما يقدمان معنىً واحداً فى وقت واحد. فالحقيقة زائفة، والزيف حقيقة. وهذا النوع من النشاط الذى يستمر دوماً يسمى التانترا. ولأنه لا يهم هنا أى شئ بالنسبة لمشكلات المنطق حول الحقيقة والزيف، فإن حالة العقل المرتبطة مع هذا الوضع تسمى بالحكمة المجنونة.

وما أود قوله هو أن عقولنّا تكون دوما وبصفة كاملة مثبتة بالارتباط مع الأشياء سواء بنعم أو لا، نعم، بمعنى الوجود، ولا، بمعنى عدم الموافقة على هذا الوجودد. لذلك فإن إطار عقلنا يستمر طول الوقت بين هذين الموقفين.

فنعم تنبنى بالضبط على نفس المعنى بالنسبة للنقطة المرجعية مثل النفس.

وعلى ذلك فإن إطار العمل لأساسى للعقل ينطوى على شعور بنقطة مرجعية تمضى فى طريقها باستمرار. وما يعنيه هذا بالنسبة لارتباطنا بمبدأ بادماسمباهاڤا هو أنه ليس علينا أن ننفى تجاربنا المتعلقة بمادياتنا، أو مادياتنا الروحية. وليس علينا أن ننفى هذه التجارب باعتبارها أشياء سيئة. ولا أن نؤكدها باعتبارها أشياء حسنة، ويمكننا أن نرتبط بمولد الأشيء المتواكب كما هى

عليه (٢).

وهذا يكون له معناه، نظراً لأن ما نحاول أن نفعله طول الوقت هو النضال على هذه الأرض، أو أرض المعـركـة. إننا نناضل ذلك الذى يتـملك أرض المعركة، سواء كانت أرض المعركة هذه تخص المهاجمين أو المدافعين، وهكذا. ولكن فى كل هذا الوضع، فليس هناك من ناقش حقاً أن تكون أرض المعركة فى حد ذاتها موجودة أم لا. وما نقوله هنا هو أن هذه الأرض، أو أرض المعركة هى موجودة بالفعل. ونفنا أو تأكيد أننا بالنسبة لكون هذه الأرض تخصنا، أوتخص الآخرين لا يعنى أى اختلاف على وجه الإطلاق. فنحن طيلة الوقت الذى نؤكد فيه أوننفى، فإننا واقفون على هذه الأرض، على أيه حال. فهذه الأرض التى نقف عليها هى مكان الميلاد. كما أنها مكان الوفاة فى آن واحد. وهذا يمدنا ببعض الشعور بالصلابة طبقا لمبدأ بادماسمباهافا.

إننا نتحدث عن طاقة خاصة هى التى تسمح للتعاليم أن تتحول إلينا من جانب مبدأ بادماسمباهافا. إن مبدأبادماسمباهافا لا ينتمى إلى الشر، ولا إلى الطيبة ، إنه لا ينتمى لا إلى نعم، ولا إلى لا. إنه مبدأ يسعى إلى إراحة وتسكين كل شىء موجود فى مواقف حياتنا مع بعضها البعض. ولأن هذا النشاط موجود فى مواقف حياتنا، فإن مبدأ بادماسمباهافا صار بمقدوره أن يجلب البوداهارماً إلى التبت. وبمعنى ما فإن المعتقدات التى تؤمن بوجود إله، والتى كانت موجودة فى التبت - الاعتقاد فى النفس، والإله منفصلين، وفكرة محاولة الوصول إلى نطاقات أعلى-كان ينبغى تدميرها. وهذه المعتقدات البدائية كان لابد من تدميرها، تماماً كما نعمل الآن. هذه المتعقدات البدائية طبقا للحقيقة المنفصلة عنى وعن هدفى للعبادة كان ينبغى تدميرها. ومالم يتم تدمير هذه الأفكار الثنائية، فلن تكون هنالك نقطة بداية لكى تولد فكرة التانترا. إن مولد التانترا تتم على أشلاء وجود العقيدة فى هذا، و«ذاك».

ولكن أهل التبت كانوا أناساً ذوى قوة حينما جاء إليهم بادماسمباهافا.

ولم يكونوا يعتقدون فى الفلسفات، أو أية أشياء تتضمن الوهاء ممكن أن يقولها الحكماء. ولم يكونوا ينظرون إلى ذكاء أى حكيم على أنه نوع من الحجة، وكانت تقاليد «اليوين» السائدة فى التبت قوية راسخة جداً، وقاطعة وسليمة. ولم يكن أهل التبت يعتقدون فيما كان يقوله بادماسمباهافا من الناحية الفلسفية حول مثل تلك الأشياء. مثل الذات العارضة. ولم يكونوا ليعيروا مثل هذه الأشياء التفاتاً، وإنما سوف ينظرون إلى هذا التحليل المنطقى على أنه مجرد مجموعة من الألغاز أو الأحاجى - ألغاز بوذية.

ولكن ما كان يعتقد فيه أهل التبت هو أن الحياة موجودة، وأنا موجود، وأن أنشطتى للحياة - العمل مع حيونات الألبان ، العمل فى الحقول- موجودة إن زرعة الألبان والحقول موجودة بالفعل، وأن أنشطتى الفعلية التى ترتبط معها هى أنشطتى المقدسة، هى «الساداناس» بالنسبة لى. أما نظرة «البوين» العامة فهى أن هذه الأشياء موجودة، لأنه يجب علىّ أن أقوم بتغذية طفلى، وعلىَّ أن أحلب بقرتى، وعلىَّ أن أزرع محاصيلى، وعلى أن أصنع الزبد والجبن. إننى اعتقد فى هذه الحقائق. إن تقاليدنا فى « البوين» صالحة، لأنها تعتقد فى قد سية، وفى تغذية الحياة، وجلب الغذاء من الأرض من أجل تغذية النشء. وهذه الأشياء البسيطة موجودة. هذه هى العقيدة، وهذه هى الحقيقة، طبقا لتقاليد «البوين».

وهذه البساطة تشبة ماوجدناه فى التقاليد الأمريكية الهندية. فقتل جاموسة هو عمل خلاق لأنها تطعم الجائع، وذلك ينظم أيضا تنمية قطعان الجاموس، وبهذه الطريقة يمكن الحفاظ على نوع من التوازن. إنه ذلك النوع من المدخل الأيكولوجى.

ونجد كافة أنواع المداخل الإيكولوجية من هذا النمط، وهى سليمة تماماً ورصينة. وفى الحقيقة، فإن الإنسان ليفكر مرتين فيما لو كان هذا البلد ناضجاً بعد لتقديم حكمة بادماسمباهافا، لأن بعض الناس يتعتقدون فى هذه الفلسفات

الإيكولوجية وبعضهم لا يعتقد فيها. وبعض الناس من دعاة المبادىء الجامدة جداً الذين يعتنقون هذه الفلسفات الإيكولوجية، وبعضهم الآخر ليس لديهم علم بها على الإطلاق. وطبقاً لذلك، فإن المرء ليعجب كيف يتسنى له الاقتراب من هذه الثقافة. ولكن ككل، فهناك استمرارية معينة فيما يحدث. وهناك مدخل أساسى عام فى هذه الثقافة: فنحن نعتقد أن كل شىء موجود لصالحنا.

وعلى سبيل المثال، فنحن نعتقد أن الجسد هام جداً، لأنه يعمل على الحفاظ على العقل. والعقل يغذى الجسد، والجسد يغذى العقل. ونحن نشعر أنه من المهم الحفاظ على ذلك بطريقة صحية لصالحنا، ولقد خلصنا إلى أن أيسر الطرق لإنجاز هذا النظام الهائل لكونها أصحاء بأن نبدأ بالشىء الأقل تعقيداً فيه : أن نغذى الجسد. وبعد ذلك يمكننا الانتظار لنرى ما يحدث مع العقل. فإذا كنا أقل جوعاً، إذن فمن أكثر الأمور احتمالاً أن نكون مبتهجين من الناحية السيكلوجية، ونشعر إذن أننا نغوص فى التعاليم السيكلوجية، أو فى بعض الفلسفات الأخرى.

وهذا أيضا هو مدخل التقاليد البيونية: دعنا نقتل أحد الثيران، وذلك سوف يرفع من روحانيتنا. وحين تكون أجسادنا أكثر صحة فسوف ترتفع قدرات عقولنا. ولسوف يقول الهفود الأمريكيون، دعنا نقتل جاموسة واحدة. إنه نفس المنطق. إنه شىء محسوس جداً. ولانستطيع القول بأنه وضع غير سليم مطلقاً. إنه وضع سليم تمامًا، وهوواقعى تماماً، ومعقول جداً ومنطقى. فهنك نمط ينبغى احترامة. وإذا وضعت هذا النمط موضع التطبيق الفعلى بأسلوب يستدعى الاحترام، إذن فإن هذا النمط سوف يكتب له الاستمرار ولسوف تحقق نتائجك المرجوة.

إننا نشارك فى هذا النوع من المدخل فى هذا البلد أيضا. وهناك كثير من الناس فى هذا البلد يعتبرون من فئة «الحمر» الأمريكيين. فى مواجهة فئة الأمركيين البيض. وفيما يتعلق بفئة الأمركيين الحمر، فأنت لديك الأرض

وأنت تبنى خيمتك، وترتبط مع أولادك وأحفادك وأحفاد أحفادك. ولك كرامتك وشخصيتك، وأنت لاتخاف من أى تهديد- وأنت تطور صفاتك كمناضل. وبعد ذلك عليك أن تفكر كيف تتناول أمور أولادك؟، كيف تعلمهم احترام الأمة؟. وأنت تعلم أولادك تعليماً صحيحاً ليكونوا مواطنين صالحين.

إن الفلسفات من هذا الطراز لا توجد فقط فى أوساط الأمريكيين الحمر، ولكنها توجد أيضا بين عنصر السلت، والاسكندناڤيين فيما قبل المسيحية، وفى اليونانيين والرومان. ومثل هذه الفلسفة يمكن وجودها فى ماضى أى أمة كانت لها عقيدة فيما قبل المسيحية أو البوذية، فهى عقيدة الخصب والايكولوچى - مثل تلك التى كانت موجودة عند اليهود، والسلت، والهنود الأمريكيين، أو غير ذلك. إن مدخل احترام الخصوبة والارتباط بالأرض لا يزال قائماً، وهو مدخل قوى جداً وجميل جداً. إننى أقدره بشدة، ويمكننى أن أكون أحد أتباع مثل تلك الفلسفة. وفى الحقيقة فأنا أحد أتباع البوين. فأنا أومن بالبوينية لأننى من أهل التبت.

والاعتقاد العميق فى هذا يجعلنى أفكر فى شئ آخر يوجد خارج هذا الإطار، وهو ما يتعلق فقط بالخصوبة، والذى يتجه نحو الجسد اتجاها صرفاً. والذى يعتقد أن الجسد سوف يغذى سيكلوچية الاستنارة ويتسامى بها. وهذا يجعل لدىَّ بعض الأسئلة. حول الشئ برمته. فإذا كانت لديك مثل هذه الأسئلة، فإن هذا لا يعنى بالضرورة أن عليك التخلى عن معتقداتك السابقة. فإذا كنت تعتقد وتمارس ما يمارسة الأمريكيون الحمر، فليس مطلوباً منك أن تكون أمريكياً أبيض. والسؤال هنا هو: كيف ترتبط فلسفتك مع الحقيقة الخاصة بالجانب السيكلوچى للحياة؟. وماذا نعنيه حقيقةً «بالجسد؟» وماذا نعنيه حقاً «بالعقل»؟ ما هو الجسد؟ وما هو العقل؟ فالجسد يتكون من ذلك الشئ الذى يحتاج إلى التغذية. أما العقل فهو ذلك الشئ الذى يحتاج إلى التأكد من أن الجسم قد تلقى غذاءه الصحيح. لذلك فإن الحاجة للغذاء هى جانب آخر من

تجمع هيكل العقل.

ان المشكلة برمتها لاتنشأ من تلقى الغذاء الصحيح، ولا من الحفاظ على صحتك سليمة، وإنما تنشأ المشكلة من الاعتقاد فى فصل «أنا» عن «ذلك». أى أنتى - صرت منفصلاً عن طعامى، وأن طعامى ليس جزءاً منى. وعلى ذلك فإن علىّ أن أستهلك ذلك الطعام المعين الذى ليس منى حتى يصبح جانبا منى.

وطبقاً لتقاليد البوين فى التبت، كان هناك مدخل غامض تجاه التغلب على حالة الانفصال هذه تبنى على مبدأ «الأدفايتا»، أى مبدأ انعدام الثنائية. ولكن حتى مع هذ المبدأ، وحتى تصبح أنت الأرض نفسها، أوحتى تصبح خالق الوجود فإنك لا تستطيع حل مشاكلك. وهناك بعض الاحتفالات الخاصة بالبوين تعكس مستوى بدائيا جداً من المعتقدات التى تتعلق بالتغلب على حالة الانفصال. والفكرة تتلخص فى أنه ينبغى أن نبتدع شيئاً ما للعبادة ثم نأكل هذا الشىء الذى نعبده - أو نمضغه. ثم نبلغه. وبمجرد أن نهضمه فعلينا أن نعتقد أننا قد أصبحنا «أدفايتا» تماماً أى لسنا شيئين بل شئا واحداً. وهذا أشبه ما يكون بما يحدث فى التقاليد المسيحية عند احتفالهم بالعشاء الربانى. وبدايةً، فهناك انفصال بينك وبين الإله. أو بينك وبين الابن أو الروح القدس . فأنت وهؤلاء كيانات منفصلة. وحتى ترتبط مع لحم ودم المسيح، ممثلاً ذلك بمواد معينة. حيث يدخل الروح القدس، إذن فأنت لاتستطيع أن تتحدث معهم. إنك لا تستطيع أن تصل إلى اتحاد كامل حتى تأكل الخبز وتشرب النبيذ. والحقيقة أنه حتى تفعل ذلك لا تستطيع أن تصبح واحداً يظهر أن ذلك لا يزال عملاً من أعمال الفصل، ولكن الاتصال لايزال قائماً هناك. ومهما فعلت، فإنك تنتهى بالاتصال مرة أخرى. إن مشكلة تكمن هنالك.

إن الشعور بالتوحيد لايمكن أن ينبتى على عمل مادى أو طبيعى بعمل شىء ما-بالمشاركة فى أحد الاحتفالات كما فى هذه الحلة. وأن أكون واحداً مع الحقيقة فإنه يكون على أن أفقد الأمل فى أن أصبح واحداً مع الحقيقة. وبمعنى

آخر، أنه بالنسبة لأن «هذا» موجود و«ذلك» موجود فإن على أن أفقد الأمل. إننى لا أستطيع أن أفعل كل ذلك. إذن فأنا أفقد الأمل. ولايهمنى إذا كان «ذلك» موجود، أو «هذا» موجود فأنا أفقد الأمل. وهذه الحالة من فقدان الأمل هى نقطة البداية فى عملية الإدراك.

وحينما كنا نسافر اليوم جواً من دينفر إلى بوسطن رأينا منظراً جميلاً، رؤية تجلى إن شئت. فمن خلال نافذة الطائرة كانت تظهر حلقة من الضوء تنعكس على السحاب، وأتبعها قوس قزح. وكان يمضى معنا حيثما ذهبنا وكان فى وسط حلقة قوس قزح هذه، على البعد - كان هناك ما يبدو وكأنه شكل شخص ضئيل الحجم، ظل قليل. وحين بدأنا فى النزول وأصبحنا قريبين من هذه السحب تحققنا من هذا الشكل كان عبارة عن ظل الطائرة محاطاً بحلقة قوس قزح. لقد كان المنظر جميلاً، مدهشا فى الحقيقة. وحينما توغلنا أكثر فى عمق هذا السحاب أصبح هذا الظل أكبر فأكبر. وبدأنا نرى الشكل الحقيقى للطائرة، بذيلها، ورأسها والأجنحة حينئذاك. وحين أصبحنا فى وضع النزول إلى أرض المطار اختفت حلقة قوس قزح، واختفى الظل كذلك، وكان ذلك نهاية رؤيتنا لذلك المنظر.

ولقد ذكرنى هذا بما كنا نفعله بالنظر إلى القمر فى بعض الأيام حين كنا نرى حلقة قوس قزح حول القمر. وعند أحد النقاط فإنك تتحقق بأنك لست أنت الذى تنظر إلى القمر. بل إن القمر هو الذى ينظر إليك. وما رأيناه ينعكس على السحب كان ظلنا نحن. إنه بمثابة نوع من ترددات العقل، من ذلك الذى يرى من؟ ومن ذلك الذى يخدع من؟

إن مدخل الحكمة المجنونة هنا هو أن تفقد الأمل. ليس هناك أمل فى أن تفهم أى شىء على الإطلاق. ليس هناك أى أمل فى الوصول إلى من الذى فعل ماذا، أو ماذا فعل ماذا؟، أو كيف فعل أى شىء ما فعله؟. اترك طموحك فى وضع الأجزاء المفككة جنبا إلى جنب فى هذا اللغز كلية. بعثر الأجزاء فى

الهواء. أو وضعها فى الموقد لتحترق. ومالم نترك هذا الأمل، هذا الأمل العزيز فليس هناك من مخرج مما نحن منه على الإطلاق.

إن الأمر يشبه محاولة التوصل إلى الذى يسيطر على الجسم أو على العقل، ومن الذى له الصلة الأقرب مع الله - أو من الذى له علاقة أوثق مع الحقيقة كما يقول البوذيون. فقد يقول البوذيون إن بوذا لديه علم الحقيقة. لأنه لا يؤمن بالله. وأنه وجد أن الحقيقة لاعلاقة لها بالإله. لكن المسيحيين أو أصحاب الديانات التى تؤمن بوجود إله، ربما قالوا بأن الحقيقة موجودة، لا صانع هذه الحقيقة موجود. إن مناقشة هذه الاستقطابات يبدو عديم الجدوى فى هذه النقطة. إنه موقف عديم الأمل كليةً. عديم الأمل بشكل مطلق. ونحن لانفهم-وليس لدينا الإمكانية للفهم- أى شىء على الإطلاق. إنه عديم الأمل أن تبحث عن شىء تفهمه، أو عن شىء تكتشفه، لانه ليس هناك إكتشاف على الإطلاق فى نهاية المطاف، ذلك مالم نصنع ذلك الشىء. ولكن إذا ما أشتطعنا بالفعل صنع شىء نكتشفه، فلن نكون سعداء بذلك فيما بعد. هذا على الرغم من أننا سوف نجاهد لذلك، وسوف نعلم أننا إنما خدعنا أنفسنا. ولسوف نعلم أنه كان هناك لعبة سرية كانت تدور «بينى»، و«ذلك».

لذلك فإن العملية التمهيدية للدخول فى الحكمة المجنونة لبادماسمباهافا هى فقدان الأمل، فالتخلى عن الأمل «كليةً» ليس هناك من أحد يجلب إليك الراحة، وليس هناك من أحد يقدم لك المساعدة. إن الفكرة برمتها لمحاولة العثور على جذور، أو العثور على منطق لاكتشاف الحكمة المجنونة هو أمر منعدم الأمل تماماً. فليست هناك أيه أرضية، ومن ثم فليس هناك أى أمل. وكذلك ليس هناك أى خوف بالنسبة لهذا الأمر، وإنما الأحرى بنا ألا نتحدث عنه كثيراً.

طالب : هل هذه الحالة من انعدام الأمل هى نفس الأمل الذى تحدثت عنه بالنسبة للشونياتا؟.

ترونجباريمبوكى : إننى لا أود ربط ذلك بالشونياتا. فهذا الوضع لانعدام الأمل

لايقدم أى أمن، ولاحتى يوازى ما تقدمه لنا الشونياتا.

طالب : اننى لا أفهم لماذا لا يكون هنا أى خوف. ويبدو أنه سوف تكون هناك إمكانية لوجود قدر كبير من الخوف.

ترونجباريتبوكى : أنت لا يتوافر لديك أى أمل ، إذن فكيف يكون لديك ما تفقده.

طالب : إذا لم يكن لديك ما تفقده وليس لديك ما تكسبه، فلماذا تستمر فى الدراسة؟ لماذا لا تجلس مستريحاً ومعك زجاجة من البيرة؟

ترونجبا : حسنا. هذا فى حدذاته هو عمل يتضمن الأمل والخوف. فإذا أنت انزويت مع نفسك مع البيرة واسترخيت قائلاً لنفسك، «حسنا، الآن كل شىء على ما يرام-ليس هناك ما أفقده، وليس هناك ما أكسبه»، فهذا فى حد ذاته هو عمل يتضمن الأمل والخوف.[إنه بمثابة محاولة إيجاد مخرج] لكنك ليس لديك مخرج.

انظر، إن انعدام الأمل وانعدام الخوف ليس بمثابةالإعتاق من الأسر ولكنه نوع من مزيد من السجن. إنك تكون قد أدخلت نفسك فى أسر الروحانية سلفاً وأنت قد أصبحت أسيراً منها. فهذا الجانب الآخر للنظر إلى هذا الأمر.

طالب : إذن فهذا بمثابة القبول؟

ترونجبا: لا، قد لا يتسنى لى القول بأن ذلك أمر فلسفى بمثل ما يكون عليه القبول. إنه أكثر يأسا من القبول.

طالب : التسليم؟

ترونجبا : التسليم هو القنوط. وبالتسليم تكون قد انحصرت للتخلى عن الأمل، ولكنك لم تطلب التخلى عن الأمل.

طالب : يبدو أن اللعب فى أرض معركة أرضك التى تتضمن نعم، ولا هى

الطريق، طالما ليس هناك مخرج من ذلك.

ترونجبار ينبوكى : أنا لاأقول إن ذلك هو الطريق، لأن ذلك يوفر بعض أنواع الأمل.

طالب : ولكن ليس هناك أرض أخرى للمعركة يمكن أن تلعب عليها.

رينبوكى: حسناً إن ذلك عديم الأمل جداً، نعم.

طالب : منذ لحظة، يبدو إنك قلت أنه حتى الشونياتا يمكن أن توفر شعوراً بالأمن.

ترونجبار ينبوكى : إن ذلك يتوقف على كيفيه اتصالك بها.[إذا اتصلنا مع الشونياتا كإجابة، فإنها قد تمدنا ببعض الأمل]. وحتى نتحقق من التضمينات الحقيقية لانعدام الأمل، فليس أمامنا أيه فرصة لتفهم الحكمة المجنونة على الإطلاق، أيها السيدات والسادة .

طالب : هل عليك أن تتخلى عن الأمل؟

رينبوكى : عن الأمل والخوف.

طالب : يبدو أنك لاتستطيع أن تستلقى، وألا تفعل شيئاء، إنه شعور بعدم الرضا سوف يثور، ومن ثم فمن الطبيعى جداً سوف يثور الأمل. بحيث إن هذا الشعور بعدم الرضا سوف ينقشع بطريقة ما. ولذلك فإن الأمل يبدو أمراً طبيعيا جداً وهو أمر تلقائى.

ترونجبا رينبوكى : هذا سىء جداً. إنك لم تستفد شيئا من ذلك على أية حال. إن هذا لأمر سىء جداً.

طالب : نعم، ولكن ذلك ينجم عن كل موقف، لذلك فإننى لا أرى كيف يمكن لك تجنب ذلك.

ترونجبا : ليس عليك أن تتجنب ذلك نظراً لكونك ملىء بالأمل بأن ذلك هو

المدخل الصحيح. ولكن ذلك سيء جداً. إنه أمر سهل جداً. إن الشيء كله هو انعدام الأمل، وحينما كنا نحاول أن نتخيل من يكون في الأول وماذا يكون في الثاني، فلم نجد مخرجاً. وضع منعدم الأمل.

طالب : نعم، ولكن التاريخ، والبوذية، والتقاليد بشتى أنواعها تعطينا الأمل.

تروبجا : حسناً، إنها مبنية على انعدام الأمل، لذلك فهي تعطينا بعض أنواع الأمل. وحينما تتخلى «تماما» عن الأمل فإن هناك مواقف للأمل. ولكن لا أمل في محاولة أن تدبر ذلك من الوجة المنطقية. فهي منعدمة الأمل بشكل مطلق! إنها لا تقدم لنا أية خطوط إرشادية أو خرائط. فالخرائط تقول لنا بصفة مستمرة: «لا أمل هناك، لا أمل هناك، لا أمل هنا، لا أمل هناك» . لا أمل هذه هي القضية بكاملها.

طالب : إن الأمل يعني الشعور بأنني أستطيع أن أفعل، أستطيع أن أدبر - هل هذا صحيح؟

تروبجا : نعم، الشعور بأنني أستطيع استخلاص شيء ما مما أحاول أن أفعله.

طالب : هل تحقيق انعدام الامل عمل يأتي بضربة واحدة، حيث تقفز فجأة إليه.

تروبجباربنبوكي : لا، إنه ليس وميضا مفاجئا، يعمل على إنقاذك. لا على الإطلاق.

طالب : إذن فهو شيء، يستطيع أي امرىء أن يلمحه في لحظة ما.

رينبوكي : كلنا نفعل ذلك. ولكنه ليس شيئاً مقدساً مع ذاك.

طالب : إذا لم تكن هناك خرائط ولا خطوط إرشادية، وكل الأمر فقدان لأمل، فهل هناك أيه وظيفة لمدرس في كل هذه المرحلة بجانب أن يقول لك أنه عديم الأمل؟

تروبجباربنبوكي : لقد قلتها. !

طالب : هل تنصح بمجرد القفز إلى انعدام الأمل أو غرسة رويداً رويداً؟

تروبجبارينبوكى : إن الأمر يرجع إليك. إنه حقاً يرجع إليك. وإنما أود أن أقول شيئا واحداً، إنه من غير الممكن أن تطور الحكمة المجنونة دون أن يكون لديكشعور بانعدام الأمل، انعدام الأمل «الكلى».

طالب : هل يعنى ذلك أن يكون المرء متشائماً محترفاً؟

تروبجبا : لا،لا، إن المتشائم المحترف هو نفسه ذو أمل، لأنه استطاع تطوير نظامه للتشاؤم. انه هو نفس الأمل القديم.

طالب : ماذا يشبه الشعور بانعدام الأمل؟

تروبجبارينبوكى : هو ببساطه الأمل المنعدم، لا قاعدة له، لاقاعدة على الإطلاق.

طالب : فى الوقت الذى تشعر فيه بأنك عديم الأمل،فهل إنعدام الأمل هو نوع من فقدان الأصالة؟

تروبجبا : هذا يتوقف على ما إذ كنت تنظر إلى إنعدام الأمل باعتباره شيئا مقدساً طبقاً لعقيدة أوتعاليم روحيه، أوعما إذا كنت تنظر إليه باعتباره منعدم الأمل ليس الا. وهذا يرجع إليك تماماً.

طالب : إننى أعنى، اننا نتحدث دوما عن هذا الأمل المفقود،وكل منا بدأ يشعر أن ذلك هو المفتاح، ومن ثم فنحن نريده. نحن نشعر أننا عديمى الأمل ونقول، «حسناً، إننى فى الطريق» وذلك يمكن أن يلغى بعض الحقيقةبالنسبة لهذا الأمر.

تروبجبا : سىء جداً، سىء جداً. إذا نظرت إليه باعتباره الطريق بمعنى أنك تشعر بأنك سوف تحصل على شىء ما منه، فإنه سوف لا ينتج شيئا. فليس هناك من مخرج. فهذا المدخل يهزم نفسه بنفسه. إن انعدام الأمل ليس لعبة سحرية. إنه يعنى نفسه، وأنت تعلم، إنه الحقيقة. إنه الحقيقة

لانعدام الأمل، وليس بالأحرى مبدأ انعدام الأمل.

• طالب : رينبوكى، إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لانعدام الأمل، إذن فإن الصورة برمتها وما نعلمه.عن الهينايانا، ماهايانا، والفاچرايانا، وهكذا تبدو وقد أصبحت مجرد رحلة كبرى تؤدى إلى التخلى عن الأمل. إنك غالباً ما تتحدث عن نوع من تمارين الجودو، واستخدام طاقة الذات لجعلها تهزم نفسها. هنا فإننا نستخدم طاقة الأمل بكيفية ما لجلب حالة إنعدام الأمل، والطاقة الناتجة من كل ذلك تهزم نفسها. فهل هذا حقيقى؟، أم أن هذه الفكرة الكاملة لتمارين الجودو؟ كذلك هى مجرد جانب من جوانب الرحلة؟

ترونجبارينبوكى : يقال إنه فى نهاية الرحلة، وفى «اليانا» التسعة، فمن الواضح أن الرحلة كان لا ينبغى القيام بها. لذلك، فإن الطريق الذى قدم لنا هو عمل من أعمال انعدام الأمل على نحو ما. إن الرحلة ما كان ينبغى القيام بها على الإطلاق. إن الأمر يشبه قيامك بأكل ذيلك وتستمر فى ذلك حتى تلتهم فمك نفسه. هذا هو نوع التشبيه الذى يمكن أن نستخدمه.

طالب : إنك يبدو أنك لكى تمضى فى طريقك عليك أن تغض الطرف عن التحذيرات. وعلى الرغم من أننى يمكن أن أسمع أن ذلك عديم الأمل، فإن الطريق الوحيد الذى آسلكه فى هذه النقطة هو باستخدام الأمل. لماذا الجلوس والتأمل الآن وفوراً؟ لماذا لا أذهب إلى الخارج وألعب؟ إن كل شىء فى هذا الوضع يبدو متناقضا، ولكن أنت تعلم، حسنا، لذلك سوف اكون هنا. وعلى الرغم من ذلك، فإننى أسمع، إنه أمر عديم الأمل، ولذلك فإننى أتظاهر.

ترونجبا : ذلك عمل ملىء بالأمل أيضا، وهو فى حد ذاته عديم الأمل. إنه يأكل نفسه باستمرار. وبمعنى آخر، إنك تعتقد أن بمقدورك أن تخدع الطريق

بأن تكون مسافراً ذكياً فى الطريق، ولكنك سوف تبدأ فى التحقق من أنك الطريق ذاته. إنك لا تستطيع خداع الطريق، لأنك تصنع الطريق.

ولذلك فأنت لا محالة سوف تتلقى رسالة قوية لانعدام الأمل.

طالب: إن الطريق الوحيد للوصول إلى ذلك، فيما يبدو، هو أن تستمرفى أداء اللعبة.

تروبجبا: هذا يرجع إليك. ويمكنك أيضا التوقف. إن لك الخيار المطلق. إن لديك بديلين محدودين جداً، وأنا أفترض أن نسميهما الاستنارة الروحية المفاجئة، أو الاستنارة التدريجية. وهذا يتوقف عليك كليةً، فيما لو تخليت عن الأمل فى الحال، أو فيما لو مضيت فى أداء اللعبة، وأن ترتجل لنفسك كل أنواع التسلية. ولذلك فكلما أسرعت فى التخلى عن الأمل كلما كان ذلك أفضل.

طالب: يبدو أنك يمكن أن تصبر على موقف لا أمل فيه إلى المدى المطلوب. وعند لحظة معينة فإنه لن يكون باستطاعتك أن ترتبط به بعد ذلك، وسوف تستفيد من أى خلاف للإشاحة عنه.

تروبجباربنبوكى: إن الأمر يرجع لك.

طالب: هل ينبغى عليك أن تضغط على نفسك المرة بعد المرة. بصفة مستمرة لكى . . . .

تروبجبا: حسناً، إنها تتجة إلى هذا الطريق من خلال استمرار مواقف الحياة.

طالب: إذا كان الأمر برمته هو انعدام الأمل، فعلى أى أساس تصنع قراراتك مثل القيام بقتل جاموسة لإطعام عائلتك، أو خمسمائة جاموسة لكى تعلق رؤسها على الحائط؟

تروبجباربنبوكى: إن كلا البديلين لا أمل فيه. فكلاهما طريق لمحاولة البقاء، وهو أمل. لذلك فإن كلاهما منعدم الأمل بالتساوى. علينا أن نتعلم كيف نعمل بدون أمل. إن العقيدة التى لا تعترف بوجود إله تعتبر مدخلاً

لعدم الأمل الذى لا يؤمن بأى شىء. أما الديانات التى تعترف بوجود الإله فهى مفعمة بالأمل، فهى تعتقد فى الانفصال بينى وبين حلمة الثرى الذى أرضع منه. معذرة عن كونى فج فى التعبير، ولكن الأمور تتم بهذه الصورة.

طالب: لقد قلت أنه ليس هناك إله، وإنه ليس هناك نفس. فهل هناك ما يسمى النفس الحقيقية؟وهل هناك أى شىء خارج نطاق انعدام الأمل؟

ترونجباريبنبوكى: ينبغى أن أذكركم أن هذا الشىء كله هو التحضير للحكمة المجنونة، والتى لا تعترف بأى نوع من الحقيقة. بخلاف نفسها. ومن هذه الزواية، ،فليس هناك نفس حقيقية، لأنك حين تتحدث عن النفس الحقيقية، أو الطبيعة البوذية، فإن هذا فى حد ذاته هو من قبيل محاولة إدخال موقف إيجابى، شىء ما لكى يوصلك إلى أنك على ما يرام. وهذا شىء لا يحدث فى انعدام الأمل.

طالب: هذا الأمل المعدوم يبدو لى بمثابة إعادة إقرار فكرة حماية الذات، وايقاف الشعور لمحاولة تحسين الوضع. فطبقاً لما تواتر عليه فهمنا للاستنارة، فإنه فى اللحظة التى نوقف فيها هذه الحماية للذات وتحسين الموقف، فإن الفهم الحقيقى سوف يبدأ. فهل هذا هو ما تقوله؟

ترونجباريبنبوكى: طبقا لهذه العملية، فليس هناك أى وعد بأى شىء على الإطلاق، لاشىء بأى حال. إنه بمثابة ترك كل شىء بما فى ذلك النفس.

طالب: إذن فهذه الحالة من انعدام الأمل تضعك هنا على التو.

ترونجبا: إنه شىء أكثر من ذلك. إنها لا تضعك فى أى مكان. إنك لا تملك أرضا تقف عليها. لا تمتلكها على الإطلاق. إنك منعزل تماماً. وحتى هذا الانعزال لا يمكن النظر إليه بمثابة البيت، لأنك تعيش فى عزلة وقفز، وأنت فى حالة انعدام أمل مطلق. حتى أن الوحدة لم تعد ملجأ بعد الآن. إن كل شىء لا أمل فيه على الإطلاق. حتى هى نفسها

[يصرخ «نفسها» ويفرقع بأصابعه] . إنها تؤخذ بعيداً عنك، مطلقاً وتماما. ان أى نشاط يحدث من أجل الحفاظ على نفسها هو أيضا عديم الأمل.

طاالب: إن الطاقة التى كانت تحافظ على النفس، والتى تشكل نوعاً من الغلاف الواقى حول النفس، إذا توقف ذلك، فإنها تهرب إلى الانقسام بين نفسها وما يحيط بها؟

ترونجبارينبوكى: إن ذلك لا يمنحك أية طمأنينة. وحين نتحدث عن انعدام الأمل، فإن ذلك يعنى حرفياً انعدام الأمل، إن شعور الأمل هنا هو الأمل فى مواجهة الخسارة. وليست هناك وسيلة يمكن بها أن نحصل على شىء ما فى المقابل مرة أخرى على الإطلاق. لا، مطلقاً. حتى هى نفسها.

طالب: هل فقدت نفسها؟

ترونجبا: فقدت نفسها. بالتحديد.

طالب : هذا النوع من انعدام الأرضية يبدو أكثر من انعدام الأمل. وأنا أقصد، أنه بالنسبة لا نعدام الأمل فلايزال هناك بعض الشعور «بوجود شخص ما» ليس لديه أمل.

ترونجبا: حتى ذلك، فهو فى محل شك.

طالب: ماذا يحدث للأرضية؟ هل تنزاح بعيداً، أنا لا أفهم ذلك.

ترونجبا: الأرضية هى انعدام الأمل أيضا. ليس هناك متانة فى الأرضية أيضا.

طالب: إننى أسمع ما تقوله. فأنت تقول إنه حيثما يولى المرء وجهه، فإنه ينظر فى.

ترونجبا: نعم إنك يغمرك انعدام الأمل. ويحيط بك، كلية وتماماً، وبوفرة غامرة. فأنت فى موقف الخوف المرضى من الأماكن المغلقة، من انعدام الأمل.

إننا نتحدث عن شعور بانعدام الأمل باعتباره تجربة فى انعدام الأرضية.

إننا نتحدث عن التجربة. إننا نتحدث عن تجربة، والتى تعتبر خيطاً صغيراً فى الشىء كله. إننا نتحدث حول تجربة انعدام الأمل فهى تجربة لا يمكن نسيانها أو رفضها. انها يمكن أن ترفض نفسها، ولكن لايزال هناك تجربة. إنها نوع من الخيط الذى يستمر. ولقد كنت أظن أننا سوف تناقش هذا فيما بعد بالنسبة لتجربة بادماسمباهاقا ولكن الحقيقة أن هذه تجربة بادماسمباهافا للتجربة لا تعنى أى شىء. إنها لا تزال انعدام الأمل.

طالب: يبدو أنك تقول إنه حيث لا أمل، فإن ذلك ضرب من الذكاء. وحينما تفكر بأن هناك أملاً،إذن فهذا من قبيل الجهل.

تروبجا رينبوكى: أنا لا أعتقد هذا، يا عزيزى. إنه انعدام الأمل تماماً.

طالب: أنك حين تتحدث عن انعدام الأمل، فإن الشىء برمته يبدو كئيباً تماماً. ويبدو أن الاكتئاب يمكن أن يغمرك بسهولة إلى الحد الذى يجعلك تتقهقر إلى غلاف يحيطك من عدم السلامة.

تروبجـاربنبـوكى: إن ذلك يرجع إليك. إنه يرجع إليك تماماً. هذه هى النقطة بأسرها.

طالب: هل هناك أى شىء.

تروبجبا: إنظر، إن الموضوع برمته هو أننى لا أقوم بصنع نموذج مطلق لانعدام الأمل مع أمناط من كافة الأنواع تم حبكها بدقة لأقدمها لك وأطلب منك أن تعمل بمقتضاها. إن طيبتك، وانعدام الأمل لديك، هو النموذج الوحيد الموجوذ هناك. فإذا صنعت أنا شيئاً ما فسوف يكون ذلك مجرد خدعة، غير واقعية، والأحرى أن يكون انعدام الأمل لديك، إنه عالمك، وهو إرث عائلتك، وما ترثه أنت. إن هذا الأمل المنعدم يأتى إلى وجودك، إلى سيكلوچيتك. إنه بمثابة إحضاره من محله كما هو. ولكنه يظل انعدام الأمل. وبقدر ما تحاول أن تكون ذا أمل، فإن الأمر يظل عديم الأمل. ولا يمكننى إعادة صياغة ذلك، أو إعطائها نموذجاً جديداً. أو وضع لمسات عليها من عندى مطلقاً. انه

ليس بمثابة مرشح سياسى يذهب إلى التلفزيون حيث يصنع الناس المساحيق على وجهه ويصنعون أدوات التجميل على فمه لكى يجعلوه بهى الطلعة. إن المرء لا يمكن أن يفعل ذلك. وفى هذه إنه عديم الأمل إنه عديم الأمل بشكل مطلق. وعليك ان تفعل ذلك بطريقتك الخاصة.

طالب: هل من الممكن لشخص ما أن يكون على وعى أن الأمر كله منعدم الأمل ومع ذلك يكون مبتهجاً؟

ترونجباربنبوكى: حسناً، أننى أعنى بأننا يمكن أن تكون لدينا كل أنواع المواقف المنعدمة الأمل، ولكنها كلها تعبير عن انعدام الأمل. إننى افترض ما وصفته بأنه قد يحدث، ولكن ماذا تريد أن تفحصه؟

طالب: إن الموقف بالنسبة لناروبا الذى كانت لديه التجليات، وكانت لديه إمكانية اختيار أن يقفز من فوق الحفرة، أو أن يتعامل معها. فهل هذا هو نفس موقف نعم أم لا الذى وصفته فى حديثك؟

ترونجباربنبوكى: أعتقد هذا نعم.

طالب: وكذلك انعدام الأمل بالنسبة لناروبا فى النهاية.

ترونجبا: إن حالة ناروبا لانعدام الأمل قبل أن يرى فعلاً معلمه الروحى كانت حالة مطلقة. إن فهم حياة پادماسمباهاڤا دون وجود شعور بانعدام الأمل يصبح أمراً مستحيلاً تماماً.

انعدام الأمل والتريكايا

إن شعور انعدام الأمل هو نقطة البداية للارتباط مع الحكمة المجنونة. فإذا كان الشعور بانعدام الأمل قادراًعلى التغلغل فى الأهداف غير الواقعية، فإن شعور انعدام الأمل يصبح شيئاً اكثر محدودية. ويصبح محدوداً وقاطعاً. لأننا لا نحاول أن نصبح أى شىء بخلاف ما لا يوجد هناك. لذلك فإن شعوراً بانعدام الأمل يمكن أن يمدنا بالمدخل الأساسى لانعدام الثنائية.

ومن جة أخرى فإن شعور انعدام الأمل يتصل مباشرة بالمستوى العملى لحياتنا اليومية. والحياة فى المستوى العملى لا تحتوى على فلسفة تتسم بالخوف أو الخبرة العملية الحاذقة. فهى تكون كما هى. وإذا كان بمقدورنا أن نرى هذه «الكينونة»، إذن فهناك شعور بالتحقق واليقين. ونحن نمر بتجربة الاستنارة المفاجئة. ودون توفر الشعوربانعدام الأمل، فليس هناك من طريق لنشوء حالة الاستنارة المفاجئة. وترك مشاريعنا هو الذى تتمخض عنه حالة الوجود الإيجابى النهائى والمحدد، والذى هو التحقق من أننا قد صرنا سلفاً كائنات مستنيرة هنا والآن. وبمناقشة تفاصيل هذه الحالة، فإنه يمكن لنا القول أنه حتى بممارسة شعور بالطبيعة البوذية، فإننا لانزال ينبغى أن تكون لدينا هذه التجربة، التى ترتبط بالجانب السامسارى، أو المضطرب حيث تتوقف على تجربة بعض الأشياء. إن لديك بعض التجارب. والتجربة تتضمن شعوراً بالثنائية. إن لديك تجربة ما وأنت ترتبط بهذه التجربة، وأنت ترتبط بها باعتبارها شيئا منفصلاً، فهناك بينك وبين ما تجربه. فأنت تتعامل مع شىء ملموس، التجربة.

وعلى الرغم من أن هناك شعوراً بالانفصال، أى بالثنائية، فإنها على أية حال تجربة بأنك متيقظ، وبالتحقق من أن بوذا يسكن فينا. لذلك فإننا نبدأ فى تطوير بعض شعورالاتساع أو المسافة بين التجربة وبين عرض التجربة. وهناك رحلة تتحرك نحو الأمام لمحاولة اللحاق ببعض الجوانب المعينة فينا. وهذا أمر صحى. والقيام بهذا المجهود، ولانغماس فى هذه العلاقة الخاصة يولد شعورنا بالمسافة فى مكان ما.

إن الأمر يشبة الحالة حينما نكون على أهبة قول شىء ما. فأولاً علينا أن نجرب الأشياء غير المنطوقة. ونشعر بالمسافة عما لم نقله بعد. إننا نشعر بالمسافة أو المدى، ثم نقول ما نقوله، الأمر الذى يباعد المسافة بطريقة معينة، ويضعها فى إطار محدد. ومن أجل التعبير عن هذه المسافة، فإن علينا أن نرسم حدود هذه المسافة.

هذا النوع من الشعور حول الأنفتاح الذى يحدث حينما نكون بصدد أن نقول شيئاًما، أو أن نجرب شيئاما هو نوع من الشعور بالخواء. إنه شعور بالخواء الخصب، أو الخواء المبدع. وهذه التجربة من الخواء أو الفراغ هى الدراماكايا. وحتى تتم الولادة فعلينا أن نمهد الأمور لهذه الولادة. والشعور بغياب هذه الولادة قبل عملية الولادة ذاتها هو الدارماكايا.

والدارماكايا لا شروط لها. والوثبة تكون قد تمت سلفا. وحينما نقرر بصفة قاطعة أن نثب نكون قد وثبنا من قبل. وعملية الوثب نفسها تكون دوماً متكررةومتوافرة. وبمجرد أن نكون قد قررنا الوثوب نكون قد وثبنا. إننا نتحدث عن ذلك النوع من الشعور بالمسافة، حيث يكون الوثوب، والولادة، قد تمت حين لم تظهر دلائلها. إنها لا تكون قد ظهرت للعيان. ولكنها تكون حسنة كما تم ظهورهامن قبل. فى هذه الحالة الذهنية التى نسعى إلى تجربتها مثل قيامنا بشرب فنجان من الشاى، ونكون قد شربنا هذا الفنجان من الشاى سلفاً قبل أن نشربه. ولقد قلنا أشياء من قبل أن نقولها الآن على مستوى الظهور.

وهذه الأرضية المفعمة بالحمل، الجنينية، والخصبة، والتى تحدث فى حالتنا الذهنية بصفة مشتمرة لا تحكمها هى الأخرى شروط محددة. [على سبيل المثال كما كانت لو كانت حاملاً بشىء ما] . انها غير مشروطة بالنسبة للذاتى أنا، أوبثنائية العقل، ولا بتصرفاتى وأعمالى، ولا بحبى أو كراهيتى وهكذا. وفيما يتعلق بكل هذه الأشياء فهى غير مرتبطة بشروط محددة. لذلك فأن لدينا هذا النوع من الوميض غير المشروط يحدث بصفة مستمرة لحالتنا العقلية.

وحالة الدارماكايا هى نقطة البداية أو أرضية لبادماسمباهاقا. والمظاهر

«الجنينية» هنا هى الدارما، الدارما بالامكانيات التى حدثت من قبل، والأشياء الموجودة التى تعيش فى حالة انعدام الوجود. إنها لشعور بالخصب، والتمام الكامل الذى يكون مع ذلك غير ملموس فى تجارب حياتنا اليومية. وقبل أن تظهر العواطف فإن هناك استعدادات لذلك. وقبل أن نضع أفعالنا موضع التنفيذ فان هناك استعدادات تجاه ذلك. وهذا الشعور بهذه المسافة المشغولة، ولكن المسافة التى أوجدت نفسها هى الدارما. أما «الكايا» فهى الشكل، أو الجسم، هى حالة أن مثل هذه الدارما موجودة بالفعل. وجسد الدارما هو الدارماكايا.

إذن فلدين المستوى الثانى بين مظاهر البادماسمباهاڤا، وهى السامبوجاكايا، فى حياتنا. وهى خط الحدود بين الامتلاء، والخواء. وهناك الشعور بأن الإمتلاء بها يكون صالحاً، لأنها الخواء فى نفس الوقت. وهناك المسافةأو البعد حيث العاطفة فى الظهور، وحيث يكون الغضب فى سبيله لتوه فى الاندفاع إلى الخارج أو أن يكون قد اندفع من قبل إلى الخارج، ولكن تظل هناك الحاجة إلى رحلة إلى الأمام باتجاه حدوث الميلاد النهائى. وهذه [الحركة إلى الأمام] هى السامبوجاكايا، «وسام» معناها «تمام» «وبوجا» معناها «الابتهاج». الابتهاج هنا هو شغل الفراغ أو المسافة أو الطاقة، وليس الابتهاج بالأحرى بمعنى السرور الذى يكون عكس الألم. إنه الشغل أو الملء، أو العمل للبقاء من أجل نفسها، والعواطف التى توجد من أجل نفسها. ولكن على الرغم من أنها تعيش من أجل نفسها، فإنها لا جذور لها طبقاً لصلاحيتها. فليس هناك صلاحية أساسية، ولكن العواطف لا تزال تحدث من مكان غير معروف وتقفز طاقتها، وتشع علينا، بصفة مستمرة.

بعد ذلك فلدينا النيرماناكايا. و«النيرمانا» فى هذه الحالة هى الفيض أو الظهور، وهى الظهور الكامل أو النبرة النهائية. إنها تشبه حالة الطفل الذى يكون قد ولد ثم يقوم الطبيب بقطع حبله السرى للتأكد من أن الطفل قد تم فصله عن والده ووالدته. أى أنه أصبح الآن كائنا قائماً بذاته. وهذا يوازى اندفاع العواطف إلى العالم الخارجى. وعند هذه النقطة، فإن عمل العاطفة، أو عمل

العدوان أو كيفما كان، ينطلق بعنفوان قوى وبصورة محددة.

وهذا لا يشير بصفة خاصة إلى تطبيق العواطف، مثل استخدام الغضب كمؤثر لقتل شخص، أو استخدام العاطفة كمؤثر لجذب شخص ما. ولا يزال هناك الشعور بأنه قبل نطق الكلمات أو تحريك الجسم، فإن العواطف تكون قد تحركت، وهناك تحديد نهائى للعواطف وأنها أصبحت منفصلة عنك. إنك قمت رسميا بقطع الحبل السرى بينك وبين عواطفك. إنها تحركت باتجاه نحو الخارج سلفاً. وأصبحت تابعة من قبل. أصبحت تابعة لك من قبل. أصبحت شيئا منفصلاً. وهذا هو الظهور النهائى.

وحينما نتحدث هنا عن الغضب، أو عن العاطة أو الجهل، أو الذهول، وكيفما تحدثنا، فإننا لا نتحدث فى إطار أخلاقى مثل الخير والشر. وإنما نتحدث عن عواطف متأججة مشحونة تنطوى على الطاقة والحيوية. ويمكن لنا القول أن حياتنا تتكون من هذه الحيوية الدافقة الهائلة طول الوقت: الحيوية الناتجة من الملل، ومن كوننا فى حالة غضب، أو فى حالة حب، أو حالة زهو وغرور، أو حالة الغيرة. إن حياتنا تتكون من كل هذه الأنواع من الحيوية وليس بالأحرى من الفضائل والرذائل التى تنجم عن هذه الحالات.

إن ما نتحدث عنه هنا هو لب الپادماسمباهاڤا. فهناك هذه الحيوية الدافقة فى التى تظهرها البادماسمباهاڤا فى حياتنا باستمرار من خلال عملية الولادة، مثل ممارسة الشعور بالمسافة، ثم الظهور، ثم فى النهاية إتمام هذا الظهور ثم هناك العملية ذات المراحل الثلاث، وهى الدراماكايا باعتبارها مسافة جنينية، والسامبوچاكايا باعتبارها الصفة لدافعة نحو الأمام، ثم النيرماناكايا التى تظهر منها تلك الحيوية وتبدو بنفسها. وكل هذه المواقف هى الحيوية الموجودة فى البادماسمباهاڤا.

ويبدو أنه من المستحسن قبل مناقشة الجوانب الثمانية لپادماسمباهاڤا فهم المبادئ الثلاثة للتريكايا. وما لم ندرك الذكاء الحاد الذى تنطوى عليه الطاقات الكامنة فى حياة بادماسمباهاڤا فى الجوانب المختلفة فإن ذلك يشبه شخصاً يرتدى

عدة قبعات مختلفة: قبعة يرتديها فى العمل، وأخرى فى الصيد، وواحدة لليوجا، وقبعة للدراسة، وهكذا. إن الأمر ليس على هذا النحو. إنه ليس كمثل شخص واحد يغير فى لباسه، إن الأمر بالأحرى يتعلق بحيوية الحياة.

وحين نتحدث عن پادماسمباهاڤا، فإننا لا نشير فقط إلى شخصية تاريخية: «إنه فى يوم من الأيام كان هناك شخص يدعى پادماسمباهاڤا، ولد فى الهند». . وهذا إلى حد ما سوف لا يكون له أى معنى. فإذا فعلنا ذلك فإننا نكون بصدد درس فى التاريخ. وبدلاً من ذلك، فإن ما نحاول أن نشير إليه هنا هو أن پادماسمباهاڤا فى داخلنا، فى أحوالنا فى الحياة. وهذا الفكر الپادماسمباهاڤا يتكون من هذه المكونات الثلاثة: الدارماكايا، أو المسافة المتسعة، والسامبوچاكايا، أو الطاقة المتجهة للأمام، والنرماناكايا، أو الظهور والتجلى.

وربما قلنا لأنفسنا فى هذه النقطة: «من المفترض أن تكون هذه هى الحكمة المجنونة». فما هو وجه الجنون فى هذه الأشياء؟» فالطاقة تحدث، والمسافة هنا، فهل هناك شئ حول هذه الأمور يكون غير عادى، أى شئ مجنون أو عاقل» والحقيقة أن ليس هناك شئ - لا شئ من الجنون فى ذلك ولا شئ من الحكمة فى ذلك. والشئ الوحيد التى يجعلها غير عادية - هو أنه تصادف أن هذه الأشياء حقيقة واقعة. إننا نشعر بدوام وجود پادماسمباهاڤا فى أنفسنا. وطيفه دائماً معنا. وأصبح وجودنا كله من صنع پادماسمباهاڤا. لذلك فحين نحاول الارتباط به «هناك» كشخص يعيش فى جبل بلون النحاس فى جزيرة بعيدة على شواطئ الهند، فإن ذلك لا معنى له.

ولسوف يكون من اليسير جداً الارتباط به بهذه الكيفية، لأننا سوف يكون لدينا شعور بالطموح. ولسوف نشعر بأننا نود أن نذهب إلى حيث يكون، أو أن نتوصل إلى حقيقة أن كان كائنا أسطوريا، أو أنه يعيش بالفعل. ويمكننا أن نركب الطائرة، أو أن نركب قارباً، ويمكن أن نتوصل أين تكون هذه الأماكن. حيث يفترض أن پادماسمباهاڤا لا يزال حياً. ومحاولة استدعاء پادماسمبهاڤا، ووجوده فى حياتنا من الخارج، هو بمثابة الانتظار لنوع من الوجود الفوقى. غير

أن النتيجة لا يمكن أن تحدث.

وهناك حكيم عظيم «سيدا» فى التبت كان يسمى «مادمان من تسانح». ولقد عاش فى تسانج، وهى منطقة تقع فى شرقى التبت بالقرب من جبل يسمى «آنى ماشن» حيث زاره معلمى الروحى چامچون كونجتراول. وكان ذلك قبل خمس سنوات من لقائى مع معلمى الروحى. وكان يروى لنا قصة لقائه مع مادمان من تسانح، والذى كان مزارعا عاديا، والذى تمكن من إتمام روح الحكمة المجنونة. وكانت لديه هذه الأشياء الثمينة جداً والتى كان يخزنها فى خزانته، وكانت حقائب وحقائب يفترض أنها مملوءة بأشياء ثمينة. ولكن هذه الحقائب ثبت أنها تضم بقايا خشب وأحجار. ولكن معلمى الروحى أخبرنا أنه سأل مادمان من تسانح، «كيف يمكن لنا أن نربط أنفسنا مع پادماسمباهاڤا؟». وقال له المادمان ما يلى:

«حينما كنت طالبا يافعاً، وكنت أحد البوذيين المخلصين، يملأ الإيمان جوانحى، فقد كنت أود أن يكون بدنى متحداً مع بدن پادماسمباهاڤا. وقمت بعدد لا يحصى من الأدعية، وآلاف وملايين من استدعاءات المانترا(×). ولقد كنت أصرخ حتى درجة نصف الموت، وأقرأ التعاويذ التى تضمنتها المانترا. ولقد وصل بى الأمر أن أشعرت بأننى إنما أضيع وقتى فى التنفس أثناء هذه الأدعيات. ودعوت، ثم دعوت، ثم دعوت وتوسلت إلى بادماسمباهاڤا، محاولاً أن أجعل بدنى واحداً مع بدنه. ولكن فجأة تحققت: إننى - وبدنى كذلك - هو پادماسمباهاڤا. واستطعت أن استمر فى دعوته حتى فقدت صوتى، ولكن ذلك لم يكن له أى معنى. لذلك عقدت العزم ألا أدعوه مرة أخرى. ثم وجدت أن بادماسمباهاڤا قد زارنى. وحاولت أن أكتم ذلك. ولكن لم أستطع ذلك. إن بادماسمباهاڤا كان يريدنى وظل يردد اسمى».

هذا النوع من المواقف هو الذى نحن بصدد مناقشته، كما أقترح، وبدلا

(×) المانترا هي صيغة غامضة أو تعاويذ تقرأ للاستدعاء أو تجسيد الروح في الهندوسية والبوذية الماهايانا. (المترجم).

من تطلعنا هناك لوجوده، فهو ينظر إلينا. ولكى يمكن جعل هذه الأشياء شيئا حقيقيا وعاديا فى حياتنا، فيبدو أننا بحاجة إلى بعض الاقتناع فى داخلنا. وعلينا أن نوقن أن هناك شعوراً بالطاقة الذى يوجد دوماً هناك، وأن هذه الطاقة تحتوى على الإجمالية. وهذه الطاقة ليست ثنائية أو متشابكة، وأنها طاقة أوجدت نفسها بنفسها من أجلنا. إن لنا عاطفتنا، وعدواننا ولنا مسافتنا، وطاقتنا الذاتية - إنها هناك سلفاً. إنها موجودة دون أن تكون معتمدة على أى موقف. إنها شئ مطلق وكامل ومستقلة. وهى متحررة من أى شكل من أشكال العلاقات.

ويبدو أن هذا هو بيت القصيد حول پادماسمباهاڤا هنا، ويتكون مبدأ پادماسمباهاڤا من التحرر من أى أفكار للمضاربة، أو النظريات أو الأنشطة الخاصة بملاحظة شخص ما. إنه تجربة الحياة بالنسبة للعواطف والخبرات دون أى مراقب. ولأننا بوذا سلفاً، فإننا پادماسمباهاڤا سلفاً. إن اكتساب مثل هذه الثقة مثل ڤاچرابرايد، يمدنا بفرصة جديدة. ولن يكون من الصعب تصور هذا حين تعلم ماذا أنت، ومن أنت بشكل كامل، وبعد ذلك يمكن اكتشاف بقية العالم، لأنه لن يتوجب عليك اكتشاف نفسك من جديد.

طالب: رينبوكى، إذا كانت الدارماكايا حالة من الحمل سلفاً، أو أنها حالة خصبة من قبل، فهل هذا يعنى أنه ليس هناك أية دارماكايا خاوية تماماً، لا يمكن أن تنطبق على أى شئ؟ فهل تقول إن الدارماكايا لها بعض معانى التطبيق من قبل؟

ترونجبارينبوكى: انظر، إن الدراماكايا فى هذه الحالة مشابهة للتجربة. إنها مختلفة تماماً عن الدارماداتو، الدارماداتو الأعظم. وحينما ترجع اليها على اعتبارها دارما، وكايا فإنها بشكل ما لها شروطها. إنها ذات شروط لأنها فى حالة حمل من قبل (٣).

طالب: إذن فهل هذا يعنى أن الدراماداتو نظرية، وأنها فقط ذات أرضية نظرية؟

ترونجبا: إننى لا أقول حتى إنها نظرية. ان لها بالكاد اسماً. والحديث عن الدارماداتو يجعلنا اكثر وعياً بأنفسنا، لذلك فإن الدارماداتو تصبح واعية

بنفسها أو بالأحرى، فإن اختراع الكلمات حولها يجعل الدارماداتو أكثر وعيا بنفسها من وجهة نظرنا.

طالب: هل الدارماداتو من الوجهة التجريبية تختلف عن الدارماكايا؟

ترونجبا: نعم، الدارماداتو ليست التجربة.

طالب: وهذا هو الفراغ أو المسافة التى تقوم الكايات.

ترونجبا: تتخذ موقعها، نعم، إن الدارماكايا هى تجربة سلفاً والدارماكايا يشار اليها فى التبت على أنها تانجبو سانجى، ويعنى «البوذية البدائية» أى البوذى الذى لم يصبح بوذيا من خلال الممارسة، ولكنه من وصل إلى اليقين لتوه. وهذه هى صفة انعدام الثنائية فى الدارماكايا. فى حين أن الدارماداتو هى التسكين الكامل من نوع ما لا يملك لنفسه كيانا على الإطلاق. أنت ترى، فالدارماكايا هى نوع من التصديق، فالبعض عليه أن تصديقاً من نوع ما لكى هذا المعنى دارماكايا. ولهذا فإن الدارماكايا نوع من الحملً. ولكن هذا المعنى من التصديق لا ينبغى النظر إليه على أنه انتقاص من القدر، أو ينظر إليه نظرة سلبية على الإطلاق. إن الأشياء المثيرة التى تحدث مع العالم «السامسارى» هى بمثابة جزء من هذا الظهور أو التجلى. فالدارما نفسها باعتبارها أحد التعاليم، هى جانب من هذا التجلى، وهذه التعاليم لن يكتب لها البقاء ما لم يكن هناك شخص يقوم بالتعليم. إنه ذلك النوع من المواقف.

طالب: ماذا كانت صلة پادماسمباهاڤا بالدارماداتو؟

ترونجبا: لا شئ.

طالب: حسنا، ما هو الفرق إذن بين شعور الإمكانية فى الدارماكايا، وشعور موقف الحمل، والتوقع فى الشعور السلبى البوذى نحو الرغبة، والتطلع إلى الأمام إلى شئ ما؟ وبمعنى آخر، فإنك قد تحدثت عن الدارماكايا كشعور بالإمكانية كما لو كنت قد تعاطيت الشاى قبل أن تكون حتى قد شربته. كيف يختلف ذلك عن الرغبة فى فنجان من الشاى فى طريقة

التعلق بالشيء؟

ترونجبا: ليس هناك أى فرق على الإطلاق. فإذا نظرنا إلى التعلق باعتبارها حقيقة فإنها واسعة جداً. ولكننا ننظر إلى عملية التعلق باعتبارها إهانه لأنفسنا. ولهذا تصبح بمثابة إهانة. ولكن التعلق كما هى حقا متسعة جداً. إنه سؤال أجوف. متسع جداً. إنها الدارماكايا نفسها.

طالب: هل هناك قوة دفع تجعلها فيما وراء الشعور بالقوة أو الحمل الذى تتضمنه مرحلة الدارماكايا إلى الحد التى تتحرك فيه حتى تصبح شيئا ما؟

ترونجبا: هناك قوة دفع سلفاً، لأن هناك تجربة. وتبدأ قوة الدفع حينما تنظر إلى التجربة كشيء يمكن ممارسته. فقوة الدفع هناك من قبل، لذلك فإن الدارماكايا هى جانب من ذلك االنشاط أو الطاقة. لذلك فإن الكايات الثلاثة ترتبط بالطاقة. وهناك الطاقة الأكثر شفافية، وهى طاقة الحركة وطاقة الظهور أو التجلى. وهذه الكايات الثلاثة تدخل كلها فى نطاق هذه االطاقة. لمثل هذا أطلق عليها الكايات.

طالب: إنها تبدو كما لو أن الفراغ الحامل للدارماكايا يضم كلا من السامبوچاكايا والنيرماناكايا كذلك.

ترونجبا: نعم.

طالب: يبدو لى أنه فى الرحلة من الدارماكايا إلى النيرماناكايا، فإن حالة الظهور قد صارت فى طريقها للانتهاء لكى تصبح شيئا سامساريا، وأن الدارماكايا حاملة بها من قبل. إذن فهناك عامل سامسارى الذى يعتبر جانبا من الدارماكايا. وعلى سبيل المثال، فإنه إذا كنا قد تعاطينا فنجان الشاى قبل أن نشربه بالفعل، إذن فيكون هناك توافر الشروط من بعد تجارب شرب الشاى، والتى هى جانب محدد لهذه التجربة.

ترونجبا: أنت ترى، أن القضية برمتها حين نتحدث عن بادماسمباهاڤا هو أن پادماسمباهاڤا هو مبدأ التريكايا، الذى يتكون من تركيبة من كل من السامسارا والنيرڤانا فى نفس الوقت، لذلك فأية شروط أو اشتراطات

تصبح صالحة. وعند هذه النقطة طبقاً لهذه التجربة، فإن السامسارا والنيرڤانا يعتبران شيئا واحداً ضمن هذه التجربة. وما يعنينا الآن هو أنها طاقة حرة تماماً. إنها لا هى مشروطة، ولا هى غير مشروطة. ولكن وجودها هى نفسها، هو شئ مطلق فى طريقتها، ولذلك فلا يتوجب علينا أن نحاول جعلها صالحة عن طريق حث أنفسنا بأنه لا يوجد شئ سامسارى يشكل جانبا منها، وبدون ذلك [وجود عنصر سامسارى]، فلن يكون لدينا شئ نكون فى حالة جنون تجاهه. هذه هى الحكمة المجنونة، كما تعلمون.

طالب: ما هو الجزء الخاص بالنيرماناكايا؟

ترونجبا: الشعور بالارتباط مع الشاى باعتبارها شيئا خارجيا، والذى يعتبر بمثابة قطع الحبل السرى. والارتباط مع الشاى كعملية شرب الشاى يتضمن النيرماناكايا. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة القيام بذلك من الناحية العملية الواقعية أو العضوية على وجه الخصوص. وإنما أن هناك ثلاثة أنماط من تثبت التجربة يتعلق بالشاى، وهى الحالات الثلاثية للعقل.

طالب: لذلك فإن النيرماناكايا هى نوع من «الحالات».

ترونجبا: نعم، إنها عملية ملء الأكواب «وملء البراد» وعملية أو حالة «شرب الشاى».

طالب: وإذن فما هى السامبوچاكايا؟

ترونجبا: السامبوچاكايا هى الشعور بالانفصاال الخفيف، فى مقابل الفكرة الخيالية لتعاطى الشاى. فهناك رحلة ما.

طالب: هناك بعض الشعور فى تجربة عملية «ملء الأكواب»، و«ملء براد الشاى»، بأنه يمكن تحييدهما عن كامل عملية الولادة، وفصلهما عملية التجربة التى تحملها فى المقام الأول؟ .

ترونجبا: هذا حدث من قبل. فبمجرد أن تصبح «حاملاً» فهذه سلفاً حالة فصل، وإنها تعبير عن الفصل حين تحدث الولادة، ولذلك فإن الوضع النهائى

يحدث حينما تقوم بقطع الحبل السرى. فهذه تكون الحالة النهائية لعملية الانفصال.

طالب: وهل تقبل بهذا الفصل تماماً؟

ترونجبا: نعم، وإلا تصبح العملية محيرة فى نطاق المشاركة مع النيرڤانا، أو ما يحلو لك أن تسميه - السلامة، أو النيرڤانا.

طالب: أنا لا أستطيع أن أفهم كيف يرتبط ذلك مع حالة انعدام الأمل، وأقصد، أننى لا أفهم كيف تتوافق المحاضرتان الاثنان الأوليان كل مع الأخرى.

ترونجبارينبوكى: حسناً، إن حالة انعدام الأمل تأتى من الحقيقة أن هذه العملية التى كنا نصفها لا تجلب أى ارتياح، ويمكننا القول بأن الدارماكايا موجودة، والسامبوچاكايا موجودة، والنيرماناكايا موجودة، وكل منها لها وظائفها. ولكن ماذا بعد؟ لا يزال لا يوجد وصفة جاهزة كيف تجعل نفسك سعيدا. وعند هذه النقطة فإنها لا شأن لها بجلب السعادة إلى حياتنا، أو الطيبة أو الارتياح أو أى شئ من هذا القبيل. إنه لا يزال وضعاً عديم الأمل.

ومن الوجهة الواقعية، حتى لو أنك تعلم عن الدارماكايا، والسامبوجاكايا، والنيرماناكايا من الخلف إلى الأمام، فماذا يعنى ذلك بالنسبة لك؟ إنك سوف تفهم مبدأ الطاقة، والاستقلال، ومقدرة ما لديك من طاقة. ولكن بعيداً عن ذلك. فليس هناك تطبيب. إن الوضع لا يزال عديم الأمل.

طالب: رينبوكى، هل رؤية الأشياء كما هى لا يزال تجريبياً؟

ترونجبارينبوكى: نعم ، إننا نستطيع القول أن رؤية الأشياء كما هى ليس مجنونا بالقدر الكافى.

طالب: رينبوكى، لقد وصفت الحركة من الدارماكايا إلى السامبوچاكايا إلى النيرماناكايا باعتبارها حركة الطاقة نحو الخارج. فهل يمكن قلب اتجاه هذه العملية؟ هل تذهب الطاقة من النيرماناكايا إلى السامبوچاكايا، إلى الدارماكايا؟.

تروبجبارينبوكى: هذا يحدث كذلك باستمرار. إنَّهُ نوّع من الدَّوْرَة نفسها. وهذا ليس شيئا ضخما.

طالب: لقد قلت إن لنا الخيار بين التحقق التدريجى والمفاجئ.

تروبجبارينبوكى: نعم.

طالب: إذن فانعدام الأمل موجود هناك طول الوقت.

رينبوكى: نعم.

طالب: حسنا، وماذا علينا أن نفعله إذن؟

تروبجبا: هناك مثل قديم يقول بأن الطريق هو الهدف، وأن الهدف هو الطريق. فأنت تقوم برحلتك، وتصل إلى المكان الذى تستهدفه، ووصولك إلى مكانك المبتغى يستجلب سؤالاً جديداً: كيف يمكنك الانطلاق من هناك؟ وبهذه الطريقة فإن كل هدف فى حد ذاته يصبح طريقا. وخصوصا من وجهة النظر التانترية، فإنك لا تنجز أى شئ سوى الطريق. فاكتشاف الطريق هو إنجاز، هل ترى ما أعنيه؟

طالب: حسنا، ما هو الفجائى بالنسبة لذلك؟

تروبجبا: ان الأمر دائما فجائى.

طالب: طول الوقت.

تروبجبا: طول الوقت، نعم. حتى تسلم الطريق - والهدف - لا يزال هناك استنارة فجائية طول الوقت. ولذلك فإن الأمر المفاجئ النهائى الوحيد هو أن تتخلى عن الاكتشاف المفاجئ. إنه يدعو للصدمة، وهو مفاجئ جداً.

طالب: ولكن هذا الوميض المفاجئ الذى يستمر طول الوقت كما تقول، يختلف عن الطريق التدريجى؟

تروبجبا: نعم، وبالقطع. إن طبيعة الطريق التدريجى من وجهة النظر هذه - إذا صح لى القول - هو أن الطريق التدريجى ينظر إلى الهدف بمثابة هدف، والطريق بمثابة مبدأ. والطريق المفاجئ ينظر إلى الطريق بمثابة هدف

وبذلك يكون الهـدف فى نظره مناظراً للطريق. فليس هناك محل للمبدأ. إن الأمر مجرد تجربة شخصية طول الوقت. فإذا أردت أن تعطى تعريفا بالاستعانة بقاموس اكسفورد عن الفرق بين الاستنارة المفاجئة والتدريجية. فيمكن أن يكون كذلك.

طالب: رينبوكى، هل تنطبق هذه العملية الخاصة بالمتانة من الدارماكايا إلى النيرماناكايا وذلك الموقف تجاهها - هل تنطبق على المستوى السيكلوچى على عملية الإسقاط - وأن تكون عمليات الإسقاط الخاصة بك أكثر رصانة، وما موقفك تجاه ذلك؟

تروبجبارينبوكى: ذلك أمر طبيعى. فإن الوجود الكلى للكايات الثلاثة هو نوع من الإسقاط التى تقوم فيها بصنع هذه الإسقاطات. لذلك وبمعنى آخر، فإن وجود الدارما فى حد ذاته هو إسقاط. وعدم السلامة أو السلامة كلاهما نوع من الإسقاط، وطالما أن كل شئ قد تم بهذه الطريقة، فإن القضية بأكملها تصبح إسقاطاً ونوعاً من القوة والرصانة فى ذات الوقت.

طالب: فى قصة الرجل الذى كان يعبد بادماسمباهافا ويستخدم كثيراً من المانترا والتعاويذ، إننى لم أكن متأكداً من هذه النقطة. فهل هذا النوع من الممارسة المخلصة ليست مجرد تضييع للوقت؟ أم أن هناك قيمة فيها؟

تروبجبارينبوكى: حسنا، كلاهما نفس الشئ بطريقة ما. فمن أجل أن تحقق قيمة للوقت، فبداية، فإن عليك أن تصنيع الوقت، والذى يعتبر جانبا من كسب قيمة الوقت.

طالب: إذن فإنه كان يضيع وقته؟

تروبجبا: لكنه فهم شيئا من ذلك. فقد تحقق، فى النهاية أنه كان يضيع الوقت، وذلك تضييع الوقت.

طالب: أهذا كل ما كان يحدث هناك؟

تروبجبا: نعم.

طالب: إن ذلك لا بين أنه كان هناك تضييع للوقت على الإطلاق.

ترونجبا: إن هذا يرجع اليك. وهذا ما أقوله.

طالب: حينما تقول بأن الرحلة لم تكن بحاجة للقيام بها، فهل تعنى ذلك حقاً؟ هل لا ينبغى علينا القيام بالرحلة؟

ترونجبارينبوكى: ولكنك لا تكون قد علمت شيئاً عن ماهية الرحلة.

طالب: ولماذا ينبغى أن نعلم ذلك؟

ترونجبا: لتتحقق من أنك لا تحتاج مطلقا للقيام بها - إنها نسيج لا رتق فيه.

طالب: هل هناك حتمية معينة تنطوى عليها الدارماكايا؟ وهل هناك نوع لا يمكن تفاديه من التقدم من الدارماكايا إلى النيرماناكايا؟

ترونجبارينبوكى: أعتقد أن من المحتمل أن تكون الحتمية الوحيدة فى جانب الدارماكايا هى الوعى الذاتى بوجودها، وأنها فى حالة حمل. وهذا هو التعبير الأول عن الثنائية.

طالب: ما هى العلاقة بين الكايات الثلاثة وأرض المقابر التى أشرت إليها؟ هل هناك علاقة بينها؟

ترونجبارينبوكى: فى كل مره تقوم فيها بتطور حالة من الظهور أو التجلى، فإنك تبتدع مادتك - وذلك فى البداية تماماً. والدارماكايا تبتدع وجودها الذاتى، وكذلك البيئة المحيطة بها كذلك. والبيئة المحيطة هى أرض المقابر - وهو مكان لاستسلام العاطفة، أو مكان للتجلى.

طالب: إننى لا أرى ذلك الاختلاف القوى بين السامبوچاكايا والنيرماناكايا، فالدارماكايا يبدو أنها تقوم بالدور الذى يقوم به الوالدان. أما السامبوچاكايا فيبدو أنها بمثابة الوضع - كما تعلم، أو التعبير الأول. ولكننى لا أرى أين تكون الخطوة النهائية من السامبوچاكايا إلى النيرماناكايا. ويبدو أن كليهما تمثل الكمال من نوع ما.

ترونجبارينبوكى: حسناً، فالسامبوچاكايا هى الاعتراف بالطاقة، يمكنك أن تقول ذلك، وأما النيرماناكايا فهى مرحلة التنفيذ، كالتشبيه بقطع الحبل

السرى. وبخلاف ذلك. فليس هناك أى أختلاف.

طالب: ولكنك قلت بأن السامبوچاكايا تشبه الولادة. وهذا يبدو كذلك شيئاً نهائياً.

تروبجبا: إن السامبوچاكايا هى اعتراف بالطاقة بمعنى تلقى الحقيقة. إنها اعتراف أن إسقاطاتك منفصله. منفصلة بشكل تام. وبعد ذلك ماذا تفعل بهذا الانفصال، وبإسقاطاتك هو ما تتولاه النيرماناكايا. فالنيرماناكايا يمكن وصفها باعتبارها الأمر المحلى عن كيفية تناول مشكلتك على مستوى حوض المطبخ، فى حين أن السامبوچاكايا تشبه قيامك بالزواج للبدء فى خلق مشكلة حوض المطبخ. أما الدارماكايا فهى تشبه التودد، إنها تنطوى على هذه الإمكانيات، وهى مفعمة بكل هذه الإمكانيات.

طالب: من قبل، كنت أعتقد أنك تقول إن هذه العملية المتعلقة بالتريكايا، حين النظر إليها فى سياق النفس، تكون سمسارية. فى حين النظر إليها فى سياق الدارماداتو تكون نيرڤانية؟

تروبجبا: إننا لم نناقش الجانب النيرڤانى فيها. لأنها فى جانب منها سوف تصبح مثالية جداً. وفى الجانب الآخر سوف تكون غير مضبوطة، لأننا لا يمكن لنا رؤيتها. لذلك فإننا نتحدث من الزاوية السامسارية للاستنارة عن هذه النقطة.

طالب: لماذا لا نراها؟

تروبجبارينبوكى: نحن لا نزال نريد إجابات ونتائج، والتى هى تجربة الانفصال. وهى سمسارية. إنك تريد المنطق. والمنطق يعتمد على العقل السمسارى.

طالب: يبدو أن عملية الكايات الثلاثة هى منظور مختلف على نفس ما تتضمنه عملية الاثنى عشر نيدانا، والنطاقات الستة للعالم، والحالات المختلفة لباردو. هل الأمر كذلك؟

تروبجبا: نفس الشئ.

انعدام الخوف

لقد ناقشنا من قبل مبدأ «الكايات» الثلاثة كطريقة للإعداد، ويمكننا الآن اعتبار بادماسمباهاڤا كممثل للحكمة المجنونة فى مواجهة أى نمط آخر لظهور وتجلى الڤيدیادارا. ويمكن أن نقول إن الصفة الفريدة للحكمة المجنونة فى حالة پادماسمباهاڤا هى الاستثارة الروحية المفاجئة. إن الجوانب الثمانية للپادماسمباهاڤا ليست عملية ذات خط للنسب إنها تحدث فى آن واحد. وفى الحقيقة، فإن التعبير التقليدى هو «ثمانية أسماء» للبادماسمباهاڤا، وليس بالأحرى «ثمانية جوانب».

ما هو مبدأ الاسم؟ ولماذا يسمى «اسماً» وليس «جانبا»؟ حينما تشير إلى الجوانب، فإننا عادة ما نشير إلى الاختلافات فى الوجود الأساسى. إننا يمكننا التحدث عن جانب من جوانب أب لأحد الأشخاص، أو جوانب مدرس لهذا الشخص، أو جوانب رجل أعمالٍ. وفى هذا الاستخدام العادى هناكَ فكرة التغيير، التى تصاحب الأدوار المختلفة. وهذه الفكرة المعتادة للجوانب المختلفة - والتى سوف تتضمن أن پادماسمباهاڤا قد حول نفسه، ودخل فى أجزاء مختلفة من وجوده، أو أظهر تعبيرات مختلفة - هذه الفكرة لا تنطبق على پادماسمباهاڤا. وبالأحرى فإن حيازته لأسماء مختلفة ترتبط بمواقف تلامذته والكائنات الأخرى تجاهه. وهذه الأسماء المختلفة لها علاقة مع الطرق المختلفة التى يرى بها الناس الآخرون پادماسمباهاڤا وليس بالأحرى ما أصابه من تغيير. لذلك. فكلمة «اسم» هنا تتضمن معنى «العنوان». والجملة التى يستخدمها أهل التبت هى «چورو تسن چى أى» الأسماء الثمانية للمعلم الروحى. فكلمة تسن هى الكلمة الشرفية فى التبت المقابلة لكلمة «اسم». وبعض الناس ربما نظروا إلى پادماسمباهاڤا بمعنى «الأبوه»، فى حين ينظر إليه آخرون على معنى «الأخوة». ولا يزال آخرون ينظرون إليه كعدو. لذلك فإن النظرات المختلفة تفرض نفسها طبقا للطريقة التى يراه الناس هى الأساس الذى ينبنى عليه الأسماء الثمانية لپادماسمباهاڤا. وكيفما كان الحال، فإن ظهوره أو تجليه الوحيد هى الحكمة

المجنونة.

ووصف الشخص الذى تجلى بالحكمة المجنونة يمكن العثور عليه فى التعاليم المكتوبة. وهى: «انه يخضع من يحتاج إلى إخضاع، ويحطم من يحتاج إلى أن يتم تحطيمه». والفكرة هنا هى كيفما كانت متطلبات حالتك المرضية العصابية، فإنك حين ترتبط مع شخص يتحلى بالحكمة المجنونة فإنك تصاب بالصدمة من ذلك. فالحكمة المجنونة تقدم لك مرآة عاكسة. ولهذا فإن الحكمة المجنونة لپادماسمباهاڤا عالمية النطاق. والحكمة المجنونة لا تعرف الحدود، ولا تعرف المنطق الذى تتخذه. إن المرآة لا تعرف حلاً وسطاً معك إذا كنت قبيح الشكل. ولا جدوى من إلقاء اللوم على المرآه أو كسرها. وكلما كسرت المرآة، كلما كانت انعكاسات وجهك تصدر من أجزاء متباعدة من هذه المرآة. لذلك فإن طبيعة حكمة پادسمباهاڤا أنها لا تعرف أى حدود أو حلول وسط.

إن الجانب الأول من جوانب پادماسمباهاڤا تسمى پيما جيالبو، وفى لهجة السانسكريت، پادماراچا. ولقد ولد پادماراچا فى منطقة الهيميلايا بين الهند وأفغانستان فى مكان يسمى أودى يانا والتى سميت منذ ذلك الحين «سوات» وكان مكاناً جميلاً جداً تحيط به الجبال التى تغطى أعاليها الثلوج. والمنطقة بكاملها تشبه متنزها صناعيا. فهناك البحيرات ونباتات اللوتس، وكان الهواء عليلاً، والمناخ مثالياً. وكانت إحدى هذه البحيرات تسمى داناكوسا أو تسمى أيضا بحيرة سندو. وكانت تغطى بأوراق اللوتس. وكانت إحدى نباتات اللوتس كبيرة على غير المعتاد ولم تكن تتبع نفس النمط المعتاد بأن تتغير مع تغير الفصول وقد ظهرت فى بداية «عام» «القرد» واستمرت فى نموها على امتداد الفصول. وحل فصل الشتاء وأتى الربيع، ثم أتى الخريف ثم أتى فصل الصيف ، ولكن زهرة اللوتس هذه لم تتفتح مطلقاً. وفى النهاية، فى إليوم العاشر من الشهر العاشر من عام القرد تفتحت اللوتس. وكان هناك صبى جميل المنظر فى داخلها، يجلس على كأس الزهرة. وكان يبدو عليه مظهر صبى فى سن الثامنة. وكان يبدو عليه منظر الاحترام والرغبة فى معرفة كنه الأشياء، واحتشدت جموع

النحل والطيور حول هذا الصبى الجميل تمدحه. وكانت تسمع أصوات الموسيقى دون أن يكون هناك أى عازف. وكان المكان بكامله يعمه شعور بالقدسية، والصحة، والغموض.

وكان الصبى يشبه أميراً قد أحيط بعناية فائقة. هل هذا ممكن؟ ولم يكن يشعر الصبى بأى خوف. وكان يبدو عليه السرور من وجود المحيطين به، كما كان يبدو عليه الانبهار بالعالم خارجه.

ذلك كان مولد پادماسمباهاڤا. ومربط الفرس فى هذا المقام هو صفات الطفل فى پادماسمباهاڤا. لقد كان طفلا كبير السن - وهذا أمر متناقض بالطبع - كان طفلاً جميلاً يافعاً. طفلاً حكيما وقويا، طفلاً لم يتلق أى عناية ولم يشب على رضاعة اللبن، أو أن يأكل أى طعام آخر، ولكنه عاش على الهواء القراح، وبسبب هذه الصفات، عرف باسم پادماراچا - أى «أمير اللوتس».

إن لدينا عنصر الفتوة كذلك. وإن لدينا صفة الطفولة الجميلة فينا أيضا. إن التجربة التى حدثت فى مواقف حياتنا تشبه الطين الذى يحيط بجذور نبات اللوتس فى أعماق البحيرة. فهناك الرغبة، وهناك العاطفة، والعدوان، والامراض العصابية من كل نوع. وعلى أية حال، تبرز من بين هذه الأشياء بعض صفات الانتعاش والنشوة بصفة مستمرة: هذه الصفات الطفولية فينا، شباب كامل، وصبا، وحب التعلم، تطفو على السطح.

إن حب الاستطلاع فى هذا الجانب الطفولى فينا ليس حب استطلاع عصابى، ولكنه حب استطلاع أساسى. وطالما أننا نود اكتشاف عمق الألم، وطالما نود اكتشاف دفء البهجة. فإن قيامنا بذلك يبدو أمراً طبيعياً. هذه صفات پادماسمباهاڤا التى تكمن فينا. ويمكن أن نسميها طبيعة البوذية. أو الاستنارة الأساسية. إننا نود أن نلتقط إحدى لعب الأطفال، ونمسكها فى أيدينا ونتفحصها، ثم نسقطها ونضربها ثم نراها وقد سقطت أجزاء، ثم نفككها، ثم نعيد تركيبها. ونحن نفعل ذلك دوما كما يفعل الأطفال. وهذه الصفة الطفولية - هى صفة الاستنارة.

وحينما يتحدث الناس عن الاستنارة، فإنهم عادة ما تأتى إلى أذهانهم فكرة شخص ما كبير السن وعاقل. وهم يعتقدون أن الإنسان المستنير هو شخص تقدم فى سنه، وصار مجربا. لذلك فإنه يصبح حكيماً، ومتعلماً فى حقيقة الأمر. وأنه قد جمع مئات الملايين من أطراف المعلومات. وهذا فى ظنهم يجعله مُسناً وعاقلاً، ويكون محلاً للثقة وطيبا - أى صار مستنيراً. ولكن من زاوية الحكمة المجنونة، فإن الاستنارة تختلف تماماً عن ذلك. فهى لا علاقة لها بأن يكون المرء مسناً أو عاقلاً. ولكنها أكثر قربا بأنه شاب عاقل، لأنها تتضمن انفتاحاً هائلاً تجاه استكشاف الخبرات التى توجد فى حياتنا - تجاه اكتشافها سيكلوچيا، على مستوى العلاقات، وعلى المستوى المحلى، وعلى االمستوى العملى، وعلى المستوى الفلسفى. وهكذا.

وهناك أيضا صفة عدم الخوف فى الاستنارة، أى عدم النظر إلى العالم باعتباره عدوا، وعدم الشعور بأن العالم سوف يقوم بمهاجمتنا إذا لم نعتن بأنفسنا. وبدلاً من ذلك فهناك ابتهاج هائل فى استكشاف حد الموسى، مثل الطفل الذى يتصادف أن يلتقط شفرة موسى عليها بعض العسل. فهو يبدأ فى أن يلعق هذا العسل، ويشعر بالمذاق الحلو ثم يسيل الدم من لسانه فى نفس الوقت. فهناك ألم وسعادة فى آن واحد تستحق الاستكشاف، من زاوية السلامة التى تتضمنها الحكمة المجنونة. وهذا الشعور [من حب الاستطلاع الطبيعى] هو صفة الشاب الأمير لپادماسمباهاڤا. إنه رمز عدم العناية، وفى نفس الوقت العناية بدرجة كبيرة - كونه شغوف بالتعلم، وشغوف بالاستكشاف.

ومن المحتمل أن تكون كلمة «التعلم» هنا كلمة خاطئة - إنها ليست التعلم بمعنى جمع المعلومات، وإنما هى بالأحرى استيعاب ما يحدث حولنا، والارتباط به بصفة مستمرة. وهذا النوع من التعلم له صفة خاصة فنحن لا نتعلم أشياءً لكى نستعملها عن نقطة معينة لكى ندافع عن أنفسنا. بل إننا نتعلم الأشياء لأنه من دواعى السرور أن نتعلمها، إنه من الروعة أن نتعلم. إنه يشبه الصبية حين يلعبون بلعبهم. فهم يكتشفون لعبهم من أى مكان: فهى ليست لعبا ذات صفة تعليمية،

ولكنها مجرد أشياء حولهم.

لقد ولد پادماسمباهاڤا من زهرة لوتس دون أن يكون له أبوان، ولم تكن به حاجه لأن يتعلم. فلم يكن بحاجة إلى والدين لتربيته نحو رجولة مسئولة ومحسوسة. لقد قيل انه ولد من زهرة لوتس كما لو كان عنده سلفاً ثمانون عاماً. فليس هناك حدود للعمر. فكيفما كان عمره، فسوف يظل طفلاً شاباً، أودعنا نقول طفل مسن. فكلا الاثنين يرقى إلى نفس الشئ.

وأحد أهم النقاط هنا هو وجود شعور بالاستكشاف نحو حالة وجودنا لا علاقة له بالتعليم، وجمع المعلومات. إننا نستكشف فقط لأننا مبتهجون، مثل الأطفال الذين يلعبون بلعبهم. إن هذه الصفة التى تشبه حال الصبية موجود فى داخلنا دائما، بصفة مستمرة. وهذه هى صفة پادماسمباهاڤا.

ومرة أخرى، هذه الصفة تتضمن عدم الخوف. والمشكلة التى نواجهها مع عدم الخوف هو أن طريقتنا السمسارية[×] فى تناول الأشياء تحول بيننا وبين الاستكشاف بحرية. ورغم أن لدينا شوقاً بالغاً تجاه ذلك، فإننا نشعر بأننا يمكن أن يصيبنا الأذى لو أننا استكشفنا بأكثر من اللازم. إنه الخوف. إن الصفة الطفولية لبادماسمباهاڤا هى عدم الخوف، لأنه لا يهتم بأن يصيبه الأذى. إن ذلك ليس بسبب أنه ماسوشى أو سادى على الإطلاق. إن ذلك بسبب أن لديه شعوراً بالتقدير، شعوراً بالانفتاح الكامل فى ارتباطه بالأشياء - ببساطة ومباشرة. إنه لا يرتبط مع الأشياء لأنها أشياء تعليمية، ولكن فقط لأنها موجودة هناك. إن الارتباط يحدث ببساطه، ثم يتطور.

إن الأمير الذى ولد من اللوتس قد تم اكتشافه من قِبَلْ إندرابوتى، ملك أودى يانا. ولمدة طويلة كان الملك إندرابوتى يصلى لكى يهبهَ الله ابنا، ولكنه لم يتمكن من ذلك. وفى أحد الأيام ذهب أحد الحضور فى بلاطه إلى بحيرة دانكوشا لجمع بعض الزهور للقصر الملكى، واكتشف هذه اللوتس الغامضة.

(×) نسبة الي مبدأ السامسرة الروحي (المترجم).

لقد تفتحت وجلس عليها طفل شاب، مرح، محب للاستطلاع وجميل الطلعة. وأبلغ رجل البلاط ذلك الأمر إلى الملك، الذى قرر من فوره إحضار الطفل إلى بلاطه، وتبناه باعتباره ابناً له، ليكون ملك المستقبل.

ولقد اكتشف پادماسمباهاڤا المواقف البهيجة فى القصر الملكى. ولكن بعد انقضاء بعض الوقت فإن الطعام والثروة ووسائل الراحة من كل نوع بدأت تصيبه بالملل والضجر. وقرر إندرابوتى أن يرتب زواجاً لپادماسمباهاڤا ليقترن بابنه ملك مجاور حتى يجد پادماسمباهاڤا رفيقاً يلعب معه. وتم الزواج ومضى بادماسمباهاڤا فى اكتشاف الأشياء. فاكتشف الجنس ومزاولته، والصحبة، والطعام والثروة وهكذا.

إننى أود أن أوضح شيئا واحدا بوضوح كامل هنا، وهو أن الموقف برمته لم يكن مجرد أن پادماسمباهاڤا كان عليه أن يكبر، أو أن يكتسب معلومات حول الحياة.

وحين زصبح پادماسمباهاڤا أميراً - حتى بالنسبة لحقيقة أنه ولد فى نبات االلوتس - لم تكن رحلته، ولكنها كانت رحلة إندرابوتى. وكان يقتضى تقديم الطعام والمليس ومصاحبة النساء إلى ضيف الملك إندرابوتى. لكن پادماسمباهاڤا ترك هذا الكلام وحسن الضيافة بالرقص على سقف القصر حاملا معه رمحاً ثلاثى الشعب، وقطعة أخرى من الحديد. وكان يرقص هناك، وترك صولجانية يسقطان من أعلى السقف، كما لو كان ذلك بطريقة الصدفة. واخترق الرمح قلب زوجة الوزير التى كانت تسير أسفل القصر، أما الأداة الأخرى فوقعت على جمجمة ابنها. وماتت الأم وابنها على الفور.

ماذا تعتقدون أنه قد حدث بعد ذلك؟ تم طرد پادماسمباهاڤا من المملكة، فقد كان عمله ضد القانون. فالقتلة لم يكن يسمح لهم بالبقاء فى المملكة. فقد كان كل شئ فى المملكة يتم بطريقة صحيحة وطبقاً للقانون، حتى أن هذا الطفل الغامض الذى ولد من نبات اللوتس كان عليه أن يغادر البلاد - وذلك ما كان يبحث عنه بادماسمباهاڤا. فقد كان يود النفاذ من هذا الموقف، وأن يستمر فى

استكشافاته من كل نوع.

وبالطبع فإننا كتلامذة لا يتوجب علينا بالضرورة أن نتبع أسلوب پادماسمباهاڤا تماماً. وليس علينا بالضرورة أن نخوض كل العمليات التى خاضها. وفى الحقيقة، فإن ذلك مستحيل، فموقفنا لا يسمح لنا بذلك. وعلى أية حال، فإن نموذجة فى اكتشاف العاطفة والعدوان هو نموذج مثيرجداً جداً للاهتمام - نموذج يستحق الارتباط به، ويستحق الاكتشاف. وعلى أية حال، إن القدرة على الاكتشاف يعتمد على عدم الخوف. إن درجة عدم الخوف لدينا - إذا صحَّ القول - هى مقياس السرعة لسلامتنا. [على سبيل المثال، هو المؤشر على مدى المسافة الذى نقطعها]. إن حالة الصحوة التى يتسم بها العقل تمد بشعاعها [وإلى المدى الذى نبلغه]. وطبقا لما ورد فى التعليمات المكتوبة، فإن الشخص العادى لا ينبغى له التصرف كشخص يمارس إليوجا، ورجل إليوجا لا ينبغى له أن يتصرف مثل رجل البودستاڤا، ورجل البودستاڤا لا ينبغى له أن يتصرف كما يتصرف «السيدا»، ورجل السيدا لا ينبغى له أن يتصرف كالبوذى. وإذا تجاوزنا حدودنا، وإذا قررنا أن نكون بدائيين وأن تتنابنا النزوات، فإننا نصاب بالأذى. إننا نحصل هكذا على التغذية الاسترجاعية: إذ تصلنا رسالة قوية جداً. فإذا تجاوزنا حدودنا، يصبح الأمر مدمراً.

لذلك فإن فكرة الحكمة المجنونة لا تتضمن مجرد أن نصبح بدائيين، وأن تتنابنا النزوات. إن الأمر بالأحرى يكون بالارتباط مع مخاوفك. ويتوقف قدر استكشافاتك على القدر من المخاوف الأساسية التى ارتبطت بها - ولا أقول تغلبت عليها. فإذا فعلت ذلك طبقاً لقدر المخاوف الأساسية التى ارتبطت بها - إذن، فإنك لا تكون قد تجاوزت حدودك.

ومن الغريب تماماً، أن يقال إن الحكمة المجنونة شديدة الحياء والجبن. إن الجبن يولد الحكمة المجنونة. والتصرف هو الجانب الأفضل من الشجاعة.

إن الحكمة المجنونة لا تشابه أى فكرة أخرى من الطريق الذى ناقشناه فى موضع آخر. وعلى سبيل المثال، فإنه طبقا لطريق الپودستاڤا، فإنك تكبر من

البومى الأول إلى الثانى، وهكذا حتى تصل إلى البومى العاشر، وأخيرا تصل إلى الحادى عشر، وهى حالة الاستنارة الروحية. فالتعاليم المتعلقة بطريق انبودستاڤا تنبنى على الكبر، وتقدم السن، واكتساب مزيد من الخبرات بصورة مضطردة. فأنت تحصل معلومة بعد أخرى. وتكتسب المزيد من المعلومات، ومن الفهم. وحين تستطيع بناء نفسك أكثر فأكثر تصبح تلميذا عظيما وبوذياً عظيم بطريقة ما، ولكن طبقا لنماذج باادماسمباهاڤا فلا توجد فكرة للاستنارة والتحقق تأتى نتيجة جمع المادة، والخبرات. إن أسلوب پادماسمباهاڤا هو واحد من تجربة مواقف الحياة كطفل يعيش بطريقة تلقائية، وأن يود البقاء طفلاً مدى الحياة. وأحد الشروط التى يتم تطويرها فى تقاليد «مها - آتى» بالنسبة لهذا المبدأ هو «شونيوپوم كو» أى «الأمير الشاب فى مزهرية».

فالمزهرية تمثل موقفاً جنينياً - جنينى، ولكنه شاب فى نفس الوقت. وكسر المزهرية هو قلب لمبدأ التريكايا. لقد حصلت على الدارماكايا، وذلك عند كسر المزهرية، ثم تنزل إلى السامبوچاكايا، والنرماناكايا. أى أنك تنزل إلى الأرض. وهناك عملية مشابهة تتجسد فى صور قطعان الثيران. وعند النقطة التى لا يوجد فيها مزيد من الثيران أو من رعاتها فإنك تعود إلى العالم.

لذلك فإن التركيز الرئيسى هنا هو فى روح الشباب التى تتضمنها حالة الوجود المستنيرة. وهذه الروح الشبابية هى سرعة التجربة، وهى الصفة الاستكشافية الخاصة بها.

ولكننا ربما سألنا، «ألا يعمل الاستكشاف على أن يجعلنا أكبر سناً، أى يجعلنا مسنين؟» فعلينا أن نخصص قدراً كبيراً من الطاقة لعملية الاستكشاف. ألا يكون حالنا كحالة أحد المسافرين الذى يبلغه الكبر خلال عملية السفر؟. فمن زاوية الحكمة المجنونة، فإن الأمر لا يكون على هذا النسق. إن عملية الاستكشاف لا تضع ضغطاً على المرء. وربما تراءى لك أن تفعل نفس الشئ المرة بعد المرة، ولكن فى كل مرة فإنك تكتشف وجوها جديدة له يجعلك أكثر شباباً.

إن الاكتشاف يرتبط مع الطاقة. الأمر الذى يعمل على تغذيتك بصفة

مستمرة. وهو يجلب لحياتك حالة صحية كاملة جداً. لذلك ففى كل مرة تستكشف، فإنك تكتسب صحة جديدة. وعلى الدوام تعود إلى شعور بأنك تعاصر الزمن فى تجربتك عن العالم، وعن حياتك. ولذلك فإن الأمر برمته يصبح إعادة لشبابك بصفة دائمة.

والآن، فإن پادماراچا ذلك الصبى الجميل، حين طرد من مملكته هائماً على وجهه فى مكان ما فى ضواحى مدينة اندرابوتى، يجرب أرض المقابر والمجاهل بما فيها من أفاعى سامة، ونمور وغيرها، فلنتأن الآن فى قصتنا هذه.

طالب: «الأمر فى المزهرية» يكون قد جاز صفة الدارماكايا. وحين تكسر المزهرية، فهل هذا يبدأ فى حركته للخلف تجاه النيرماناكايا؟

تروبجبارينبوكى: نعم، إن ذلك يقلب التريكايا.

طالب: هل ولد پادماسمباهاڤا سلفاً على هيئة الدارماكايا؟

تروبجبا: نعم، ثم نزل إلى الأرض. إن نزع الجاذبية هى نوع من العواطف. فبمجرد أن تكون دارماكايا، فإنك لا تستطيع البقاء هناك. إنك تعود إلى العالم بطريقة السامبوچاكايا والنيرماناكايا.

طالب: لقد صادفت الاستعارة التى استخدمتها، بلعق العسل من على نصل الموسى فى كتاب «حياة وتعاليم ناروبا» (٤) فقد ظهرت فيه باعتبارها استعارة مرتبطة بالحقائق الأربعة النبيلة التى تظهر المعاناة التى يجب تحاشيها، أو ذلك الشخص الذى حلت به الاستنارة ويجب عليه تحاشيها حين يعلم بوجودها. فهل استخدامك لها هنا تعنى أنه من وجهة نظر پادماسمباهاڤا أن الحقائق الأربعة النبيلة لم تعد حقيقية؟

تروبجبارينبوكى: إنها طريقة مختلفة فى الاقتراب من الحقائق - أو إنها ليست حقيقة مختلفة لكنها أصيلة، إذا جاز التعبير. فهنا المعاناة لا يجرى النظر إليها كشئ ينبغى عليك تجنبه أو التخلى عنه، وإنما يجرى النظر إليها بالأحرى على أنها حقيقة، فهل ترى ماذا أعنى؟

طالب: إنه ما تتذوقه.

ترونجبا: إنه ما تتذوقه، نعم، جين تستكشف مدى دقة كل شيء. كما يفعل طفل في ذلك.

طالب: هلى ينبغى أن تكون عملية الاستكشاف مؤلمة؟

ترونجبا: إن الألم أمر تحكمى فى هذه النقطة. فإن التجارب لا يجرى النظر إليها على وجه الخصوص على أنها مؤلمة أو مبهجة. إنها هى كيفما تكون.

طالب: لقد قلت لنا إن الصبى لم يكن خائفاً. ثم قلت إن الجبن هو الطريق. فهل لا يعتبر الاثنان متناقضان.

ترونجباريتبوكى: إنهما كليهما يعتبران نفس الشئ عند تلك النقطة. إنك لا تخاف لأنك لا تذهب إلى ما وراء حدود معينة، إنك غير خائف «كما هى» وعلى ذلك فأنت جبان فى نفس الوقت. ربما كان ذلك يستعصى جداً على الفهم. ولا أدرى هل جعلت نفسى واضحاً.

طالب: لدى نفس السؤال. حينما قلت لنا، «إنه يرجع إليك» كان يبدو أن لدينا الخيار حول الحدود التى نتوقف عندها، كما لو كنا قد خلقناها بأنفسنا.

ترونجباريتبوكى: إننى لا أرى لِمَ لا، لأن حدودكم هى الحدود التى «وضعتموها».

طالب: إنها لا تشعر وكأنها «حدودى». إنها شئ ما استكشفه، وأنا أمضى فى طريقى.

ترونجبا: حسنا، عليك أن تستكشف هذه الحدود. ولذلك قمت بصنعها وأنت تمضى فى طريقك.

طالب: هل تقصد القول، بأننى لو أردت ذلك، فإننى سوف استكشف حدوداً أخرى بدلا من ذلك؟

ترونجبا: على وجه التحديد! هذه المسألة برمتها.

طالب: ما هى المسألة حول الذهاب إلى ما وراء تلك الحدود؟ يبدو أنك تود القول بأن الحكمة المجنونة لا تحبذ الذهاب إلى ما وراءها.

ترونجبا: نعم.

طالب: هل الذهاب إلى مـا وراءها سـوف يكون مـثل الذهاب إلى نطاق من الخوف المطلق أو شيء من هذا القبيل؟

ترونجبا: حسنا، هذا أمر سهل جداً - على مستوى رياض الأطفال. إن ذهابك إلى ما وراء حدودك يجعل الأشياء تتصاعد إلى أعلى. وليس بالأحرى تتعدى حدودك الحالية. إنها سوف تتحول إلى صنع عالم من الأحلام.

طالب: هل تفرق بين الحدود المصطنعة وبين الحقيقى منها؟

ترونجبا: بالتأكيد.

طالب: وأنت لا ينبغى أن تذهب إلى ما وراء الحقيقى منها؟.

ترونجبـا: إنك لا تستطيع الذهاب إلى ما وراء هـذه الحـدود على أية حـال. فهى حدود حقيقية. إنك لا تستطيع. إنك لا تستطيع الارتبـاط معهـاً. لأنك سوف تذهب إلى ما وراء قدرتك.

طالب: إذن ليس هناك خطر فى ذهابك إلى ما وراء الحدود الطبيعية؟

ترونجبا: حسناً، إن المرء يميل غالبا لمحاولة استكشاف ذلك.

طالب: وإذن ما هو وجه الاختلاف بين استكشاف هذه الحدود والذهاب إلى ما وراءها؟

ترونجبا: انظر، إن المسألة هى أننا لا نثق حتى فى قدراتنا. عادة لا نثق فيها. وهنا قـد يلعب عـدم الخوف جـانبـاً هامـاً - فى استكشـاف النطاق الكامل لقوتك. ولكن الذهاب إلى ما وراء ذلك هو الطيش والعبث، إذا أقدمت على ما يجعلك محلاً للتدمير. ولذلك فإن انعدام الخوف ليس الإقدام على صنع شئ لا يحـتـمل خـارج نطاقك، ولكنه استكـشـاف للـمـدى الكامل لإجمالى ما لديك من قوة.

طالب: ما الذى يمنع شخصا غير خائف من الاستكشاف خارج حدود قوته؟

ترونجبا: إن رسالة ما سوف تعود إلى ذلك الشخص.

طالب: وهل يمنع ذلك حقاً شخصا يكون عديم الخوف من المضى إلى ما وراء قوته، ومن استكشاف كل شئ؟

ترونجبا: لا يزال انعدام الخوف موقفا مشروطا، فإن مثل ذلك الشخص سوف لا يكون عديم الخوف من «كل شئ».

طالب: هل ذلك هو استخدام الجبن كنوع من الذكاء؟

ترونجبا: نعم.

طالب: وهل هذا هو الجانب الخاص بالحكمة من مبدأ الحكمة المجنونة؟

ترونجبا: إلى حد ما. فإذا نظرت إلى الحكمة المجنونة باعتبارها نوعا من الطيش، أو العنف الكامل، فهذا ليس حسناً أو صحياً. إنك تدع نفسك معرضاً للهلاك. هذه هى الفكرة المعتادة لدى الناس. وأنت تعلم: أنك إذا كنت تحاول أن تتبع سبيل النزوة، فما عليك إلا أن تندفع أكثر. أدفع الأمور أكثر.

طالب: يبدو أن مثل هذه الحدود تفترض سلفا هيكلاً مستقلاً عن أى شخص - هيكلاً من الحدود يتجاوز ما لا ينبغى على المرء أن يخاطر بولوجه.

ترونجبا: ليس تماماً. أنه يتوقف على علاقة الفرد بهذا الهيكل.

طالب: إن الرسالة أو الفحوى التى توصلت إليها من كل ذلك هى أن المرء ينبغى أن يكون على وعى بحدوده بحيث لا يخطو فوقها ويصاب بالأذى.

ترونجبا: ليس بالضبط، إن الأمر يتعلق بأن يكون المرء حذراً.

طالب: كيف يتسنى لك معرفة متى كنت حذراً؟ويبدو أن هذه هى القضية. كيف يمكنك معرفة فتى يكون عليك أن تنسحب إلى الخلف أو أن تتقدم نحو الأمام؟

ترونجبا: ينبغى عليك أن ترتبط مع ما يحدث فى العملية بأكملها. فإذا بدأت بملاحظة أن هناك موقفا خادعا مثل «ربما أستطيع محاولة شئ ما أفضل من هذا» فحينذاك تكون قد بدأت فى تطوير الخوف سلفاً، لأنك لا تكون قد غامرت فعلاً فى ولوج هذه المنطقة من قبل. فالتحذير يأتى من الشعور بخداع النفس.

طالب: وكيف تدرك ذلك الخداع؟

تروبجبا: إنه أمر واضح جداً. إننا فقط نعرف أنفسنا. إننا أقرب الأشخاص إلى أنفسنا التى بين جنبينا. ونحن نعلم متى نقوم بخداع أنفسنا ومتى لا نفعل ذلك. فليس هناك مؤشرات نحتاج إليها لذلك. ذلك شئ يتم إدراكه بينك وبين نفسك.

طالب: من المحتمل أن يفيدك جداً أحد المدرسين فى تشجيعك فى بعض المجالات.

تروبجبا: إن لديك هذه المجالات سلفاً. ان لديك الإمكانية سلفاً لإعادة استكشاف قوتك وقدراتك. إن المدرسين لا يستطيعون متابعة أحوالك، ولا أن يعيشوا معك، ولا أن يلازموك طيلة الوقت. ومدرسك لا يستطيع دوماً أن يكون هناك لإرشادك، ولكن الخداع الذى يصيب نفسك هو الذى يرشدك طيلة الوقت.

طالب: هل تبدأ الكارما فى أخذ شكلها فى الدارماكايا؟

تروبجبارينبوكى: إننا نلجأ إلى عدة آراء فلسفية مختلفة، لعدة مدارس مختلفة فى هذه النقطة. وبعض الناس يقولون إن الكارما لا تتطور عند تلك النقطة، وبعضهم يقولون إن هناك كارما فى الدارماكايا، لأن الدارماكايا هى أيضا كيان منفصل، ولها نوع من الولاء نحو النيرفانا. وقد يقول لو نجشن رابجام أحد المدرسين لفلسفة «ماها آتى» أن الكارما تكون قد تطورت سلفاً، لذلك فإن مدرستنا هذه قد تقول بأن الكارما قد تطورت من قبل على مستوى الدارماكايا. إن الدارماكايا تبعث لك برسالة السلامة بسبب عدم السلامة التى كانت فيك من قبل. ولذلك فالمسألة هى نوع من علاقات الارتباط والعمل، فالعمل بالعلاقات يكون قد حدث سلفاً. وبمعنى آخر فإن عجلة صانع الفخار فى «النيدآنا» الثانية تكون تطورت سلفاً.

طالب: لماذا يختار پادماسباهافا مثل هذه الوسائل الدرامية للتعبير عن عدم رضاه عن المعيشة فى القصر؟ ولماذا كان عليه أن يلعب بالرمح وأن يسقط الآلة

الحديدية الأخرى، يخترق القلب وأن يدمر الجمجمة؟ لماذا لم يغادر ببساطة؟

ترونجبابنبوكى: إن خروجه من القصر قد يعنى الهروب. فبالنسبة له لكى يختفى ثم يكتشف كمفقود يعطى الانطباع الخاص بشخص شفاف جداً يخشى من الاتصال بأى شىء ويلوذ بالهرب. لكن پادماسمباهاڤا له ثقل أكثر كثيراً من ذلك.

طالب: هل يكون الخوف شيئا يختلف عن مجرد الإسقاط؟

ترونجباريتبوكى: إن الخوف رسالة شأنها شأن الرادار. وهى دوما موقف للعلاقات. إنه ليس مطلق. وهو ليس مستقلاً عن الثنائية. وإننى أعتقد أن مدخل الحكمة المجنونة بالنسبة للخوف هى أنها لا تنظر إليه ليس كمرحلة وصل فقط، ولكن تعترف به بأنه ذكى. إن له رسالة خاصة به. ان الخوف يستحق الاحترام. إذا نحن طرحنا الخوف ظهريا على اعتباره عقبة وتجاهلناه، فلربما انتهى بنا الأمر بالمصائب. وبمعنى آخر، فإن الخوف رسالة حكيمة جداً.

طالب: إن تجربتى مع الخوف هو أنه يبدو فعلاً ظهور كبير لما يصيبنى من اضطراب. وواحدة من التجارب إليومية هو أن الخوف هو أكذوبة وفخ، إنه فخ هائل للطاقة. إننى فقط أحاول الابتعاد عن الوقوع فى حبائله.

تروبجبا: حسنا أنت ترى، القضية هى أنك تتفحص الخوف أو أنك تعمل على تخويف ذلك الخوف. وعليك أن تحترم الخوف. ربما حاولت أن تقول لنفسك، إن ذلك ليس حقيقيا، وإن ذلك ليس صحيحا. ولكن النوع من الأقتراب يعتوره الجدل. ومن الأفضل أن تطور نوعاً من الاحترام، وأن تتحقق من أن المرض العصابى هو أيضا نوع من رسالة، وليس بالأحرى نوعا من البقايا التى ينبغى التخلص منها. هذه نقطة البداية بأكملها - إن فكرة السامسارا والنرڤانا هماشىء واحد. فالسامسارا لايجرى النظر إليها كمدعاة للضيق فقط، ولكن لها رسالتها القوية التى تستحق الأحترام.

طالب: إننى بعيد عن أن أقذف بها بعيداً، ولكن فى نفس الوقت فإننى لا أود أن أجعلها قضية مركزية، وألا أصنع منها لغزاً غامضاً. ولذلك توازن دقيق بين عدم إلقائها بعيداً، وبين محاولة تركبها إلى حال سبيلها.

ترونجبا: حسناً، إن لديك التجربة من قبل، ولا ينبغى لك أن تسأل ذا التجربة عن كيفية تناولها دبلوماسيا.

طالب: لا يبدو أن هناك مجالاً واسعاً للاختيار. فالخوف له مثل تلك القوة الهائلة.

ترونجبا: حسناً، هذا رائع. لذلك فليس أمامك أية فرصة للتفكير فيه، أو أن تصنع له ستراتيجية. مجرد أن تقفز.

طالب: هناك نوع من الخوف يعتبر بمثابة تهديد للذات، حينما يكون أحد أنواع الخداع يجعلك تشعر بالتهديد. فهل هناك فارق بين ذلك النوع من الخوف، وبين الخوف من أن تذهب إلى ماوراء حدودك الحقيقية؟

ترونجبا: يبدو أن هناك فارقاً، نعم. فهناك الخوف من عدم القدرة على تناول مالديك، وهناك أيضا الشعور باحتياجك إلى شىء أكثر مما لديك. فالتردد فى التعامل مع مالديك يمكن التغلب عليه بقفزه، ولكن الحاجه إلى ارتجال أو اختراع مزيد من التسلية هو نوع من الخداع.

طالب: الخداع فى أن تذهب إلى أبعد من حدودك.

ترونجبا: نعم.

طالب: هل يمكنك تخاذ قفزه دون أن يصيبك القلق حول حدودك؟

ترونجبا: حسناً، إذا استطعت، فاقفز، وإلا ما استطعت حتى أن تقفز. إذا استطعت، خذ قفزه. ثم، عند قيامك بالقفز تعود طبيعيا [إلى العلاقات الصحيحة مع حدودك]. ومالم تحاول القيام بقفزه جبارة، فإنه فى هذه الحالة فإنك لا تعلم حتى ماذا أنت فاعل، ولكنك تفعل ذلك لأنك تود رعاية نفسك. إن ذلك يشبه تعاطى جرعة أكثر من اللازم.

طالب: هل يعتبر شعور الاستكشاف الذى تتحدث عنه هو نفس الشىء

كالاحتفاظ بالمسافة الخاصة بك مفتوحة، أم أنها فكرة مختلفة؟

ترونجبارينبوكى: حسناً، يبدو أنها كذلك. إن الاستكشاف لا يستوجب أن يكون مظهراً لشىء ما. إنه موقف يتضمن العزم على التعايش مع ما يأتى به القدر. إنه إلى حدما شعور بالثنائية من نوع ما.

طالب: غالبا وفى الرحلات الروحية، وخصوصا حين تنطوى على ممارسات كثيرة، ويكون هناك ميل للحاجة إلى بعض التمارين التى لا تعلم شيئا عنها. فهل ترى فى ذلك أنه حالة من حب الاستطلاع المفيد أم الاستكشاف؟

ترونجبا: ليس إذا لم تكن تعلم موضع أقدامك. فهناك فارق بين استكشاف ما هو هناك واستكشاف ما ليس هناك. فحين يلعب طفل بحد الشفرة. فإن الشفرة تكون هناك، والعسل هناك على حد الشفرة. ولكن إذا كان الطفل يحاول شيئاما فى الخارج، فيما رواء نهاية الشرفة أو البلكونة، فليس هناك ماوراء الشرفة إلا السقوط. وهذا ،و الانتحار.

طالب: حين يصل المرء إلى الحكمة المجنونة ، لماذا يصبح أحد الناس مثل مادمان من تسانج، ويصبح الأخر شخصا يشبه مثل معلمك الروحى.؟

ترونجبارينبوكى: أعتقد أن ذلك يتوقف على ما نجده من ظهور، وعلى طريقتنا فى النظر للأشياء. إن الأمر يتوقف على ما نحن مستعدون له. إن معلمى الروحى كان أحد الحضور فى مجالس مادمان من تسانج، ولقد كنت أنا أحد الحضور لمعلمى الروحى. ولم اكن بهذا الجنون فى ذلك الوقت، ولذلك فلم يكن مجنونا جداً. ولكن المادمان من تسانج كان بدرجة الجنون التى كان عليها. لأن معلمى الروحى كان مجنونا بالدرجة الكافية التى مكنته للارتباط بها.

الموت وشعور التجربة

إن استكشاف الأمير الشاب حول مواقف الحياة تتصل بشعور من الخلود. واكتشاف مواقف الحياة هو بمثابة إيجاد نوع من الصداقة مع العالم، وهذه الصداقة مع العالم تتكون من النظر إلى العالم باعتباره جديراً بالثقة. [انه يصبح جديراً بالثقة لأن] هناك شيئا سرمديا فيه. وحين نتحدث عن الخلود، فإننا لا نتحدث عن الخلود لكيان واحد معين يستمر ويستمر، كما هو الحال فى المعتقدات الفلسفية عن الخالدين. وفى هذه الحالة فإن عدم الاستمرارية هى الأخرى تعبير عن الخلود. ولكن قبل مناقشة الخلود، فقد يكون من المستحسن مناقشة الموت.

الموت هو التجربة الموحشة التى لا تستطيع أنماطنا العادية أن تستمر كما نود لها ذلك. فأنماطنا المعتاده تتوقف عن أداء وظائفها. فهناك قوة جديدة، وطاقة جديدة تأخذنا بعيداً، والتى هى عملية الموت، أو وقف الاستمرارية. ومن المستحيل الاقتراب من وقف الاستمرارية هذه من أى زواية. وعدم الاستمرارية هذه هى شىء لا تستطيع الاتصال به، لأنك لا تستطيع أن تجلب السرور إلى هذه القوة الخاصة. فأنت لا يمكنك مصادقتها، ولا يمكنك التدقيق فيها، ولا يمكن التحدث إليها. إنها قوية بدرجة بالغة ولا مهادنة معها ولا أنضاف حلول بشأنها.

هذه الحالة من انعدام الخلود التوفيقية يسد الطريق أمام التوقعات بالنسبة للمستقبل. إن لدينا خططنا - مشروعاتنا من كافة الأنواع نود أن نعمل فيها. وحتى لو أنتابنا الضجر من الحياة فإننا نظل راغبين فى أن نظل قادرين على التغلب على هذا الضجر. وهناك أمل مستمر فى أن يبرز شىء ما أفضل من مواقف الحياة المؤلمة، أو ربما اكتشفنا طريقة أخرى لمد نطاق المواقف المبهجة. لكن شعور الموت قوى جداً، عضوى جداً، وحقيقى جداً.

وحين تكون على أهبة الموت، فقد لا يخبرك أطباؤك أو أقرباؤك، أو أوثق أصدقائك صلة بك بأنك فى طريقك إلى الموت. فقد يجدون الأمر صعباً أن ينقلوا ذلك إليك، ولكنهم ينقلون تعاطفا لا تعبر عنه الكلمات، وهناك شىء ما

خلف هذا.

فى العالم التقليدى، فالناس لا يدون الارتباط مع صديق يكون فى حالة وفاة. ولا يودون أن يرتبطوا بتجارب أصدقائهم عن الموت باعتباره شيئا شخصيا. إنه نوع من الحيرة المتبادلة، هى مأساة متبادلة لا يرغبون فى الحديث عنها. وإذا كنا ننتمى إلى دوائر غير تقليدية، فلربما اقتربنا من شخص يموت لنقول «إنك تموت»، ولكن فى نفس الوقت نحاول أن نقول له «بعد كل شىء، فهذا ليس شيئا سيئا ذلك الذى يحدث لك، أنت ستكون على ما يرام. فكر فى تلك الوعود حول الخلود الدائم الذى قد سمعت عنه. إشكر الله وفكر فى النجاة». ونظل لا نود أن نصيب كبد الحقيقة. فإننا لا نتحدث عن المظهر، أو عن الحجم، أو عن التجربة الأليمة التى خاضها باردو. إننا نحاول مواجهة الموقف لكن الأمر محير ومربك. ورغم أننا نتحلى بالشجاعة الكافية لأن نقول إن شخصا ما فى سبيله للموت، فإننا نقول: «ولكن لا تزال، فى طريقك إلى أن تصبح على مايرام. إن كل واحد حولك يشعر شعوراً إيجابياً بذلك. وإننا نحبك. تقبل الحب الذى نشعر به تجاهك معك واصنع شيئا به وأنت تترك هذا العالم، وأنت تموت». هذا هو الموقف [موقف التحاشى] الذى نملكه تجاه الموت.

إن التجربة الحقيقية للموت، كما شرحتها من قبل هى شعور بالتوقف عن البقاء، وبتوقف الروتين العادى لحياتك اليومية عن مباشرة وظائفه وتتجه نحو شىء آخر. إن الأثر الأساسى للتجربة هو نفس الشىء. وهو أنك تعتقد فى البعث أم لا: إنه عدم استمراية ما تفعله. إنك تترك رفقاءك الحاليين خلفك. إنك سوف لا تصبح قادراً بعد الآن على قراءة ذلك الكتاب الذى لم تكمله إنك لن تكون قادرا على الاستمرار فى المشروع الذى كنت تتناوله، ولربما حاول الناس الذين انهمكوا فى مبدأ البعث أن يخبروك. «حينما تعود، فإنك سوف تنهى قراءة هذا الكتاب سوف تعود إلينا، ربما أصحبت واحداً من أطفالنا. فكرة هذه الاحتمالات». وهم يميلون إلى قول مثل هذه الأشياء، ويقدمون الوعود من كافة الأنواع. وهم يقدمون الوعود حول كونك مع الإله، أو أن تعود إلى

العالم، وأن تستمر فى مباشرة الأشياء التى تركتها خلفك.

وفى هذا النوع من الحديث، هناك شىء ليس مفتوحاً. هناك بعض أنواع الخوف، الخوف المتبادل، حتى على الرغم من الاعتقاد فى الخلود أو البعث. هناك خوف وحيرة حول الارتباط مع الموت، وهناك دوما شعور بشىء غير مرغوب فيه. حتى لو كنت تقرأ على صديقك فصلاً من «الكتاب التبتى عن الموتى»(٥) أو كيفما يكون الحال. وربما قلت لصديقك، «رغم أن شيئا مفزعا يحدث لك فإن هناك شيئا أعظم. فالآن فأنت بسبيل الحصول على فرصة الدخول إلى تلك التجارب التى وصفت فى «الكتاب التبتى عن الموتى». ونحن سوف نساعدك فى ذلك». ولكن مهما حاولنا، فهناك ذلك الشعور بشىء لا يمكن إصلاحه، ومهما كان نوع الصورة الإيجابية التى نود أن نصورها لك.

ويبدو الأمر، مدهشا تماماً، أنه بالنسبة لكثير من الناس. خصوصا فى العالم الغربى، فإن قراءة «الكتاب التبتى عن الموتى» للمرة الأولى يكون مثيراً جداً. وبالتفكير فى هذه الحقيقة، توصلت إلى النتيجة، بأن هذه الإشارة تأتى من الحقيقة بأن هناك وعوداً هائلة قد قدمت. والانبهار بهذه الوعود التى وردت فى كتاب الموتى «تطيح بعملية الموت نفسها. لقد كنا نبحث لمدة طويلة عن وسيلة للقضاء على المضايقات التى تصيبنا، مبالغ كبيرة من المال على الأكفان، أو تهيئة الجثة، أو القماش الذى تلف فيه. ويدفعون الأموال للجنائز الغالية. وهم يحاولون بشتى الطرق إزاله ما يعلق بعملية الموت من حيرة وارتباك. وهذا هو السبب فى أن «الكتاب التبتى عن الأموات» يلقى مثل هذه الشعبية ويعتبر من ثم شيئاً مثيراً.

لقد أصبح الناس فى حالة إثارة واحتفوا بفكرة البعث بنفس الطريقة. ومنذ عدة عقود زمنية قليلة، حينما طرحت فكرة البعث للمرة الأولى، فإن كل امرئ كان مستثاراً تجاهها. وهذه طريقة أخرى لتقويض لموت. «إنك سوف تستمر، أنت مدين للكارما فى العمل، وسوف يعود إليك أصدقاؤك، ولربما عدت إلينا كواحد من أطفالى» ولم يتوقف أحد عن التفكير. هل سيعود على هيئة ناموسة

أو كلب أو قطة.

إن نوعية الاقتراب من الموت التى كنا نناقشها غريبة جداً، غريبة بشكل بالغ.

وحين نناقش استكشاف الخلود عن طريق الڤاچرادارا، باعتبارها الجانب التالى لبادماسمباهاڤا، فإننا لا ننظر إلى إليه كانتصار على الموت أو كإحلال محل الضيق والفزع من الموت، أو أى شئ من هذا القبيل، والخلود فى هذا السياق يرتبط مع رؤية حقيقية لحقائق الحياة. فالألم موجود كما أن السرور موجود. والجانب السلبى من العالم موجود بالفعل. ومع ذلك يمكنك الارتباط معه. وبصفته أساسية، فإن تطوير هذا النوع من الخلود هو تكوين أصدقاء. لربما نظرنا إلى شخص معين باعتباره صديقا حميما على الرغم من صفاته الخطيرة. وفى الحقيقة، فهذا هو السبب فى أننا نصبح أصدقاء.

إن الارتباط مع الخلود فى هذا السياق يجعل من المرء ملكاً على الحياة، أو لورد فى الحياة. وإذا كان اللورد فى الحياة هو لورد حقيقى، فإن إمبراطوريته تمتد إلى الموت كذلك. لذلك فإن لورد الحياة هو لورد فى الحياة وفى الممات. وهذا اللورد فى الحياة يعرف بأنه ڤاچرادارا.

إن الأمير الشاب الذى هرب من مملكته فجأة، وأن يقرر أن يكيف نفسه مع الحياة الموحشة فى أرض المقابر ومع المبدأ الأساسى للخلود، والذى يعرف غالبا أنه تجربة المهامودرا. وتجربة المهامودرا هنا هى التجربة التى ترتبط مع الصفة المعيشية للظاهرة. أى أنه يمكن القول، بأن المنظر العام فى أرض المقابر أمر «حقيقى». فهناك الهياكل العظمية، وأجزاء من الجسد، والحيوانات المفترسة، وابن آوى والغربان وهكذا.

وفى أرض المقابر اكتشف الأمير مدخلاً جديداً للحياة، أو بالأحرى فإن مدخلاً جديداً للحياة اكتشفه. ويمكن أن نقول أنه فى هذا المرحلة أن بادماسمباهاڤا أصبح مواطناً رصينا، لأن شعور الخلود يجلب عدم الدرما، وعدم الدمار فى هذا السياق معناه أن أى شئ لا يشكل تهديداً، وأن أى شيء لا يمكن

أن يتتج الراحـة. وهذا نوع الخلود الذى نشيـر إليه هنا. ولم يعد ينظر إلى الموت باعتباره تهديداً. فتجربة بادماسمباهاڤا فى الموت هى تجربة لجانب واحد من جوانب الحياة. فهو لم يكن يهتم بتخليد شخصيته ووجوده. ويمكن أن نقول إن هذا المدخل أكثر اقترابا من البوذية طالما أن هذه التجارب لا يجرى النظر إليها على أنهـا إنجاز من أى نوع - إنهـا ليست استكشـافات تحـدث ببسـاطة، ونظراً لأنـهـا تحدث، فإن بادماسمباهاڤا يضبط نفسه عليها. لذلك فإن بادماسمباهاڤا باعتباره ڤاچراداوا يصبح لورد الحياة والممات، حاملاًلواء الڤاچرا. حاملا لواء النشـاط والطاقة التى لا تبلى- وهو ساميوجاكايا البوذية.

إن الرحلة التالية التى يقوم بها بادماسمباهاڤا يجعلها مرتبطة برغبته فى استكشاف كافة أنواع مواقف التعليم، ورغبته فى الارتباط مع المعلمين العظام فى العـالم فى ذلك الوقت. ويقوم بزيارة واحـد من المعلمين الرواد فى تقـاليد فـاهـا آتى، شرى سيما، والذى يفترض أنه جاء من تايلاند، وسيام، وكان يعيش فى كهف فى أحد أراضى المقابر الأخرى. إن جانبى الڤاچرادارا والسامبوچاكايا فى بادماسمباهاڤا، ذهبا وسألاه كيف يمكن تقويض الشعور بالتجربة. وقام شرى سيما باختصار پادماسمباهاڤا إلى المقطع «هم» والتى تعنى الاختراق. إنك لا تحـاول أن تبـدد التـجـربة أو تحـاول النظر إليـهـا على أنهـا شئ زائف. إنك تقـوم باختراق التجربة. فالتجربة تشبه وعاء به كثير من الثقوب وهذا يعنى أنه لا يمكن أن يقدم لك درعاً حاميا سليما، أى راحة صحيحة. فالاختراق، أو إحداث ثقب يكون بمثابة إحداث ثقب فى أرجوحة مريحة من القماش تتدلى فى أسفل أحد الأشجار [مجرد إحداث ثقوب فيها] فأنت إذا اقتربت منها، وأردت الجلوس عليهـا، فإنك تجد أن الأمر ينتهى بك إلى الأرض. وهذا هو الاختراق إلى المقطع «هم» وباختصارا بادماسمباهاڤا إلى «هم»، يكون شرى سيما قد ابتلعه من خلال فـمه، وألقى به إلى الخارج من خلال فتحة الشرج. وهذا معناه الأخـذبه إلى تجربة النيرماناكايا، أى القدرة على اختراق العالم الظاهرى بإتقان وبصفة تامة، والقدرة أيضا على إرسال رسالة للعالم الظاهرى.

ولما تمكن بادماسمباهاڤا من تعويض شعوره بالبقاء، وأنجز شعوره بالخلود فإنه صار يطور الآن شعوراً بالاختراق أو النفاذ-(بالطبع - فهذا حقيقة أى شيء، إنه ببساطه يمر خلال تلك المراحل. إننا نروى قصة بادماسمباهاڤا طبقاً لما صنعناه به، وليس بالأحرى محاولة التعبير عن أنه فعل كل تلك الأشياء.) وهذا حينما أصبح بادماسمباهاڤا معروفا بأنه رجل اليوجا العظيم، الذى استطاع السيطرة على الوقت، الذى أستطاع التحكم فى النهار والليل والفصول الأربعة. وهذا الجانب اليوجى من پادماسمباهاڤا يسمى نييما أو سر. ونييما آوسر اخترقت كل تصورات الوقت، نهاره وليله، والفصول الأربعة. ويرى فى أيقونته ممسكا بالشمس ومستخدماً أشعتها بمثابة حبال مربوطة إلى أوتار.

إن الفكرة هنا لا تتمثل فى أن إنجاز بعض التجارب الذكية يمكن أن تأتى بك إلى الاستبعاد الكامل الذى يؤدى بك بالتالى إلى أن توقف تجربتك نحو التمييز بين الليل والنهار والفصول الأربعة. وإنما الأمر بالأحرى يتمثل فى أن المواقف المتصورة تجاه النهار والليل والفصول الأربعة - أو تجاه الألم والسرور أو كيفما كان - يتم اختراقها من داخلها، وعادة ما يجلب لنا كل من النهار والليل والفصول الأربعة - ما تجلب لنا الراحة عن طريق إعطائنا الشعور بالارتباط مع الحقيقة مع العناصر التالية: «الآن فإننا نرتبط مع الصيف، والآن نحن نرتبط مع الخريف، والآن نحن نرتبط مع لشتاء، والآن نحن نرتبط مع الربيع. كما هو رائع أن تكون حيا، كما هو رائع أن تكون على هذه الأرض، أفضل الأماكن بالنسبة للبشر، مأواه ومنزله لقد أصبح الوقت متأخراً، إنه وقت الغداء. إننا يمكن أن نبدأ يومنا بفطور شهى» وهلم جرا. إن أسلوب حياتنا تحكمه هذه الأفكار. وهناك أشياء كثيرة نفعلها حين يمضى بنا الوقت، والارتباط بهذه الأشياء يشبه التأرجح على أرجوحة من الشباك، هى بمثابة سرير مريح فى الهواء الطلق. ولكن النييما اوسر تخترق هذه الأرجوحة. والآن لا يتسنى لك وقتاً طيباً للتأرجح وان تغفو غفوة مريحة فى الهواء الطلق. وهذه هى صفة النفاذ أو الاختراق هنا.

طالب: تغفو إغفاءة مريحة فى هذه الأرجوحة. ثم تقوم باختراق المظهر المريح لهذه الأرجوحة. إذن فأن يتركك ذلك - واقفا على قدميك؟.

ترونجبارينبوكى: إنك تجد نفسك على الأرض.

طالب: ولكن على يقظة ووعى إلى حدما؟

ترونجبا: نعم، إن أحد الصفات تبدو أنَها شعوراً باليقظة باكثر من كونها شعوراً بالاستيعاب.

طالب: إذا كان بادماسمباهاڤا هو اليوجى العظيم الذى يتحكم فى الوقت، فهل هذا يعنى أن الوقت لا يتحكم فيه بنفس الطريقة التي يفعلها معنا؟

ترونجبارينبوكى: إن الأمر حقيقة ليس فى التحكم فى الوقت، أو تحكم الوقت فينا. إنما الأمر يتعلق باكتشاف انعدام الوقت. فإذا أنت ترجمت هذا إلى نوع من اللكنة الريفية، فإنه يمكن لك أن تقول «السيطرة على الوقت».

طلب: لقد أكدت بصفة متكررة أن بادماسمباهاڤا لا يتعلم أى شىء. أنا لا أفهم لماذا لا نستطيع النظر إليه باعتباره رجلاً عاديا، يشبه أى واحد منا، ويكون قد تعلم أشياء مختلطة فى مراحل مختلفةً.

ترونجبا: إننا نستطيع أيضا أن نرتبط مع مراحلنا نحن بهذه الطريقة. إن عمليتنا بالنسبة للتطور الروحانى، أو كيفما تود أن تسميها، فهى عملية غير تعليمية، وإنما بالأحرى جمع خبرات جديدة. إن أسلوب بادماسمباهاڤا لا يرتدى القناع، وهو أسلوب غير تعليمى- طبقات وطبقات من الغطاء الظاهرى يمكن نزعة أيضا بطريقة تدريجية.

طالب: تبدو عملية عدم وضع القناع، أو عدم التعليم، تشبة سلسلة من الموت. كيف ينبغى أن يكون ذلك مؤلما إلى هذا الحد؟ لماذا لا تكون كنوع ممن التحرر وتنطوى على نوع من الشعور المبهج؟

ترونجبا: حسناً، إنها نوع من البهجة، وبما كنا نشكو بأكثر مما ينبغى. إننا أكثر وعيا بالنسبة لمدى كثافة الظلام عن وعينا بالنسبة للإبهار والضوء.

طالب: يبـدو أن الطريق الصـحـيح فى الارتبـاط مع الموت ألاتكون هناك أيه استراتيجيه. فهل ينبغى عليك أن تتخلى عن مخاوفك قبل أن تكون من غير استراتيجية؟ أم هل بمقدورك مجرد أن ترتبط مع مخاوفك؟

ترونجبا: إن الخوف أمر مثير جداً فى حقيقة الأمر. إنه منطوى على الثقافة. كما ينطوى على صفة الارتباك الأعمى. لذلك فهو يبدو وكأنك قد تخليت عن الأمل فى بلوغ أى شىء، ثم يعد ذلك ضبط الإنسان نفسه على الخوف هو بمثابة ضبط بنفسه مع شعور الثقافية. وتظهر وسائل المهارة تلقائيا من خلال الخوف ذاته، لأن الخوف يبدو ذكيا بطريقة بالغة. إنه عكس عملية انعدام الأمل، فى حقيقة الأمر. ولكن الخوف يتضمن أيضا عنصر الارتباك وصفتى الصمم والبكم - كما تعلم، وعليك أن تبذل ما فى وسعك. لكن الخوف بدون أمل يبدو أنه شئا شفافا نفاذ البصيرة جداً.

طالب: هل الخوف نفاذ البصيرة لأنه يشير إلى سبب كونك خائفاً فى المقام الأول.

ترونجبا: ليس ذلك فقط. إنه يمتلك قدرته على الحدس ليذهب إلى ماوراء النتائج المنطقية، إن لديه الذكاء المتواجد بطريقة تلقائية.

طالب: هل لك أن تقول لنا شيئاً أكثر عن هذا الموضوع؟

ترونجبا: حينما ترتبط مع مخاوفك، فإنك سوف تتحقق بأنك قد قمت بالوثب من قبل، وتكون سلفاً فى قلب الهواء. وسوف تتحقق من ذلك، ثم تصبح شخصاً ذكيا واسع الحيلة.

طالب: أليس ذلك ما نفعله جميعا-أن نكون واسعى الحيلة انطلاقامن أى مكان؟

ترونجبا: إننا لا نتحقق من ذلك، فإننا سلفا فى قلب الهواء.

طالب: رينبوكى، أنت تقول إن الخوف دون أمل يكون شيئاً ذكيا. هل يمكن أن يقال نفس الشىء عن العواطف الأخرى المكثفة؟

ترونجبارينبوكى: إن الأمل والخوف يشكلان القدر الأكبر من بقية العواطف.

فالأمل والخوف يمثلان نوعية الدفع والشد كصفة ثنائية. وكافة العواطف تتكون منهما. إنها جوانب مختلفة لذلك، وكلها تبدو وكأنها صادرة من الأمل والخوف من شيء ما - الشد والجذب أو النضال.

طالب: هل وجود الخوف والرغبة أيضا هو نفس الشيء الذى تخافه؟

ترونجبا: نعم، هذا هو الطريق االذى تكونه. ولكن إذا تحققت من أنه لا يوجد شيء مرغوب فيه (وأنت تعلم، أن الرغبة هى جانب الأمل فى الخوف)، وحين تتحقق من ذلك، فأنت ومخاوفك تترك عارية واقفه بمودها.

طالب: إذن فأنت مجرد ترتبط مع الخوف دون أمل، ولكن كيف يمكنك فعل ذلك؟

ترونجبا: إنه الارتباط دون وجود تغذية استرجاعية. ولذلك فإن الموقف يتكيف بطريقة تلقائية ويصبح واضحاً.

طالب: هل يمكنك تطبيق نفس المدخل على الغضب؟ فإذا كنت غاضبا، فإننى بدلاً من التعبير عن ذلك أو ضغطه فهل يكفى مجرد أن أقوم بالارتباط به؟ وإننى أوقف الغضب وأقوم بالارتباط بعملية التفكير؟

ترونجبا: إنك لا توقف الغضب، إنك أنت الغضب نفسه. إن الغضب يتدلى كما هو. وهذا هو الارتباط بالغضب. ثم يصبح الغضب حيويا ولا اتجاه له ويتسرب إلى الطاقة. إن فكرة الارتباط به لا شأن لها بتعبيرك عن نفسك لشخص آخر. إن التعبير عن ذلك عن أهل التبت هو رانج سارشاك ومعناه «اتركه فى المكان الخاص به» أى دع الغضب يكون فى مكانه هو.

طالب: إننى لازلت لا أفهم ماذا ينبغى علينا أن نتصل بشخص يموت.

ترونجبارينبوكى: أنت ترى، الموت هو تجربة حقيقية جداً. وعادة ما لا نتصل بشعور الحقيقة. فإذا حدثت لنا حادثة - أوكيفما يحدث فى حياتنا - فنحن لا ننظر إليها كتجربة حقيقية، حتى ولو أصابتنا بأذى. إنها حقيقة بالنسبة لنا طبقا لما تحدثه لنا من ألم وما يحدث لنا من خسائر مادية،

لكنها تظل غير حقيقية بالنسبة لنا. لأننا سرعان ما ننظر إليها فى إطار كيف يكون عليه الحال لو كانت شيئاآخر. وهناك دائماً فكرة الاسعافات الأولية، أوبعض الجوانب العلاجية الأخرى للموقف. فإذا كنت تتحدث إلى أحد الأصدقاء أو الأقرباء وهو يموت، فعليك أن تنقل إليه فكرة أن الموت هو تجربة حقة، وأنه ليس بالأحرى ليس نكته، ويمكن لشخص أن يتحسن. وغالبا ما يقول الناس للشخص الذى يموت أشياء من أمثال: «إن الحياة نكتة حقيقية تماماً. والقديسون العظام يقولون إنه ليس حقيقيا. إن الحياة غير حقيقية. فما هو الموت، على أية حال؟ وحين نحاول أن نتخذ هذا النوع من المدخل فإننا نصبح من ذوى المزاج العصبى نحن أنفسنا، وهذا المزاج العصبى المتقلب هو الذى ينتهى بنا إلى الاتصال بالشخص الذى يموت. ولكن علينا أن نساعد هؤلاء أن يفهموا أن الموت حقيقة.

زئير الأسد

لقد رأينا فكرة انعدام الوقت، أو الخلود. وربما كان من الضرورى لنا الآن أن نلقى نظرة أعمق. إن التغلب أو تجاوز شعور التجربة يقودنا إلى شئ ما غير ثنائى بالمرة. ويمكن أن نسمه السلامة. إن جانب پادماسمباهاڤا الذى يعرف باسم نييما أوسر عرض السلامة بالارتباط بفكرة الوقت وبأفكار وتجارب تتعلق بالإنجاز الروحى. واذا نظرنا باختصار في مثاله فإننا يمكن الآن أن نمضى قدما لنناقش جانبا آخر من پادماسمباهاڤا وهو: شاكيا سنجى، أى پادماسمباهاڤا كبوذى.

إن المبدأ المرتبط مع هذا الجانب من پادماسمباهاڤا هو ذلك، أنه إذا تغلب شخص سلفاً على أى شعور يكسب أى شئ فى العالم المرتبط، فإن هذا الشخص يكون عليه أن يمضى قدما، وأن يصنع علاقة مع السلامة الكاملة والكلية، أى حالة وعى العقل وتيقظه. وشاكيا سنجى - أى پادماسمباهاڤا باعتباره بوذيا، ترتبط بهذا الشئ. إن شاكيا سنجى ليست بوذية بالمعنى الذى توررده الهينايانا، ولكن بالمعنى الذى توررده الماهايانا. إن أسلوب الماهايانا لپادماسمباهاڤا لها علاقة بالتفوه بزئير الأسد، الذى يشير طبقا لتعاليم الماهايانا إلى إعلان تعاليم الشعر نياتا، وهى السلامة النهائية. لذلك فإن هذا الجانب من پادماسمباهاڤا يرتبط مع التعبير عن السلامة النهائية.

ولربما سألت «كيف يمكن لهذه السلامة النهائية أن تتوغل أكثر من التغلب على التصورات الفكرية، وعن شعور التجربة؟ وهل هناك شئ يزيد على ذلك، وهل لا يكون ذلك كافيا؟ وعند هذه النقطة هناك شئ أكثر دقة عن ذلك. فالتغلب على التصورات الفكرية وشعور التجربة هو خطوة باتجاه البيان. فأولاً عليك أن تهزم العدو، ثم بعد ذلك تستطيع الإعلان بأنك حققت النصر عليه. وحين تقوم بالإعلان أو البيان الذى أشير إليه على أنه زئير الأسد، فإن پادماسمباهاڤا كبوذى يقوم بتأكيد السلامة مجدداً ولا يجرى النظر إلى زئير الأسد على اعتباره تحدياً، ولكن على أنه نوع من الزينة. إنه ليس تحدياً فيما يتعلق بتمام

عملية قهر العدو أم لا . بل بالأحرى ، أنك حين تكون قد حققت النصر سلفا ، فإن النصر يجلب شعورا بالأخبار السارة . وإعلان هذه الأخبار السارة هو زئير الأسد .

وفيما يتعلق بحياة پادماسمباهاڤا ، فإن الأخبار السارة هى الأخبار السارة النهائية . إنها الأخبار السارة التى لا تحتاجها الرحلة الروحية . لأن الرحلة قد تم إنجازها سلفا ، وعلى هذا النحو فلا محل للبحث أو محاولة كسب مزيد من الشفافية . وعدم الحاجة إلى القيام برحلة روحية هى أخبار سارة . ذلك هو زئير الأسد . وذلك هو شئ يزيد كثيرا عما تتحدث عنه الماهايانا سوتراس . فالماهايانا سواتراس تتحدث عن بلوغ السلامة الكاملة من خلال التحقق من أن الشكل هو الخواء أو الفراغ وأن الخواء هو الشكل ، وهكذا . ولكن زئير الأسد الذى نتحدث عنه هنا هو شئ أكثر من ذلك . إنه يذهب إلى أبعد من ذلك بأن الأخبار السارة النهائية مستقلة بذاتها عن أى انتصار . إنها نهائية .

فما هو أسلوب پادماسمباهاڤا فى إظهار الحكمة المجنونة فى هذا السياق؟ إنه الملك العالى الذى يطل إلى أسفل على «يانات» التعاليم ، وليس إلى أعلا ، إلى تلك اليانات .

وطبقاً للرواية ، فإن پادماسمباهاڤا كان يستذكر مع أناندا ، أخر حضور مجالس بوذا وأحد أتباعه . ولقد تم تعميده من جانب أناندا ليكون «بيكشو» وقد وصل إلى فهم رسالة بوذا . ولقد نظر پادماسمباهاڤا أناندا ، أحد تلامذه بوذا وأتباعه ، باعتبارة معلما روحيا أكثر من كونه مدرساً . وهذا تمييز هام . لقد كان ينظر إليه كمعلم روحى أكثر من كونه أسطونا فى النظام ، محيطا بالعلوم ، وأستاذا ، أو مدرساً بالمعنى العادى ، لأن أناندا كان فى خط النسب المباشر للإيحاء من بوذا . وهذا كان يعنى أن العمل معه يتضمن علاقة حية مع التعاليم .

ان انجازات پادماسمباهاڤا هنا هى شئ يمكن أن نرتبط بها أيضا . إن شعور الكرامة الذى يظهر ويعبر عن أن الرحلة الروحية ينبغى القيام بها هى نوع من الخداع . ومن هذه الزاوية ، فإنه حتى البومى العشرة لطريق البوديستاڤا هى من

قبيل السفسطة. وطالما ليس هناك. بومى على الإطلاق، فكيف. يمكن أن يكون هناك عشرة منها؟

والنظر إلى الأمور بهذه الكيفية هو جانب من الحكمة المجنونة الموجهة، توجيها كاملاً. إنها تشترك مباشرة فى الارتباط مع السلامة، أو العقل البوذى، مع خبرة أو تجربة بوذا حين بلغ السامادى شبيه الڤاچرا جالسا تحت ظل الشجرة البوذية. أنها كذلك خطوة أعمق تجاه الثقة فى طبيعة - بوذا. وعند هذه النقطة، فإننا لا يمكننا حتى أن نسميها - طبيعة - بوذا، لأن كلمة «طبيعة» هذه تتضمن تلقائيا شيئاً ما جنينيا. ولكن فى هذه الحالة، فإننا لا نتحدث عن شئ جنينى ولكن عن الحياة البوذية. لقد ربط پادماسمباهاڤا نفسه مع بوذا واكتشف طريق السلامة. وارتبط مع أناندا باعتباره الرسول الذى عمل على إيقاظ الإيحاء فيه.

إن المعلم الروحى لا يرسل حقيقة كيانات روحية إلينا أو من خلالنا. فالمعلم الروحى إنما يذكرنا فقط أن هناك سلامة موجودة فينا من قبل. وعلى ذلك فإن أناندا قد قام بالإمداد، أو بالنسبة لهذا الأمر فان پادماسمباهاڤا يقدم، تذكرةً أن الأشياء هى على نحو ما فى هذا الطريق.

ولربما وجدنا من العسير أن نتبع ما تدل عليه هذه التجربة وأن ننضم إليها. ولربما وجدنا أن سماع أبنائها تشبه الإصغاء إلى قصة تتضمن حدوث كذا كذا، وبعد ذلك عاش كل إمرئ فى سعادة بعذ ذلك. لكن قصة پادماسمباهاڤا ينبغى أن تكون شيئا اكبر من ذلك. فإذا ارتبطنا حقاً بما يحدث فى حياة پادماسمباهاڤا، فلسوف نجد أنها حقيقته فعلاً وشخصيته. إننا نعترف بالسلامة العقلية، وتأتى هذه السلامة بعذ ذلك من تلقاء نفسها.

إن الاعتراف بسلامة العقل هى نظام أو مظهر: إنك تتظاهر بكونك بوذا، وتعتقد «بأنك» بوذا. مرة أخرى، فإننا لا نتحدث عن - طبيعة - بوذا باعتبارها حالة جنينية، ولكن نتحدث عن مواقف الحياة فى البوذية التى تكون قد حدثت من قبل. وإننا نتخذ مثل هذا التظاهر فى البداية، ولربما سميناه اعتقاداً. إنه اعتقاد بمعنى أن بوذيتنا تبدو غير حقيقية، ولكننا نعتبرها حقيقة. إن وجود عنصر

من خداع العقل أمر ضرورى. وبعد ذلك سوف نجد أنفسنا قد غرر بنا، ولكن نحو الاستنارة الروحية.

إن هناك كافة أنواع الخداع التى توجد كجانب من جوانب عملية التعليم. وتعرف على أنها «وسائل ماهرة». وهذا يبدو شيئا من قبيل المحسنات اللفظية.

إن الوسائل الماهرة تشكل جانباً من جوانب التقاليد الروحية. إن خط النسب لأسلوب المعلمين الروحانيين فى الارتباط مع الطلبة هو حطام تقليدى. والوسائل الماهرة أمر ضرورى، لأن هناك ميلاً نحو الهروب من السلامة التى من ذلك الطابع. إن الطلبة قد يجدون السلامة فضفاضة جداً، ومزعجة جداً. وإننا نفضل قدراً من عدم السلامة التى تخشى الأماكن المغلقة، السلامة الرصينة والمريحة، والوصول إلى هذا الوضع إنما يشبه الزحف إلى الخلف للدخول فى جيب يشبه جيوب الحيوانات مثل جيب الكنغر. ذلك هو الميل المعتاد، لأن الاعتراف بالتحديد والسلامة هو أمر هش جدا، بارد جداً، فاتر جداً. إنه من المبكر جداً أن نصحو ونستيقظ. وعلينا أن نعود ثانية إلى الفراش. إن العودة إلى الفراش يرتبط مع خداع العقل، وهو أمر نفضله فى حقيقة الأمر. إننا نود أن يصبنا الاضطراب بقدر ضئيل نوعاً، وأن نبنى حياتنا على ذلك. إننا لا نفضل السلامة أو الاستنارة الروحية فى الحقيقة. ويبدو أن هذه هى المشكلة، وليس بالأحرى أننا لا نملك ذلك، أولا تستطيع الحصول عليهما. فإذا كنا فعلاً نفضل السلامة الأساسية أو الاستنارة، فإنه من الممكن بقدر من الضيق الوصول إليها.

ويبدو أن الأمر يتعلق بمدخل پادماسمباهاڤا نحو الشاكيا سنجى: إنه فضل أن يكون شبيهاً ببوذا. وذهب لرؤية أناندا وحدثه عن بوذا. واستذكر مع أناندا، وعمل معه وأصبح بوذيا. ولقد تقول، «هذا سريع بأكثر من اللازم» ولكن هذا ما حدث على أية حال.

ثم لدينا جانب آخر لپادماسمباهاڤا، يسمى سنجى درادروك، ومرة أخرى فإنه يرتبط مع زئير الأسد. وهذا الاسم يعنى حقيقة «زئير الأسد» أو بدقة اكثر من ناحية اللفظ «احداث صوت مثل الأسد». وفى هذا الجانب فإن

پادماسمباهاڤا يظهر بمثابة أحد حماة اليقين، أحد السحرة الكبار.

وفى ذلك الوقت فى الهند، كانت هناك غارات شنها الهراطقة، أو «الترتيكاس»، كما كانوا يسمونهم فى سانسكريت. وكان هؤلاء من الهندوس. وكان يشار إليهم كهراطقة منقشين لاعتقادهم فى مبدأ الثنائية - أى فى وجود كائن خارجى مقدس، وفى وجود آتمان كمستقبل لذلك الكائن المقدس.

وبالطبع فلربما انتقدت هذا المدخل، قائلاً بأننا جميعا، ينبغى أن ننظر باحترام وإجلال للكتابات الهندوسية، خاصة التعاليم الغامضة فى الهندوسية قبل ڤيدانتا. والآن، فإن الكتابات الفيدانتية نفسها لا تعبر تماماً عن الأشياء بأسلوب ثنائى، فليست تمت إلى الأسلوب الثنائى روحانيا. لكن الهراطقة الذين كان پادماسمباهاڤا يتعامل معهم كانوا يعتقدون فى الحقيقة الكاملة والحرفية لمبدأ الثنائية. إنهم كانوا لا يفهمون العمق الحقيقى للتعاليم الغامضة، وكانوا يعتقدون فى إله خارجى وفى ذات داخلية. ومن الغريب، أن الاعتقاد فى هذا النوع من الانفصال يمكن أن يجلب قوة نفسية ضخمة جداً. وتحدث المعجزات من كل نوع، كما يمكن تطوير الفهم الذهنى والتعاليم فى هذا السياق.

وبالنسبة لهؤلاء الهراطقة تصرف پادماسمباهاڤا كعنصر عضوى. كعنصر للتصرف الطبيعى. فإذا أنت أسأت معاملة النار فى مكان الموقد فسوف يشب الحريق فى منزلك. وإذا لم تنتبه جيداً عند قطع الجزر، فربما قطعت إصبعك. فهذه الغفلة وسوء المعاملة للموقف الطبيعى هى الصفة الهرطقية. وبدلاً من النظر إلى المواقف القائمة التى تتضمن عدم الثنائية كما هى فإنك تحاول تفسيرها بعض الشئ حتى تساعد هذه المواقف على الحفاظ على وجودك. وعلى سبيل المثال، فإن الاعتقاد فى الله هو طريقة من طرق التأكد «أنك» موجود. والقيام بالغناء أغنية لمديح الله يجعلك أكثر سعادة، لأنك تغنى تلك الأغنية عن الله. وطالما هناك حضور جيد، وتلق جيد لهذه الأغنية، فإن الله من ثم موجود. إن هذا النوع من الاقتراب هو اقتراب هرطقى من وجهة النظر البوذية.

وفى ذلك الوقت، فإن الأديرة العظمى للبوذية. فى مكان معين بالهند

كانت محل تحديات من جانب حكماء الهندوس. وقد أتى الحكماء الهنود (البانديت) إلى هذه الأديرة ليقوموا بالتدريس، حتى أن بعض الرهبان قد تحولوا إلى الهندوسية. وكانت كارثة عظمى. لذلك فقد طلب حضور پادماسمباهاڤا. وأولئك الذين دعوه قالوا: «إنه لا طاقة لنا على مباراة هؤلاء الحكماء الهندوس ثقافيا، لذلك ندعوك أن تنقذنا بتأدية بعض الأعمال السحرية من أجلنا. فلربما كان ذلك هو الحل الوحيد».

وجاء پادماسمباهاڤا ليعيش فى أحد الأديرة. وفى أحد الأيام، استطاع إحداث زلزال بتوجيه الحربة التى معه فى اتجاه الحكماء الهندوس. وكان هناك انهيال ضخم من الصخور، وأمكن تدمير خمسمائة من حكماء الهندوس. فماذا تفهم من ذلك؟

حينما يصبح أحد الأشخاص غير عاقل فإنه يسعى إلى تدمير نفسه. ويطرح الموضوع بهذه الكيفية، فإننى لا أسعى إلى التأكد من أنك قد تملص منك پادماسمباهاڤا وما لديه من أنشطة. إننى لا أتصرف كالمتحدث بالنيابة عنه لأقول: «إنه طيب على أية حال، على الرغم من أفعاله». إن الأمر ببساطه أنه مع پادماسمباها وهو يعمل كوكيل عن العناصر المكونة للعملية العضوية، فإن العنصر غير الحكيم والذى صنعته اليد البشرية ينبغى أن يُقلل من قدره.

إن الناس فى إقليم بوتان كانوا يحاولون بناء طريق من الهند إلى بوتان، وكان يسمى طريق بوتان الوطنى الكبير وكانوا يقومون بالبناء بصفة مستمرة. وكان لديهم عدد من «البلدوزرات» وكان لديهم خبراء من الهنود لرصف الطرق. وأنفقوا فى ذلك ملايين وملايين من الروبية الهندية، وقاموا ببناء طريق جميل. ولكن حين حل موسم المطر فقد تم اجتياح الطريق كامله بسبب الأنهيال الضخم. فأنت حين تبنى طريقاً تكون قد تدخلت مع الجبل ببناء الصخور. ورد الفعل الوحيد الممكن للطبيعة لهذا الازعاج يثور الانهيال. ومرة أخرى هناك مشروع جديد يتطلب ملايين من الروبيات وتمضى هذه العملية مرة ومرة.

وآخر مرة حدث ذلك حينما زار الرئيس الهندى زيارة رسمية إلى إقليم

بوتان: فالطائرة التى كانت تحمل هدايا الهند إلى ملك بوتان وحكومته فقدت فى الضباب وارتطمت فى جبال بوتان. وحين كان الرئيس الهندى يعد العدة للعودة إلى الهند، حدثت انهيالات مفاجئة كإشارة وداع له.

إننى لا أقول إن رئيس الهند كان مهرطقا، ولكن تعريف الهرطقة هنا دقيق جداً. إذا لم تكن على علاقة متناغمة مع طبيعة الحقيقة، فأنت بذلك تجعل من نفسك هدفا، جرماً آخر. وليس هناك من يقدم لك الطعام. وليس هناك وقود لك بخلاف ما لديك من موارد وتصبح على أهبة الموت، لأنك لا تستطيع الاستمرار فى توليد ما تحتاجه دون موارد إضافية. وذلك هو ما حدث لحكماء الهند الذين قتلهم پادماسمباهاڤا. وهذا أمر غير رحيم أو أمر لا يحتمل. بيد أن پادماسمباهاڤا فى هذه الحالة إنما كان يمثل طبيعة الحقيقة بأكثر من كونه كان يتصرف كساحر أسود أو كساحر أبيض.

يبدو أنه لا يمكن لأحد أن يعلمنا كيف أن نقوم بأشياء من قبيل تدمير الحكماء (الهنود). وعلى الرغم من أن التعاليم سلمت من كابر إلى كابر خلال أجيال وأجيال دون انقطاع أو تحريف، حتى أنه حتى الآن فإننا نمتلك التعاليم الكاملة لپادماسمباهاڤا، وليس من بين هذه التعاليم ما يتحدث عن كيفية قتل المهرطقين. ليس هناك مثل هذه التعاليم. لكن هذه التعاليم تتحدث بالفعل عن ذلك. والمضللون بالنسبة لهذه التعاليم إنما يدمرون أنفسهم. ويبدو أن هذه هى الرسالة الأساسية هنا. ويبدو أن ذلك يشكل الجانب من پادماسمباهاڤا الذى يسمى «زئير الأسد»، أى سنجى درادروك.

طالب: هل تقوم العناصر أيضا بالحماية العضوية لأولئك الذين لا يفسدون التعليمات؟

ترونجبارينبوكى: ربما.

طالب: هل يعتبر عمل پادماسمباهاڤا العضوى فيما يتعلق بالعناصر هو نفسه كعمل الدارماپالاس، حماة التعاليم؟

ترونجبارينبوكى: إلى حد ما، نعم. ولكنه أكثر أيضا من عمل الدارماپالاس.

فالدارماًپالاس هى نوع من التذكرة. ولكن فى هذه الحالة، فهناك رسالة كاملة.

طالب: أليس ذلك الذى تسميه «عمل العناصر» أو «الرسالة الكاملة» بشكل ما هو عمل كارمى ليس إلا؟

تروبجبا: إنه عمل كارمى بمعنى أن هناك شئ عضوى يجرى حدوثه، ولكن هناك أيضا شئ عضوى بطريقة خاصة، له صفة العمد. ويبدو أن هناك نموذجين. وهناك اختلاف بين الانهيال الذى حدث فى المنطقة التى بها منجم للفحم وذلك الانهيال الذى حدث لمنازل المهرطقين.

طالب: هذا العمل الذى يتضمن خداعك لنفسك لكى تكون بوذيا ليس واضحاً لى على الإطلاق. إنه يبدو غير بوذى أن تستخدم عقلك لخداع نفسك. هل يختلف هذا عما تتحدث عنه كخداع مثل تفحص نفسك، وتفحص التجربة؟

تروبجباربنبوكى: إنه مختلف كثيرا. فالخداع الناتج عن تفحص ذاتك ينبغى أن يبنى على استراتيجيات دقيقة مطولة. أما خداعك لنفسك لكى تصبح بوذيا فهو أمر فورى. إنه يحدث على الفور.

طالب: ولكن إذا قلت لنفسى «إننى بوذى» حين لا أعلم حقا ما هى البوذية.

تروبجبا: لا يهم حقيقةً «تلك هى المسألة كلها – نحن لا نعلم ماذا تكون البوذية. وربما عدم معرفة ما هى البوذية» هى البوذية.

طالب: حسنا، إن الأمر لا يبدو كأنك تفعل شيئاً حقا. فهل تفعل شيئا؟

تروبجبا: إن الأمر يرجع إليك. إن عليك أن تطور النظام الخاص بك.

طالب: هل يختلف ذلك عن مجرد الثقة؟

تروبجبا: نعم، إنه تحول سريع، كما لو كان يجرى سحب البساط من تحت قدميك. أو أن تكون قدماك قد تم سحبها إلى البساط. إنه صحيح. ويمكن القيام به.

طالب: إنه يشبه القيام برحلة إذن؟

ترونجبا: إن عملية القيام برحلة تستغرق كثيرا من الاستعدادات ولكن إذا جرى خداعك، فإن ذلك يأخذك على غرة، كما لو لم شيئا سيئا قد حدث.

طالب: هل يرتبط ذلك بالتصورات وممارسة مانترا؟

ترونجبا: هل هناك شئ ما أكثر فورية عن ذلك. إنه مجرد تغير فى الموقف. وبدلاً من محاولة أن تكون بوذيا فإنك تتحقق بصفه مفاجئة أن البوذية تحاول أن تكون أنت.

طالب: هل لذلك صلة مع آبيشيكا، عملية منح التفويض؟

ترونجبا: الدخول المفاجئ إلى انعدام الوقت الحاضر (انعدام الآنية).

طالب: يبدو أن هناك عملية كاملة من الاستعداد تكون لازمة لهذا التحول فى التصور تأخذ مكانها.

ترونجبا: إن عليك أن تكون عازماً على فعل ذلك. إنها عملية تحرير. وبخلاف ذلك، فليس هناك أكثر من ذلك. إنها مسألة عزمك على فعل ذلك، وهذه هى النقطة المهمة. عليك أن تكون عاقدا عزمك على أن تلزم نفسك أن تمضى من خلال أوضاع عدم الراحة التى يمكن أن تحدث عقب كونك بوذيا.

طالب: لقد تحدثت من قبل حول الخلود، وأن پادماسمباهاڤا قد تحول اسمه إلى «هام»، فهل التحول إلى هذا الاسم يشبه تجربة الموت؟ وهل ينبغى عليك أن تذوب أو أن تختفى لكى تخترق التجربة، هل ينبغى أن تموت؟

ترونجبارينبوكى: إن الاختراق لا يرتبط بصفة خاصة بالموت. وكون پادماسمباهاڤا قد أصبح «هام» هو أن يصبح فى الواقع شخصا مكثفا. أنت تصبح كما لو كنت كائنا وضع فى كبسولة. أى أنه جرى انقاص حجمك لتكون فى كبسولة، وهو وضع مركز مهم جداً بالنسبة لشخصك. إنك تكون مجرد ذرة رمل. إن الأمر لا يتعلق بالذوبان، وإنما بتركيزك حتى تصير مجرد نقطة.

طالب: حينما قام شرى سيما بابتلاع پادماسمباهاڤا ثم أخرجه فهل كان لا يزال هو نفسه؟

ترونجبا: بالطبع، فالتشبيه المناظر هو ابتلاع ماسة. فحين تخرجها، فإنها تظل ماسة أصيلة.

طالب: إن الاختراق يبدو أنه ينطوى على شعور بالحدة. فأنت فى خضم عملية أنانية، ثم يأتى شئ ما ليوقظك بنوع من الحدة.

ترونجبارينبوكى: إن الحدة التى تتوغل من خلال العقل المصاب بالعصاب يبدو أنها تشبه موسى ذا حدين يستطيع أن يقطع فى كلا الحدين فى وقت واحد، لذلك فإن الشئ الوحيد الموجود هو الحدة ذاتها. إن ذلك لا يشبه الإبرة، ولا حتى مثل الفأس. إنها تقطع المعروض والعارض فى آن واحد. وهذا السبب فى وجود جانب جنونى: فالذى يقوم بالاستخدام يقطعه الموسى كذلك الحال بالنسبة للشئ الذى استخدم الموسى من أجله، ويبدو ذلك هزليا، كذلك. فليس هناك من يكسب المعركة. فالعدو يلقى الهلاك، المدافع يلقى كذلك الهلاك - فى آن واحد - ولذلك فالوضع جنونى جداً. وعادة، إذا كنت تحارب ضد شئ ما، فإن المفترض هو أن تكسب، ولكن فى هذه الحالة لا يتحقق لك ذلك، فالطرفان يصيبهما الهلاك. ليس هناك من يكسب. وبمعنى آخر، فإن الاثنين يكسبان.

طالب: يبدو أن لذلك علاقة بالشونياتا. ويمكن أن تكون هناك فجوة فى أى موقف، وبذلك يبدو أن هناك نوعا آخر من الحدة.

ترونجبارينبوكى: هذا أمر مختلف. فحين يكون هناك شعور بالفجوة، فليس هناك شفرة لقطع أى شئ. إنه تخليد الذات فى مفهوم «هام». ومن هذه الزاوية، فإن تجربة الشونياتا والحكمة المجنونة مختلفتان. وبالمقارنة مع الحكمة المجنونة، فإن الشونياتا تزود المرء بمكان أو منزل. منزل متبادل، منزل مريح، فى حين أن الحكمة المجنونة تزود المرء بعملية قطع مستمر.

إن المدخل التانترى يرتبط بالطاقة، أما تجربة الشونياتا فهى مجرد الحكمة وحدها، حكمة دون طاقة. إنها استكشاف، تجربة، عش من نوع ما.

طالب: ما هى دوافع پادماسمباهاڤا فى رغبته أن يكون بوذيا؟ إننى أفكر فيما قلته من قبل: إننا لا نريد تلك الحالة المريحة، وإننا نريد راحة الأماكن المغلقة، وعدم السلامة.

ترونجبارينبوكى: نعم، إننى أفترض فيما يتعلق بالعقل السامسارى، إنها دوافع فاسدة. إنها تسير ضد الأتجاه الخاص بالرغبة فى بيت. إنها تسير ضد المزاج الذى كان والدانا يقولونه دوما لنا: «ألا تحب أن تتزوج وأن تكون لك وظيفة ومنزل مريح بدلا من مجرد الجلوس والتأمل؟»

طالب: ولكن هل هناك بعض الدوافع، والتى ليست من وجهة النظر السامسارية، ولكنها تكون موجودة بحد ذاتها؟

ترونجبا: الهمجية. وانعدام الحضارة.

طالب: هل ذلك يشكل جانبا من أنفسنا يمكن استكشافه، أو أن نغرسه بكيفية ما؟

ترونجبا: ذلك هو ما علينا أن نراه. ذلك هو ما علينا أن نستخلصه. فليست هناك وصفة جاهزة.

طالب: هل هذه الهمجية أو البعد عن الحضارة هى شئ نجربه أحيانا كجانب من حياتنا، أم هى شئ لم نجربه بعد؟

ترونجبا: لا أعرف، دعنا نستخلص ذلك.

طالب: هل ما قلته من قبل أن بوذا يحاول أن يكون أنت - هل ذلك عنصر دافع؟

ترونجبارينبوكى: حسناً، إن هناك شيئا غريباً جداً يدور الآن. فأنت مرتاح بشكل مطلق وسعيد بالطريقة التى أنت عليها، ومع ذلك ففى نفس الوقت نجدها مؤلمة بشكل لا يطاق. إنك غير متأكد هل تود البقاء على ما أنت عليه، وهو وضع سار جداً، أو ألا تبقى على الطريق الذى أنت عليه، لأنه مؤلم جداً فى نفس الوقت. هذا النوع من الشد والدفع يحدث

طول الوقت. ويبدآن ذلك من قبيل الدوافع. أنت تود الإبقاء على نمطك المعتاد، وفى نفس الوقت أنت تجده مملاً جداً - وهذا نوع من الدافع أقصد أنه ليس بوسعنا تعريف ذلك على اعتباره شيئاً خاصا. ولا نستطيع أن نقول إنك تقوم برحلة فى اتجاه محدد. فالاتجاهات مضطربة. وأنت لست مضطربا حيال ما إذا كنت قادما أم ذاهبا، ولكنك لا تزال تريد عمل شئ حول الموقف. وهذه هى صفة العدوى للطبيعة البوذية، التى تحاول الإشعاع طول الوقت فيما يبدو.

العقل والعمل مع السلبية

يسمى الجانب التالى يسمى الجانب التالى لبادماسمباهافا فعلاً باسم بادماسمباهافا. ولسبب غريب ما، أصبح بادماسمباهافا محبوبا بالنسبة للاسم العام لجوانب الأيقونة الخاصة به. وربما زحف بعض التأثير الخاص من «جنلوكبا» إلى عملية التسمية. فأتباع بادماسمباهافا فى التبت دائما يشيرون إليه على أنه المعلم الروحى رينبوكى أو پيما جونجين، أى «المولود فى اللوتس»، وهو پادماكارا فى سنسكريت. لذلك فإن بادماسمباهافا هو اسم لواحد فقط من الجوانب. ويبدو أن لذلك علاقة بنزاع طائفى. حيث قال حزب منهم بأن بادماسمباهافا ليس مبدأ كونيا، وإنما هو مجرد حكيم روحى اسمه بادماسمباهافا.

وعلى أية حال، فإن هذا الجانب الخاص والمعروف باسم بادماسمباهافا كان رجلاً حكيما، أى تلميذ. ولقد دخل جامعة نالاندا، ودرس ما يسمى النظام الثلاثى: وهو التأمل، ومبادىء الاخلاق، والمعرفة، أو التعليم. وهذه النظم الثلاثة تقابل الأقسام الثلاثة للتعاليم البوذية المكتوبة، والتى يطلق عليها اسم التريبيتاكا. ويناقش أحد الفصول الثلاثة من التريبيتاكا العظام الديرى. ويناقش فصل آخر التعاليم الأساسية للسوتراس، فى حين يناقش الفصل الثالث البناء السيكلوچى للكائنات.

وعادة مايسأل الناس، «ألا يمكن بالنسبة للطريق الروحانى عدم القيام بأى دراسة على الإطلاق؟. ألا يمكن لنا أن نقوم فقط بالتأمل كثيرا، ونتعلم كل شئ من تجاربنا؟» ويعتقد كثير من الناس بأنك لو جلست وتأملت كثيرا، فلا عليك أن تقرء التعاليم المكتوبة، أو دراسة شئ على الإطلاق، ويقولون إنك بالتأمل، فإن كل شىء سوف يأتيك. وهذا المدخل يبدو مكونا من جانب واحد. فهو لا يترك محلاً لتحمية العقل أو تدريب العقل. وهو لا يأخذ كذلك فى حسابه المعلومات التى تحمينا من الانغماس فى حالات من الاستغراق، تلك المعلومات التى تدلنا على أنه من الضرورى أن ندع حالات خاصة تنصرف إلى حال سبيلها، وأن

تدخل فى إطار آخر بالنسبة للعقل. إن الدراسة والتعليم المدرسى يلعبان دوراً بالغ الأهمية بالنسبة لنا. وهذا هو ما بينه لنا بادماسمباهافا فى الجانب المتعلق بالحكمة.

إن أحد المشكلاتت المتعلقة بالعقل والفهم العقلى هو أننا نبحث عن أجابات ونجدها، وكذلك عن خلاصات، واستنتاجات منطقية، ونحن نميل إلى أن ننتهى برأى سديد بالنسبة لما نفهمه. فإذا نحن طورنا ذلك، إذن فنحن لن نكون قادرين على تجربة الأشياء بطريقة صحيحة، أو أن نتعلم أى شىء أكثر من التعاليم على وجه الاطلاق. ونصبح تلامذة متزمتين قد كرسنا أنفسنا لمجرد المطالعة. وربما بدأنا فى الشعور بأن الممارسات غير آمنة إذا لم تكن نعلم عن كنها شيئا، لذلك فعلينا أن ندرس هذه الممارسات بطريقة مدرسية منهجية أولا، وهذا الموقف ربما مضى قدما إلى الحد الذى نقول فيه: أنك لو أردت حقاً أن تدرس التعاليم البوذية، فعليك أولا لغة السانسكريت أو اللغة اليانانية أو لغة التبت أيضا. إنك لا تستطيع حتى البدء فى ممارسة التأمل قبل أن تدرس هذه اللغات، وأن تدرس أيضا النصوص المناسبة.

وهذا الموقف يفترض أن الطالب ينبغى عليه أن يكون تلميذا غير عادى، وحين يكون الطالب قد صار تلميذا جيداً بشكل بالغ يكون قادراً على بلوغ البوذية. ويكون لدية كافة الإجابات. ويعلم كل شىء من الداخل إلى الخارج. وهذا النوع من العلم الغامر طبقا لهذه النظرة يصنع من المرء إنسانا بوذيا.

وهذه النظرة التى تقول إن الكائن المستنير روحانيا هو إنسان متعلم، تلميذ عظيم، هو نوع من عدم الفهم، وهو تطرف آخر. إن الاستنارة ليست مجرد جمع قدر من المعلومات. فإذا كان شخص بوذى لم يستطيع أن يعرف كيف يغير إطاراته الجلدية على سبيل لمثال فإن شخصا بهذه النظرة يمكن أن يبدأ فى الشك حوله. وفي النهاية فالمفترض فيه أن يكون شخصيا غامر المعرفة، فكيف إذن يكون بوذيا إذا لم يكن يعلم كيف يفعل ذلك؟ إن البوذى يكون قادراً على أن يبهرك بمعرفته فى شتى المجالات. فسوف يكون طباخاً ماهراً، وميكانيكيا

ماهراً، وعالما مبرزاً، وشاعراً مرموقاً، وموسيقياً جيداً- سوف يكون جيداً فى كل شىء. وهذه فكرة مخففة ومنتشرة عن البوذية، فى أقل القليل. إنه ليس ذلك النوع من الخبراء العالميين، وليس أستاذا غير عادى.

ولكن إذا كانت الفكرة الصحيحة بالنسبة للفهم العقلى وإذكاء الذهن لا تغذى شخصاً ما بملايين الوحدات من المعلومات، ونجعله يذهب إلى المكتبات، إذن فمن تكون؟ إنها ترتبط بتطرير الحدة والدقة فى الارتباط مع حقائق الطبيعة. ولا شأن لذلك بالولوج فى النتائج المنطقية للأفكار. وينبغى على المرء أن يكون لدية موقفا محايدا فى دراساته العقلية لهذه التعاليم. وعليه أيضا ألا يحاول التوصل إلى نتائج. فالغرض من الدراسة ليس هو الوصول إلى النتائج بقدر اختباره وتجربته للأشياء منطقيا، وبأسلوب محسوس. ويبدو هذا أنه منتصف الطريق [بين الطرفين الخاصين يرفض العقل والتاكيد عليه بصفة خاصة].

والانتهاء من الدراسة العقلية تعنى عادة تشكيل وجهات نظر قوية. فإذا كنت طالبا، فإن اسمك يستحق الذكر إذا قمت باستكشافات ذهنية. ولكن ما نتحدث عنه هنا ليس بالتحديد هذه استكشافات بالمعنى الاحترافى، ولكن بالاحرى الاستكشاف على مستوى الفحص والتدقيق ثم التعامل مع التجارب الشخصية. وبين خلال مثل هذه العملية، فإن تجربتك الشخصية يمكن العمل داخلها. إنها تكرن عرضة للضرب، ولإحراقها، كما يجرى العمل مع الذهب، إذا شئنا اتخاذ تشبيه من التعاليم. وبالتعامل مع تجربتك فإنك تأكل، وتمصنع، وفى الختام تبتلع ثم تهضم. وبهذه الطريقة، فإن الأمر برمته يصبح قابلاً للعمل به. فتركيزك لن يكون فقط على الأشياء البارزة مثل تطوير شخصيتك لتكون شخصياً متعلماً عظيما - عالماً فى أمور البوذية، أو عالماً فى أمور التبت أو شيئا من هذا القبيل.

وبمعنى آخر، فإن العقل هنا يعنى غياب المراقب. فإذا راقبنا أنفسنا ونحن نتعلم - وراقبنا أنفسنا ونحن ننمو، ونتطور، ونصير حثيثا حثيثا أكثر التصاقا بالتعلم والدراسة - فإننا نقارن أنفسنا «بالآخرين» ونكتسب وزنا فى ذاتنا، لأننا

تقارن أنفسنا «بالآخرين. وحيثما كان هناك تجربة أو دراسة ذهنية تمضى دون أن يكون هناك مراقب، تكون هذه التجربة مبسطة ومباشرة. وهذا النوع من استعمال الذهن دون مراقب يتمتع بخاصية مشابهه لما كنا نصفه قبل ذلك فيما يتعلق بالتجربة الخاصة بالأمير الشاب. إنه كان متفتحاً راغباً فى الاستكشاف. وكان ذلك من غير موقف خاص. وكان ذلك بدون شعور بأنك تريد أن تستبدل ما يحدث بشىء آخر، وإنك تريد لجهلك أن يحل محله المعرفة. إنه استكشاف مستمر لمواقف جديدة فى الحياة، من ناحية، وما تقوله التعاليم والتعاليم المكتوبة حول هذه المواقف، وهذا يعنى استكشاف المسائل الدقيقة والمشاعر التى تتصل بالجوانب المختلفة للبوذية. إنها تعنى فهم الجغرافيا الكاملة للتعاليم، بحيث إنه لا تصيبك الهموم من جراء مدخل جديد، وبعض دواعى الحكمة الجديدة. إنك لن تصيبك الحيرة لأنك تعلم أى المجالات للسيكلوچية الإنسانية يخصص لها مدخل خاص يتعلق بها. وبهذه الطريقة، فكيفما حدث بالنسبة للتعاليم يصبح سهلاً جداً، وميسوراً وعمليا سهل التناول. وكان ذلك بمثابة التمرين العملى تجسد من جانب بادماسمباهافا باعتباره بادماسمباهافا. لقد أصبح بادماسمباهافا حكيما عظيماً لأنه عمل بعقله دون رقيب.

ولربما سألت: «إذا لم يكن هناك رقيب، فكيف يتسنى لنا أن نعرف أن قد فهمنا ما قد تعلمناه؟». ولكن من الممكن أن نقترب من عملية التعليم والفهم بأسلوب يختلف عن مجرد جمع المعلومات من أجل اكتساب شخصية جديدة، أو تطوير ذات جديدة. وليس هذا هو الطريق الوحيد. فهناك طرق أخرى لكى يكون الفرد تلميذا من الدرجة الأولى، و مفكرا من الطراز الأول. إنه من الممكن عمل ذلك دون أى رقيب.

هناك جانب آخر من جوانب بادماسمباهافا يعرف باسم «لودن شوكسى»، الذى كان «راچورو»، كما كانوا يطلقون هذا على المدرس الروحى من أحد العائلات الملكية فى الهند. والطريقة التى أصبح بها لودن شوكسى «راچورو» هى قصة مثيرة حقا. فقد كان لودن يتجول من مكان إلى مكان إلى أن وصل إلى

دير للراهبات، ويبدأ فى تعليم كبيرة الراهبات فى الدير، وكانت هى أحدى الأميرات من مملكة ساهور. وكان ساهور فى مكان ما فى منطقة هيماشيتال براديش وهى تقع اليوم فى شمالى الهند. وكانت هذه الأميرة عزيزة جداً فى تلك المملكة، لأنها قد وجهت إليها الدعوة لكى تكون ملكة على عدد من الممالك المجاورة، لها أهمية الممالك المهمة، مثل الصين وفارس، وطبقا للرواية، الإمبراطورية الرومانية، وعلى الرغم من هذه الدعوات الموجهة إليها، فإن الأميرة رفضت أن تكون راهبة بوذية، وفعلت ذلك. وكان ملك ساهور بالغ الخوف من أن الأميرة إذا لم تنجح فى الحفاظ على نفسها كراهبة [وسوف يجرى النظر هذا كخداع وإساءة سياسية من جانب تلك الممالك التى رفضت الأميرة دعواتها] وأنهم ربما قاموا بالهجوم على مملكته نتيجة لذلك. [ولهذا فإن الملك أحاط الأميرة بخمسمائة راهبة لحراستها فى نظامها التى تتبعه].

لذلك فإن بادماسمباهافا كان هناك يلقى تعاليمه على الأميرة والخمسمائة راهبة حين مر راعى أبقار محلى وسمع صوت رجل ينبعث من الدير. وانتشرت الإشاعة فى أنحاء المملكة، وأثارت كارثة ضخمة، وعند أحد النقاط، فإن الملك والملكة ووزرائهما سمعوا بالقصة. وكان أملهم أن يستطيعوا أن يصفوا هذه الكارثة على أنها مبنية على إشاعة خاطئة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعثروا على راعى الأبقار الذى كان الشاهد الأساسى، ووضعوا مجموعة من الهدايا عند مدخل البلاط الملكى، وجعلوا الناس يعرفون أنه إذا حضر الشاهد الأصلى وقص الرواية فإنه سوف يحصل على هذه الهدايا. وكان هناك بعض الذهب، والفضة، والحرير والمجوهرات وهكذا. وأخيراً ظهر راعى الأبقار وقص الرواية التى بدا أنها حقيقة. ولم يكن لديه دافع يدفعه لنشر هذه الكارثة فى المملكة.

وأرسل الملك واحداً من وزرائه ليرى ماذا كان يحدث فى الدير، ووجد الوزير الأبواب موصدة تماماً، وأن الراهبات لن يسمحن لأحد بالدخول، حتى ولو كان رسولاً من الملك الذى يود التفتيش. وتشكك الملك أن هناك شيئا غريبا يدور فى ذلك الدير، وأرسل جنوده لاقتحام المكان. وفعلوا ذلك، ووجدوا

بادماسمباهافا جالساً على العرش فى حجرة الاجتماعات، يصدر تعاليمه إلى الراهبات.

وحاول الجنود القبض على بادماسمباهافا ولكنهم وجدوا ذلك صعبا، صعباً بطريقة محيرة أن يمسكوا به. ولم يتمكنوا من الامساك به على الإطلاق. وعند هذه النقطة أصبح الملك غاضبا غضباً بالغاً وبعث بعدد ضخم من القوات إلى الدير. وأخيراً قبض الجنود على بادماسمباهافا وكافة الراهبات.

إن الوسائل التقليدية للإعدام فى هذا البلد كان باحراق المسجون حياً فى نار من خشب الصندل. ولذلك فقد وضعوا بادماسمباهافا فى نار من خشب الصندل فى حين وضعوا الأميرة فى صندوق ملىء بالأشواك ونار خشب الصندل التى تخبو وتموت بعد أربع وعشرين ساعة عادة لكنا النار استمرت مشتعلة لوقت طويل. فبالنسبة للمجومين الآخرين فليست هناك أية صعوبة، ولكن فى هذه الحالة استمرت النار مشتعله يتصاعد منها الدخان لنحو ثلاثة أسابيع. وبدأ الملك والشعب يتعجبون من أمر هذه المشكلة. فهل يمكن أن يكون هناك شىء غير عادى حول هذا المتجول الذين أحرقره؟ وقرر الملك أن يجمع بعض أجزاء من عظام هذا الجوال فلربما يكون لها صفات سحرية مثيرة. وبعث برسول إلى المكان الذى كانت تشتعل فيه النار، ووجد الرسول أن هناك بحيرة ضخمة قد ظهرت فى الحال، وهناك كتل لا تزال مشتعلة على حافة هذه البحيرة. وفى وسط هذه البحيرة وجدت زهرة لوتس وبادماسمباهافا جالس عليها.

وأدرك الملك أنه قد ارتكب خطأ كبيراً، وبدأ الحديث مع پادماسمباهاڤا. وغنى پادماسمباهاڤا أغنية، قائلا: «أهلاً بالمذنب الكبير، مرحباً بالملك الذى وقع فى حيرة». وهكذا وجه الملك الدعوة إلى بادماسمباهافا للحضور إلى قصره، وقبل بادماسمباهافا الدعوة فى نهاية الأمر. وعند هذه النقطة وطبقا للرواية، فإن بادماسمباهافا قام بأداء بعض تمارين السادانا من نوع الڤاچراداتو ماندالا فى قصر الملك. وكانت النتيجة طبقاً للرواية، أن المملكة قد أفرغت تماماً فى ظروف سبعة

أعوام. وتحللت أو تلاشت كل الحضارة حين أصبح الناس من أهل اليوجا الممتازين، ووجدوا أنه لا جدوى من الالتصاق بالعمل المحلى العادى. وأصبحوا جميعهم مجانين.

وفى هذه القصة، فإن لودن شوكسى، أى جانب الراچورو فى پادماسمباهاڤا، قد أدى معجزة. ومعجزته هذه لم تكن فقط من أجل تغيير عقيدة الملك، وإنما كانت المعجزة بمثابة أسلوبه للتعامل مع أية مخاطر أو تهديدات أو اتهامات تثار ضده. ولودن شوكسى أظهر تجلياته بالنسبة للحصانة التى يتمتع بها پادماسمباهاڤا. فأى تحد له، فإنه لا يجرى النظر إليه كخطر، وإنما ينقلب إلى نوع من الزينة تزدان بها أفعاله. واستخدام العقبات كأسلوب لمجابهة مواقف الحياة يلعب دوراً هاماً جداً فى الحكمة المجنونة.

وقد تبدو هذه كفكرة معتادة بالنسبة للذين تعرضوا من قبل لتعاليم الحكمة المجنونة، ولكن بالنسبة لغالبية الناس، الذين يفكرون فى الروحانية على أنها مبنية فقط على الطيبة فإن أى نوع من أنواع المعارضة أو وضع العراقيل تعتبر مظاهرة للنشر. والنظر إلى العقبات بمثابة نوع من الزينة هوفكرة غير عادية. فإذا كان هناك تهديد للمدرس أو لعملية التدريس، فإنها تميل لأن تجرى تصنيفها على الفور على أنها «عمل شيطانى». ومن هذه الزاوية، فإن الفكرة هى محاولة ألا ترتبط مع العقبات أو التهديدات، ولكن عليها أن تلقى بهذه العقبات بعيداً باعتبارها شيئاً سيئاً. شيئاً معاديا للتعاليم. إنك إنما تطهر نفسك من أدران هذا العمل الشيطانى. وينبغى عليك أن تهجره، وليس بالأحرى أن تستكشفه كجانب من التطوير العضوى المتكامل نحو الوضع الذى تعمل معه. إنك تنظر إلى ذلك ببساطة باعتباره مشكلة.

إننى أفترض أن أولئك من بيننا الذين يكونون على ألفة مع هذه التعاليم سوف ينظرون إلى أنفسنا على مستوى ذكائى دقيق، وربما لا نزال نجد بعض عناصر هذا المدخل. وعلى الرغم من أننا نعلم الفلسفة والأفكار - نحن نعلم أننا يفترض أن نعمل بسلبية، وأن نستخدم ذلك بمثابة نوع من الزينة-فهناك على أية

حال بعض الشعور لمحاولة العثور على بدائل، ومحاولة إيجاد بعض أنواع الوعود الدفينَة.

وحقيقةً، فإن ذلك يحدث كثيراً مع تلامذتنا. ويتحدث الناس عن الارتباط مع السلبية كجانب من جوانب تطوير الموقف، ولكنهم ينظرون حينئذ إلى هذا المدخل فى حد ذاته باعتباره طريقاً بديلاً لحل مشكلة السلبية. وحتى بالنسبة للتلاميذ الأكبر سنا فإنهم لا يزالون يسألون سواء على الملأ أو بوجه خاص، تلك الأسئلة التى تبنى على مدخل الحل البديل. وهم لا يزالون يعتقدون أن هناك «أفضل الطرق»، ولا يزالون يعتقدون أيضا أن هناك طريقاً إلى بعض أنواع السعادة. وعلى الرغم من أننا نعلم من أننا نفترض أن نرتبط مع الألم والبؤس كجانب من جوانب الطريق، فإننا لا نزال نحاول مع ذلك النظر إلى «ذلك» باعتباره سبيلاً إلى السعادة، وسبيلاً إلى حل المشكلة، كبديل أفضل. فإذا كان بادماسمباهافا باعتباره راچورو، لكنا قد حاولنا التحدث إلى الحرس الذى قبض علينا قبل أن يلقوا بنا إلى أتون النار. ولكنا قد قلنا: «إن هذه غلطة كبرى، كان لا يجب عليك أن تفعل ذلك، إنك لا تفهم ماذا تفعله». وكنا سنحاول ذلك، ولا نترك بالأحرى تلك الواقعة لكى تحدث. وأن ندع الأفعال تتحدث بصوت أعلى من الكلمات.

ويبدو أنه لا يزال هناك بعض أنواع الجبن فى مدخلنا. فنحن جبناء بمعنى أنه مهما كانت التعاليم دقيقة وواضحة فإننا نظل لا نتوافق مع الفكرة القائلة بأن «الألم والسرور متشابهان. فهما من قبيل الزينة ويسر المرء أن يلبسهما»(٦). فلربما نقرأ ذلك، ولربما نقول ذلك، ولكننا لا نزال نجد من الرائع أن نلوى ونلوى الأمر ونشعر أن البؤس أو السلبية أمر جيد: «علينا أن نتعامل مع هذا الوضع. حسنا، اننى كنت أفعل ذلك. وأخيراً كنت أجد كل أنواع الأشياء الجافة والمهلهلة تدور فى ذهنى وفى حياتى. إنها ليست مبهجة على وجه الخصوص، ولكنها بوجه إجمالى مثيرة وممتعة بالنسبة لى». هناك مسحة أمل. إن فكرة أن نجد السلبية «ممتعة» هو أننا إلى حد ما ونحن نمارسها سوف يكتب لنا النجاة. ان

التضمينات غير المكتوبة هي أنه في نهاية المطاف سوف يكون الأمر برمته حسنا وأدعى إلى البهجة. إن ذلك أمر حاد الذكاء. لأنه في أغلبه يصبح كما لو كان هناك اتفاق غير مكتوب. إنه في النهاية كل الطرق تؤدى إلى روما.

نحن لا نزال نناضل مع العقلية الهينايانا. على الرغم من أننا نتحدث أكثر التعاليم عمقا، وهي الحكمة المجنونة. ونحن لا نزال نعتقد أن هذه الحكمة المجنونة يمكن أن تؤدى بنا إلى السعادة، وأن دعائم الفاچرايانا يمكن أن تساعدنا على المضى قدما في طريق جيد للهينايانا. وهذا يظهر أننا لم نرتبط مع الشيء بكامله على اعتباره منعدم الأمل- منعدم الأمل بشكل مطلق-على الإطلاق. وحتى حالة انعدام الأمل كان يجرى النظر إليها كحل من الحلول. ولا يزال هذا الصراع قائما. ولا نزال نمضى قدما كما لو كان هناك ذلك الاتفاق الصامت بأنه بصرف النظر عما نقوله، فإننا نعمل باتجاه نوع ما من السعادة. ولكن بادماسمباهافا باعتباره راچورو لم يكن يهتم بذلك على الإطلاق. لقد كان مدخله، «دع السعادة تقدم نفسها إذا حدثت، ولكن في نفس الوقت، دعني يحكم عليَ بلاعدام لو اقتضى الأمر».

اعتبر نفسك بمثابة مجرم - تقدم وافعل ذلك! إنها فعلها. لقد حوكم كمجرم، ولكن تغير الأمر حينذاك.

إن الاعتراف بأن أخطاء الآخرين على أنها أخطاؤك تبدو أمراً شديد الصعوبة، وعلى أية حال، فإن الألم هو الطريق. إننا لا نريد أن يوجه إلينا اللوم عن تصرف شخص آخر. ولسوف نقول على الفور إننا لم نفعل ذلك. «إنها ليست غلطتي». ونحن لا نستطيع أن نتحمل أن يوجه لنا اللوم بدون مبرر. حسناً، إن ذلك أمر محسوس، فيما أفترض - أن الناس لا يحبون أن يجرى توجيه اللوم إليهم. ولكن افترض أننا قررنا أن نأخذ الأمر كله على عاتقنا، ودع اللوم يوجه لنا، فماذا سوف يحدث إذن، فقد يكون من المثير أن نعثر على الإجابة - ببساطة عن طريق المثال التالى لبادماسمباهافا (إذا جعلك هذا تشعر بشعور أفضل).

إن هذا المدخل مثير جداً. انه ليس دقيقا جداً على وجه الخصوص، انه واضح. ويصبح الأمر دقيقا فقط حين يتم إجراء عملية التواء للالتواء الخاص بالخداع، الذى هو ألتواء باتجاه الهدف.

طالب: إننى أود أن أعرف شيئا أكثر حول هذا الالتواء فى الخداع.

ترونجباربنبوكى: حسنا، إننا يمكن الحديث عنه كثيرا، ولكن النقطة الأساسية تبدو فى قطع التبرر النفسى حول «إن الأمر فى طريقه ليكون على ما يرام، إن هناك نوع من الوعد أو المكافاه على أية حال. وحتى فى حالة عدم الاعتقاد فى وجود وعد هو وعد من نوع ما. فهذا النوع من الالتواء موجود هناك دائماً. ومالم نكن راغبين أن نتلقى اللوم بدون مبرر، فإننا لا يمكن قطع خداعنا على الإطلاق. وهذا أمر شديد الصعوبة فى القيام به. إننا تتوافر لدينا الرغبة فى أن نكذب على أنفسنا، ولكننا لا تتوافر لدينا الرغبة فى الكذب من أجل الأخرين. إننا لسنا راغبين على الإطلاق أن نتحمل آلام شخص آخر. ومالم نتحدث إلى الناس الذين نتحمل عنهم آلامهم ونقول، «انظر، إننى أقوم بعمل جيد من أجلك. إن ذلك فعلته من أجلك». يبدو أنك تريد أن تتحدث مع ذلك الشخص قبل أن تستسلم.

طالب: بادماسمباهافا هو أسد الدارما. وبعض الناس يريدون توجيه اللوم إليه لعمله السىء. بادماسمباهافا يقول، «حقاً، تقدم، سوئ سمعة اسمى». أنا لا أفهم بالضبط. ربما أنه كان ذلك هو الشىء الوحيد الذى أمكنه عمله، فإن ذلك يتضمن بعض المعنى، ولكن يبدو أن هناك نماذج أخرى متاحة من العمل. فقد كان يمكنه إحلال السلام النفسى، إثراء الوضع، إحداث عملية جذب، وهكذا. ولكن مجرد المضى قدما بلوم لا يعرف لمن يوجه، فإن ذلك يشبه تجنب الموقف. إننى لا أرى الصفة الذكية لتصرفه كما تصرف فى هذا الموقف.

ترونجباربنبوكى: فى هذه الحالة، ولأنه لم يحاول أن يقوم بعملية جذب، أصبح

الأمر بكاملة أكثر قوة. وبدلاً من ذلك فإنه استسلم، لكنه استسلم بطريقة قوية حتى أن الأخرين أقيلوا من عثراتهم من جراء ذلك الموقف. كانت النتيجة أن بادماسمباهافا لم يكن يلزمه أن يتحدث عن هذا الموقف وكان على الآخرين أن يفعلوا ذلك من أجله. إن الرسالة الموجهة إلينا باعتبارنا أتباعاً له هى: أننا طالما لم نستخدم مثل هذه الأساليب الفنية غالبا (على أقل القليل)، فإن الأمر يستحق منا أن نحاول تجربة هذا المدخل. وليس مطلوباً منا أن نتخيل ونفكر ثم نقول: إن الاستسلام للموقف هو الطريق الوحيد. فهذه ليست هى النقطة. فلدينا كافة الثراء والثروة من كافة أنواع الأساليب الفنية، وهذا الأسلوب هو واحد من الأساليب الشيقة. إن الأمر يستحق منا أن ننظر إليه. وأقصد، أن لديك ثمانية أساليب للتعامل مع حياتك - فالجوانب الثمانية لبادماسمباهافا، كل واحد منها له رسالة مختلفة - وهذا جانب واحد منهم.

طالب: هل كان الاستسلام بهذه الكيفية هو مافعله المسيح؟ مجرد أن سمح لموقفه بالحدوث؟

ترونجبارينبوكى: هذا يبدو واضحاً جداً. نعم. إنه مجرد أن قبل اللوم.

طالب: إننى لا أفهم فكرة عدم تفادى الألم. إذا نحن لم نحاول تفادى الألم، إذن فما هو معنى «الحقيقة النبيلة» حول وقف الألم؟

ترونجبارينبوكى: هنا يعتبر وقف الألم هو الشعور برؤية الألم من زاوية معاكسة-من الخلق - وليس بالأحرى إلغاؤه.

طالب: هل تعنى مجرد الانتهاء على الطرف الآخر من الألم؟

ترونجبا: نعم، [على الجانب الآخرمن] الذى يخلق الألم وهو الاضطراب.

طالب: يبدو أن المسيح وبادماسمباهافا كليهما كان عليه أن يستخدم السحر من أجل إحراز نصرهما النهائى.

ترونجبا: ليس بالضرورة. إنها يمكن أن تصبح سحراً من نفسها.

طالب: أقصد البحيرة، والجلوس فى زهرة اللوتس و . . . .

ترونجبا: إن ذلك لم يكن سحراً على وجه الخصوص، إن ذلك مجرد ما حدث. وبالنسبة لهذا الأمر، فإن البعث يمكن أن بشأنه أنه لم يكن سحراً على الإطلاق. إنه مجرد ما حدث فى حالة المسيح.

طالب: انه سحرى فى سياق أنه أمر غير عادى جداً. وأقصد أن أقول إذا لم يكن ذلك سحراً فما ذا يكون إذن؟

ترونجبا: حسنا، فى هذه الحالة فإن ما نفعله هنا هو سحر. إننا نفعل شيئا غير معتاد بالمرة، بالنسبة لأمريكا. فإنه يحدث أن يتطور المر من تلقاء نفسه. ولا يمكننا خلق الموقف برمته. إن اجتماعنا معا، ومناقشة هذا الموضوع حدث من تلقاء نفسه.

طالب: رينبوكى، إن ما كنت تقوله حول استخدام الألم على أنه نوع من الزينة يبدو لى مثل الاختلاف بين جمع المعلومات، وبين تجربة مضمونها. ولكننى لا أستطيع أن أرى كيف تسنى لك أن تتأكد من أنك تتصل حقيقةً مع تجاربك.

ترونجبارينبوكى: لا ينبغى على المرء أن ينظر إلى الشيء بكامله كطريقة تقدم الذات. ما عليك إلا أن تتصل بها باعتبارها عملية مستمرة. لا تفعل أى شيء بشأنها، مجرد أن تستمر أنه أمر عرضى غير مقصود فى الأغلب الأعم.

طالب: ماذا يعنى لودن شوكسى؟

ترونجبارينبوكى: لودن تعنى «حيازة الذكاء» وشوكسى تعنى «العالم الأعلى» أو «الحياة الأعلى». وفى هذه الحالة فإن الاسم لا يبدو أن له مغزى كما هو الحال مع بعض الجوانب الأخرى. إنه ليس حقاً مثل سنجى درادروك أو دررچى ترلاو على سبيل المثال. لودن شوكسى له علاقة بكون الشخص ماهراً.

طالب: ما هو الفرق بين نوع الإدراك الحسى المباشر الذى كنت تتحدث عنه هنا وبين الأنواع الأخرى من الإدراك؟

ترونجبار ينبوكى: يبدو أنك إذا كنت تبحث فقط عن إجابات. إذن فأنت لا تدرك أى شى إنه فى إطار الاستخدام الصحيح للعقل، فإنك لا تبحث عن إجابات، إنك مجرد ترى، وتأخذ ملاحظات فى عقلك. وحتى حينذاك فليس من أهدافك جمع المعلومات، وإنما مجرد أن ترتبط مع ما هو موجود كتعبير عن الذكاء. بهذه الكيفية فإن ذكاءك لا يمكن فحصه باقتراحات غير مترابطة. وتكون بالأحرى قد عملت على إذكاء قدرتك العقلية. ويمكنك أن ترتبط مباشرة بما يجرى حدوثه.

طالب: ولكن كيف يمكنك أن تفرق بين ذلك، وأنواع الإدراكات الأخرى؟

ترونجبا: بوجه عام، فلدينا إدراكات بالنسبة لكل أنواع الأشياء مختلطة مع بعضها، أى أننا كيفنا الإدراكات التى تحتوى على غرض الجذب أو التدمير. ومثل هذه الإدراكات تحتوى على العاطفة والعدوان، وكافة الأنواع المتبقية المتشابهة. وهناك دوافع أبعد مدى من كل الأنواع فى مقابل مجرد الرؤية الواضحة، مجرد رؤية الأشياء بقدر كبير من التحديد، والحدة.

دورچى ترولاو وأساليب
الإرسال الثلاثة

إن الجوانب الثمانية لپادماسمباهاڤا هى دورچى ترولاو، وهى الجانب الآخر والمطلق للحكمة المجنونة. ولكى يتسنى مناقشة هذه الجوانب الثمانية لپادماسمباهاڤا، فينبغى أن يكون لدينا بعض الخلفية العلمية حول الطرق [التقليدية] عن الاتصال بهذه التعاليم. وفكرة «خط النسب» ترتبط مع عملية إرسال رسالة «الأديشتانا» والتى تعنى «الطاقة»، أو إذا شئت، «الرشاقة». وهذه الرسالة تنقل كأنها تيار كهربائى من عالم التريكايا للكائنات التى لها إحساس. وبمعنى آخر حين تنساب تجدد من نفسها، والطريق الوحيد لتجديد هذه الطاقة هو بالإشعاع أو الاتصال بها، والتدريب عليها. إنها ليست كباقى أنواع الطاقة، التى تستخدمها والتى تتجه نحو التوقف أو الانطفاء. ذلك أن طاقة الحكمة المجنونة تولد نفسها بنفسها خلال معايشتنا لها. فإذا عايشت هذه الطاقة، فإنها تجدد نفسها، فأنت لا تعيش لكى تموت، وإنما تعيش للولادة. وعملية الحياة هى عملية ولادة مستمرة وليست بالأحرى عملية إبلاء أو فناء.

إن خط النسب له أساليب ثلاثة لإرسال هذه الطاقة، وأولها يطلق عليه كانج ساكنين – چياو. وهنا فإن الطاقة المتولدة من خط النسب يجرى إرسالها بكلمة من الفم وباستخدام أفكار وتصورات. وبمعنى آخر، فهى أسلوب بدائى ثنائى المدخل إلى حد ما. وعلى أية حال، فإنه فى هذه الحالة فالمدخل الثنائى قابل لأداء دوره، وجدِير بالاهتمام.

فإذا جلست واضعاً ساقاً على ساق، كما لو كنت فى حالة تأمل، فإن المحتمل أن تجد نفسك فعلا فى حالة تأمل بعد هنيهة. وهذا يشبه تحقيق السلامة (الذهنية) بأن تدفع نفسك نحو تقليدها، والتصرف كما لو كنت سليماً من قبل. وبنفس الطرية فإن الممكن أن تستخدم كلمات، وتعبيرات، وتصورات، وأفكار التعليم شفهيا أو كتابة–كما لو كانت وسائل كاملة تماماً للإرسال. والإجراء المتبع هو أن تطرح فكرة، ثم دحض وتفنيد [عكس هذه الفكرة]، ثم بعد ذلك ربط

الفكرة مع تعاليم مكتوبة أصيلة أوتعاليم تكون قد أعطيت فى الماضى.

والاعتقاد فى قدسية أشياء معينة على مستوى بدائى هو الخطوة الأولى نحو هذا الإرسال. ومن الأمور التى جرت عليها التقاليد، هو أن التعاليم المكتوبة أو الكتب المقدسة لا ينبغى أن تداس، أن يجرى الجلوس عليها، أو يساء معاملتها لأن هناك أشياء شديدة القوة تقال فيها. والفكرة هو أن إساءة معاملة هذه الكتب، فإنك إنما تسىء معاملة الرسالات التى تنطوى عليها. وهذه طريقة من طرق الاعتقاد فى بعض أنواع الكيانات، أو الطاقة، أو القوة - فى صفة حياة بعض الأشياء.

أما الأسلوب الثانى للإتصال، أو التعاليم، فى « ريجديزن دا - جياو » وهو أسلوب الحكمة المجنونة، ولكن على المستوى النسبى، وليس على المستوى المطلق. وهنا يمكنك الاتصال بخلق بعض الأحداث التى تبدو أنها تحدث من تلقاء نفسها. ومثل هذه الأحداث يبدو أنها لا تتعرض للوم، ولكنها تخضع إلى محرض فى مكان ما. وبمعنى آخر فإن العالم الروحى يضبط نفسه على الطاقة الكونية، أوما يحلو لك أن تسمية. وإذا ما اقتضى الأمر بعد ذلك خلق نوع من الفوضى والاضطرب، فإنه يوجه اهتمامه تجاه هذه الفوضى. ومن المناسب جداً، فإن الفوضى تطرح نفسها كما لو كانت قد حدثت عرضا أو بطريقة الخطأ. فمقطع «دا» فى لغة التبت تعنى «رمز» أو «علاقة». ومعنى ذلك هو أن عالم الحكمة المجنونة لا يتحدث، ولا يدرس على المستوى العادى، ولكنه أو لكنها يخلق بالأحرى. رمزا، أو وسيلة. إن الرمز فى هذه الحالة لا يشبه شيئا يطرح نوعية الحياة ويخلق رسالة منها.

والأسلوب الثالث للاتصال يسمى «جيالوا جونج - جياو» وهذا معناه «خط الفكر» أو «خط العقل». ومن زاوية خط الفكر، فإنه حتى بالنسبة لطريقة خلق المواقف. فهو خشن أو بدائى. وهنا فإن الفهم المتبادل يتخذ لنفسه مكانا يخلق منه مناخاً عاماً - ويتم فهم الرسالة. وإذا كان العالم الروحى للحكمة المجنونة كائنا أصيلاً، إذن فإن الاتصال الأصيل سوف يحدث، وتكون وسائل

الاتصال ليست بالكلمات، ولا هى بالرموز. وتكون نوعية الاتصال بالأحرى عبارة عن شعور بالإتقان أو الإحكام. وربما اتخذت شكل الانتظار - للاشئ. وربما اتخذت شكل التظاهر للتأمل معا، ولكن عدم القيام بأى شئ. وبالنسبة لهذا الأمر، فإنه قد يتضمن علاقة من نوع وقتى: مناقشة أحوال الجو، ومذاق الشاى، وكيف يمكن إعداد طعام الكارى، وتقطيع بعض الأشياء أو شئون المطبخ الحيوية المختلفة، أو التحدث فى التاريخ، أو تاريخ الجيران - أو كيفما يكون الحال.

وتتخذ الحكمة المجنونة من نوع خط الفكر شكلا يدعو إلى الإحباط إلى حد ما بالنسبة للمستقبل الشغوف لهذه التعاليم. إنك يمكن أن تزور العالم الروحانى، ونكون قد أعددت نفسك لذلك، ولا يكون هذا العالم أو الحكيم الروحانى مهتما بالحديث معك. فقد يكون مشغولاً بقراءة الصحف. أو أنه بالنسبة لهذا الأمر، يمكن أن يخلق ما يسمى «الهواء الأسود»، وهو نوع من التكثيف الذى يجعل الجو المحيط خطراً. ولا يكون هناك أى شئ يحدث إلى ذلك الحد حتى أنك تخرج بشعور من الراحة، وأنت مسرور أنك سوف لا تزوره مرة أخرى. ولكن شيئا يحدث لك كما لو كان كل شئ قد حدث بالفعل أثناء هذه الفترات من الصمت أو التكثيف.

وبالنسبة لخط الفكر فهو حضور بأكثر منه حدوث شئ. وله كذلك صفة غير عادية.

وبالنسبة للأبيشيكا التقليدية، أو الاحتفالات الطقوس، فإن الطاقة الخاصة بخط الفكر يجرى إرسالها داخل نظامك على المستوى الرابع للأبيشكيا. وعند هذه النقطة سوف يسألك المعلم الروحى فجأة، «ما اسمك؟» أو «أين عقلك؟» وهذا السؤال المفاجئ سوف يتوغل لحظيا إلى عقلك غير الواعى، ليخلق لك نوعاً من الارتباك من نوع مختلف [عن ذلك النوع أو النمط الذى يدور قبل ذلك فى ذهنك]. وتبحث عن إجابة، وتتحقق من أن لك اسماً، وأنه يود معرفته. ويكون الوضع كما لو كنت غير ذى اسم من قبل، وأنك اكتشفت

الآن أن لك اسماً. إنه ذلك النوع من اللحظات غير المتوقعة.

وبالطبع، فإن مثل هذه الاحتفالات تخضع للفساد. فإذا كان المدرس يراعى التعاليم المكتوبة والشروح والتفاسير، وكان التلميذ يتوقع بشغف شيئا قويا، إذن فإن المدرس والتلميذ كليهما سوف يفقدان القارب فى آن واحد.

إن الاتصال بطريقة خط الفكر هو من تعاليم الدارماكايا، أما الاتصال بواسطة الإشارات والرموز - خلق المواقف - فهو مستوى السامبوچاكايا من التعاليم، والاتصال بالكلمات هو مستوى النيرماناكايا من تلك التعاليم. وتلك هى الأساليب الثلاثة التى يتصل بواسطتها عالِم الحكمة المجنونة بطالب الحكمة المجنونة القدير.

إن الأمر برمته ليس صعب الاحتمال كما يبدو ذلك. وعلى أية حال، فهناك تيار تحتى يأخذ مزايا الأذى الناتج عن الحقيقة. ويخلق شعورا من الجنون أو شعوراً أن شيئاً ما أو غيره ليس رصينا بالدرجة الكافية. إن شعورك بالأمان يكون عرضة للهجوم. لذلك فإن المتلقى للحكمة المجنونة - التلميذ المثالى للحكمة المجنونة - ينبغى أن يشعر بعدم الأمان البالغ، وأنه مهدد بالمخاطر. وبهذه الطريقة فإنك تصنع نصف الحكمة المجنونة فى حين يقوم معلمك الروحى بصنع النصف الآخر. وكلاهما - المعلم الروحى والطالب يزعجهما هذا الموقف. فعقلك لن يكون فيه ما يشغله. فهناك فجوة خلقت فجأة. ونوع من الارتباك.

وهذا النوع من الارتباك يختلف تماما عن الارتباك الناجم عن الجهل. فهو الارتباك الذى يحدث بين السؤال والجواب. وهو الحد الفاصل بين السؤال والجواب. فهناك سؤال، وتكون بصدد الإجابة عن هذا السؤال: هناك فجوة. قد ابتسرت سؤالك، ولم يأت الجواب بعد. فهناك شعور سلفاً بمعنى الجواب، شعور بأن شيئا إيجابيا يجرى حدوثه - ولكن شيئا لم يحدث بعد. وهناك تلك النقطة حيث يكون الجواب على وشك أن يولد، ويكون السؤال قد أوشك على التلاشى.

هناك حالة كيميائية شديدة الغرابة، فتركيبة موت السؤال أوتلاشيه ومولد

الإجابة يخلق جوا من عدم التأكد. إنه عدم التأكد الذكى- الحاد، ومحب الاستطلاع. وهذا لا يشبه الارتباك الذى يصيب الذات الناتج عن الجهل، والذى فقد الاتصال كلية مع الحقيقة، أو حتى لمسها. لأنك أفسحت الفرصة للثنائية وأنت غير متأكد حول كيفية تناول الخطوة التالية. إنك يصبك الارتباك بسبب مدخل الذات ذى الطبيعة الثنائية. ولكن فى هذه الحالة فإنه ليس ارتباكا من ذلك النوع الذى لا تعلم فيه. ماذا تفعل، ولكنه إرتباك بسبب أن هناك شيئا فى سبيله للحدوث، ولكنه لم يحدث بعد.

والحكمة المجنونة لدورچى ترولا وليست معقولة إلى حدما. فهى خرقاء تعوزها البراعة، لأن الحكمة لا تسمح بالحل التوافيقى. فإذا أوجدت حلاً توفيقيا بين لأسود والأبيض فإنك تحصل على لون رمادى - ليس أبيض تماماً، وليس أسود تماماً. إنه وسيط حزين وليس وسيطا سعيدا - مخيبا للآمال. وتشعر بالبؤس تماماً أنك قد قمت بهذا الحل الوفيقى. من أجل ذلك فإن الحكمة لمجنونة لا تعرف أى حل توفيقى. فأسلوب الحكمة المجنونة هو بناؤك: بناء ذاتك إلى مستوى الغرابة، إلى الحد الكوميدى، إلى نقطة تبدو شاذة - وبعد ذلك - وعلى حين فجأة تترك وشأنك. لذلك فأنت تشعر بسقوط كبير مثل هامتى دامتى: «كل جياد الملك وكل رجال الملك. لا يستطيعون أن يصنعوا هامتى دامتى مع بعضها مرة أخرى».

ولنعد إلى قصة بادماسمباهافا باعتبارها دورچى ترولاو، لقد سئل من جانب أحد الآلهة المحليين فى التبت، «ما الذى يخيفك بالدرجة الأكبر» وقال بادماسمباهافا، «إننى أخشى من الذنوب العصابية» وحدث أن تكون الكلمة بلغة التبت المقابلة للترنب - دكپا - هى نفس كلمة العقرب، ولذلك فإن الإله المحلى اعتقد أنه يمكن أن يخيف بادماسمباهافا بإظهار نفسه عقربا ضخما. وتم تخفيض هذا الإله المحلى إلى غبار - بمثل العقرب.

والتبت يفترض أنها محاطة بجبال تكسو قممها الثلوج، وهناك أثنا عشر إلهة مرتبطة بهذه الجبال التى تحرس البلاد. وحينما أتى دورچى ترولاو إلى

التبت، رفضت أحد هذه الإلهات أن تستلم له. فولت هاربة منه - هربت هائمة في كل المكان. وصعدت إلى أحد الجبال معتقده أنها هربت من بادماسمباهافا فوجدته هناك سلفا أمام عينيها، يرقص في أعلى الجبل. وولت هاربة إلى أسفل الوادى، فوجدت بادماسمباهافا سلفاً في سفح الجبل، جالساً في ملتقى شباب الوادى المجاورة. وحيثما ولت وجهها هاربة فإنها لم تستطع أن تكون بمنجاة منه. وفى النهاية قررت القفز فى أحد البحيرات، وأن تختبئ هناك، وقام بادماسمباهافابتحويل هذه البحيرة إلى بحيرة بها حديد يغلى، وظهرت وكأنها نوع من الهياكل الإنسانية. وفى النهاية كان عليها أن تستسلم، لأن بادماسمباهافا كان فى كل مكان. لقد كانت تخاف الأماكن المغلقة على أية حال.

وأحد تعبيرات الحكمة المجنونة هو أنك لا تستطيع الفرار منه. إنه فى كل مكان (مهما كان هذا المكان).

وفى منطقة تاكتسانج فى بوتان، تجلى بادماسمباهاڤا إلى إحدى إناث النمور الحوامل. وكان تجليه أو ظهوره على هذا النحو ذا صلة بإخضاع الطاقة النفسية السيكولوچية للبلاد، وهى بلاد تكتنفها المعتقدات البدائية فيما يتعلق بالذات وبالإله.

وأحد تعبيرات الحكمة المجنونة هو التحكم فى الطاقة السيكلوچية. وأسلوب التحكم فى الطاقات النفسية ليس بخلق مزيد من الطاقة النفسية وأن يجرى السيطرة عليها. فإن ذلك إنما يعمل فقط على تصعيد الحرب، وتصبح من ثم مكلفة باكثر من اللازم - مثل حرب ڤيتنام. إنك إنما تقوم بإعداد استراتچية مضادة، ثم بعد ذلك بإعداد استراتچية مضادة للاستراتچية المضادة. لذلك فإن الفكرة ليست فى خلق قوة عظمى. والسبيل إلى التحكم فى الطاقة السيكلوچية للمعتقدات البدائية هو تدبير نوع من الفوضى. أى إحداث اضطراب فى هذه الطاقات، وإرباك منطق الناس أن تربكهم حتى يكون عليهم أن يفكروا مرتين. وهذا يشبه لحظة تغيير الحراس. وفى اللحظة التى يكون عليهم أن يبدأوا التفكير مرتين، فإن الطاقة المتوافرة فى الحكمة المجنونة تتبخر.

لقد تحكم دورچى ترولاو فى الطاقات السيكلوچية للمعتقدات البدائية وذلك بخلق الارتباك. ولقد كان نصفه هنديا والنصف الآخر تبتيا. فمظهره مظهر شخص هندى يرتدى ثيابا تشبه ثياب آهل التبت المخبولين. وكان يحمل حربة وخنجرا، وتشع من جسده علامات النور. وكان يمطتى ظهر إحدى إناث النمور. لقد كان ذلك أمراً عجيبا جداً. ولم يكن أحد الآلهة المحليين، كما لم يكن معلما روحيا تقليديا. ولم يكن لا هو محارب ولا هو ملك. ولكنه لم يكن بالتأكيد رجلاً عاديا. وركوب نمر ينظر إليه كخطأ، ولكنه استطاع أن يفعل ذلك. فهل كان يحاول أن يتخفى أو يتنكر بصفته تبتى أم ماذا كان يحاول أن يفعل؟ ولم يكن على الخصوص يعلم أى شىء. ولم يكن بوسعك أن تتعامل معه كواعظ من فئة البوذيين أو كأحد المبشرين. ولم يكن يسعى إلى تغير عقيدة أى فرد فلم يكن ذلك أسلوبه أيضا. فهو كان يسعى إلى تدمير الفوضى والاضطراب فى كل أنحاء المكان حيثما ولى وجهه. حتى الآلهة المحليين أصابهم الاضطراب - واضطربت أحوالهم تماماً.

وحين ذهب بادماسمباهافا إلى التبت، انزعج الهنود انزعاجاً شديداً. فقد شعروا أنهم سوف يفقدون شيئا ثمينا جداً، حينما بدا أنه قد عقد العزم على إعطاء تعاليمه عن الحكمة المجنونة لآهل التبت فقط. وكان ذلك بمثابة إهانة مفزعة بالنسبة للهنود. لقد كانوا يفخرون بأنهم من الجنس الآرى الأعظم. أعظم الأجناس ذكاء. وأنهم أعظم الشعوب تلقياً للتعاليم السامية. والآن، وبدلاً من أن يعلمهم بادماسمباهافا فإنه ذاهب إلى بلاد التبت الموحشة خلف منطقة الحدود، وإنه قرر تعليم أهل التبت بدلاً منهم. وقام الملك سيريا سميها من منطقة برادش، المنطقة الوسطى فى الهند - بإرسال ثلاثة «أرشاريا»، أو ثلاثة علماء روحانين إلى ملك التبت ويحلمون معهم رسالة مهذبة تقول إن ذلك الذى يدعى بادماسمباهافا إنما هو رجال مشعوذ، وإنه ساحر أسود فى الحقيقة. ونصح الملك الهندى بأن بادماسمباهافا شخص خطير جداً بالنسبة لآهل التبت أن يكون بلادهم وأنهم ينبغى عليهم إعادته إلى بلاده.

والنقطة الشيقة هنا هو أن تعاليم الحكمة المجنونة لا يتسنى تدريسها إلا فى البلاد الموحشة، والتى يتوافر فيها فرصة أكبر للاستفادة بحالات الفوضى، أو السرعة، أو كيفما يحلو لك أن تسمى هذا العنصر.

وطبيعة الحكمة المجنونة التى جاء بها بادماسمباهافا كدورچى ترولاو أنها من جاءت من قبل عالم روحى لا يرغب فى إيجاد حل توافقى مع أى شيء. فإذا وقعت فى طريقه فأنت إنما تبحث عن الدمار والهلاك. وإذا كانت لديك شكوك فيه فإنه يستفيد من شكوكك. فإذا كنت متفانيا بقدر زائد ومعتمدا أيضا بشكل زائد على الثقة العمياء، فإنه سوف يحدث لك صدمة. وهو يأخذ الجانب الساخر من العالم بجدية شديدة. إنه يلقى النكات العملية على نطاق واسع - تلك النكات ذات الأثر التدميرى.

واتخاذ النمر بمثابة شعار هو أمر مثير أيضا. فهو يرتبط بفكرة الشعلة، بما فيها من نار ودخان. أما أنثى النمر فمن المفترض أنها من أراداً أنواع النمور. فهى جائعة، وهى مجنونة إلى حد ما، وهى لاتلتزم بأى منطق تماما. ولا يمكنك الإلمام بسيكلوچيتها والعمل معها مستخدما العقل. ومن المحتمل جداأنها تقوم بالهجوم عليك، وآن تأكلك فى أى وقت. وهذه هى طبيعة الدورچى ترولاو وأداته فى النقل. فعالم الحكمة المجنونة يمتطى طاقة خطيرة محملة بكافة أنواع الإمكانيات. وهذا النمر يمكن أن يقال أنه يمثل الوسائل الماهرة، الوسائل الماهرة المجنونة ودورچى ترولا - والذى هو الحكمة المجنونة يمتطيها، وهما معا يمثلان ثنائيا متميزاً.

وهناك جانب آخر لبادماسمباهافا فى التبت، وهو ليس جزءاً من الجوانب الثمانية. فبالنسبة لأهل التبت يعتبر بادماسمباهاڤا بمثابة الأب. وعلى هذا النحو فإنه يشار إليه المعلم الروحى رينبوكى، «المعلم الروحى». ولقد وقع فى غرام أهل التبت، وبذل رعاية ضخمة لهم (ليس بالضبط نفس الطريقة التى يقع فيها المبشرون فى حب الأفارقة). ولقد كان ينظر الى أهل التبت على أنهم أغبياء. وكانوا مؤمنين بأكثر مما ينبغى وممارسين للشعائر بأكثر مما ينبغى أيضا. ولذلك فقد

كـان هناك انفتـاح هائل نحو تلقى الجنون نظرا لروحهم غيـر العمليـة: ترك مزرعتك، أترك أسباب العيش وسبلة، تجول فى الجبال مرتديا تلك الملابس الخاصة باليوجا الغريبة.

وبمجرد أن بدأ أهل التبت قبول هذه الأشياء كوسائل من أجل السلامة العقلية، فقد قاموا باليوجا بشكل متميز، لأن مدخلهم لممارسة اليوجا كان أيضا عمليا جداً. وبما كانوا يباشرون عملهم فى المزارع بإيمان، والعناية بقطعانهم بإيمان، فإنهم اتبعوا نداء اليوجا بإيمان أيضا.

وأهل التبت لا يميلون إلى الفنون كما هو حال اليابانيين. ولكنهم كانوا بالأحرى مزارعين متميزين، وتجاراً متميزين، وكذلك كانوا سحرة متميزين. وكانت تقاليد البيون الخاصة بأهل التبت فظة غير مصقولة. وكانت تتعلق فقط بحقائق الحياة. وكانت احتفالات البيون فى بعض الأحيان عملية جداً. وأحد الاحتفالات المقدسة تنطوى على حفلات للسمر فى أعالى الجبال - وهو الأمر الذى يجعلك تحتفظ بالدفء. ويبدو أن المراوغة التى أبداها أهل التبت خلال المؤامرات السياسية التى تمت فى القرن العشرين تخرج عن الحدود. وهذا النوع من الفساد والمؤامرات السياسية جاءت إلى التبت من الخارج، من الفلاسفة الآريين فى الهند، ومن السياسيين الإمبرياليين فى الصين.

لقد كان مدخل بادماسمباهاقا جميلاً جداً. وكانت نبوءاته تدل على كل شىء حدث فعلاً فى التبت، بما فى ذلك الفساد، وعلى سبيل المثال فإن نبوءاته تقول لنا إنه فى النهاية فإن التبت سوف تغزوها الصين، وأن الصينيين سوف يدخلون البلاد فى سنة الفرس، وانهم سوف يندفعون داخل البلاد بأسلوب الحصان. وقام الشيوعيون الصينيون بغزو التبت فى سنة الفرس بالفعل، وقاموا ببناء الطرق من الصين إلى التبت وفى كل ربوع التبت وأدخلوا منها المركبات ذات الموتور. وقالت هذه النبوءات أيضا شيئاً حول أنه فى عام الخنزير فإن البلاد سوف تنكمش إلى مستوى الخنزير، وهذا مايشير إلى المعتقدات البدائية، وكذلك السيطرة على أذهان أهل التبت بأفكار أجنبية.

وكانت هناك نبوءة أخرى لبادماسمباهاڤا تقول بأن نهاية التبت سوف تأتى حين يوجد الأدوات المنزلية لتسانج وهى المقاطعة العليا - توجد فى كونجبو المقاطعة السفلى. وفى حقيقة الأمر، فقد حدث أن كان هناك فيضان هائل فى المقاطعة العليا فى تسانج حينما سقطت قمة جليدية لأحد الجبال فى بحيرة فى أسفله. وامتلأ نهر براهما بوترا بمياه الفيضان، واجتاح عدداً من القرى والأديرة فى طريقه. وتم العثور على بعض الأدوات المنزلية التى جرفت من هذا المكان فى كونجبو، حيث كان النهر قد حملها فى طريقه. وكانت نبوءاته أيضا تقول إن هناك علامة أخرى على نهاية التبت سوف تكون فى بناء معبد أصفر عند سفح قصر پوتالا فى منطقة لاسا. وفى الحقيقة، فإن الدلاى لاما الثالث عشر كانت رؤية بأن معبد كالاشاكرا ينبغى بناءه هناك، وقد دهنوه باللون الأصفر. وكانت إحدى تنبؤات بادماسمباهاڤا الأخرى تقول بأنه فى المرحلة الرابعة عشرة، فإن قوس قزح الخاص بمنطقة پوتالا سوف يختفى. وهذه المرحلة الرابعة عشرة تشير إلى الوقت الحاضر، الدلاى لاما الرابع عشر. وبالطبع، فإن پوتالا هى القصر الشتوى للدلاى لاما.

وحينما قال پادماسباهاڤا هذه القصص، فإن ملك التبت ومعه وزراؤة قد غضبوا غضباً شديداً، وسألوا بادماسمباهاڤا أن يساعدهم. وسألوه: «ماهى أفضل الأشياء التى يمكن أن نفعلها للحفاظ على أمتنا» ، ورد عليهم قائلاً: «ليس هناك ما يمكن أن نفعله» «بخلاف أن نحافظ على التعاليم التى أعطيت الآن وأن تحافظوا عليها فى مكان أمين فى بعض الأماكن »وبعد ذلك أدخل فكرة دفن الثروات، والكتابات المقدسة.

ولقد كانت له كتابات مختلفة حول وضعه الذهب والفضة. فى أوعية مثل الكبسولات ودفنها فى أماكن مناسبة فى مختلف أنحاء التبت حتى تكتشفها الأجيال التالية. وكانت لديه أيضا أشياء محلية مدفونة: المجوهرات التى يمتلكها، والمجوهرات المملوكة للملك، وأدوات المنزل الملكية، وأشياء عادية تخص الزراعة أيضا. وكانت الفكرة هو أن الناس سوف يصبحون بدائيين بدرجة

أكبر، وأن الذكاء البشرى سوف ينحسر ويصبح الناس غير قادرين على العمل بأسلوب صحيح بأيديهم، وأن ينتجوا أشياء من التى تتميز بمستوى فنى عال.

لذلك فإن تلك الأشياء كان يتم دفنها فى طول التبت وعرضها، باستخدام المعرفة العلمية - بعد استجلابها من الهند فى أغلب الأحوال - فى الحفاظ على المخطوطات وباقى أنواع الأشياء. وكانت الكنوز تدفن فى طبقات كثيرة محمية، بما فى ذلك طبقات من الفحم النباتى والجير الأرضى، ومواد أخرى لها بعض الخواص الكيميائية، وكذلك من باب الأمان كانت هناك طبقة من السموم حول الجدار الخارجى، وذلك حتى لا يتمكن اللصوص والناس الآخرون الذين لا تتوافر لديهم المعرفه من استخراج هذه الكنوز. وقدتم موخرا اكتشاف مثل هذه الكنوز من جانب بعض المدرسين الكبار المفترض أنهم «تاول كوس» من أتباع بادماسمباهاڤا. وكانت لديهم رؤية سيكلوچية. (وكيفما كان هؤلاء) من أماكن معينة كان يتعين عليهم أن يحفروها. وبعد ذلك يقيمون عملة عدم دفن كاحتفال بذلك. ويتجمع الذين نزروا أنفسهم للعقيدة، بالإضافة إلى العمال للقيام بعملية الحفر. وكان يقتضى فى بعض الأحيان استخراج الكنز من بين الأحجار.

وعملية إعادة اكتشاف الكنوز كانت تتم بصفة مستمرة، وتم كشف النقاب عن تعاليم مقدسة كثيرة. وأحد الأمثلة على ذلك هو « كتاب التبت عن الموتى».

وهناك مدخل آخر للحفاظ على كنوز الحكمة وهو أسلوب خط الفكر. أما التعاليم فكانت تكتشف من جانب مدرسين مناسبين تكون لهم ذاكرة حولها وأن يكتبوها أحيانا من الذاكرة. وهذا نوع آخر من الكنوز المخبأة.

ومثال على كون بادماسمباهاڤا يتصرف كأب للتبت هو فى التحذير الذى وجهه للملك تريسونج ديتسن. فقد كانت احتفالات السنة الجديده توشك على أن تقام، وكانت تشتمل على سباق الخيل ورماية السهام، ضمن الأحداث الأخرى. فقد قال بادماسمباهاڤا، «لا ينبغى أن يكون هناك سباق للخيل أورمى للقوس هذه المرة» ولكن الناس من حول الملك وجدوا مخرجاً للالتفاف حول تحذيرات بادماسمباهاڤا. ولكن الملك قتل باصابة من سهم من قاتل مجهول

الهوية فى وقت سباق الخيل ورمى القوس.

وكان بادماسمباهاڤا يحب التبت وأهلها ويعزهم إعزازا. وكان المرء يتوقع له أن يبقى هناك. ولكن جانباً شقياً من القصة أنه عند نقطة معينة غادر بادماسمباهاڤا أرض التبت. ويبدو أن هناك فقط وقت معين يهتم المرء ويعتنى بالمواقف. فبمجرد أن البلاد قد التحمت سداها من الناحية الروحانية وطور الناس شعورا، من السلامة النفسية، قام بادماسمباهاڤا بمغادرة التبت.

على أن بادماسمباهاڤا لا يزال حياً، بالمعنى الحرفى. فهو لا يعيش فى أمريكا الجنوبية ولكن فى مكان بعيد - فى قارة من الهوام فى مكان هناك يطلق عليه اسم سانجدوك پلرى أى «الجبل النحاسى اللون العظيم». ولا يزال يعيش. طالما أنه حالة الدارماكايا، فالحقيقة القائلة بتحلل الاجسام العضوية وعودتها إلى الطبية لا يجرى النظر إليها نظرة كبيرة. ولذلك فإننا لو بحثنا عنه، فلربما وجدناه. ولكننى على يقين من أنك سوف يصيبك الإحباط لدى رؤيته.

وبالطبع، إننا لم نعد نتحدث عن جوانبه الثمانية فقط. وأنا على يقين أنه منذ ذلك الوقت أنه استطاع تطوير ملايين من الجوانب.

طالب: لقد تحدثت عن إرسال الخط الفكرى. وقلت أن المدرس يخلق نصفة فى حين يخلق الطالب النصف الباقى. إننى اعتقدت أن الحكمة المجنونة لم يتم خلقها.

ترونجبارينبوكى: نعم، إنها لم تخلق. ولكنها موجودة تلقائيا. وأنت تخلق النصف والمدرس عليه النصف الباقى. إنها لا تصنع فى الحال، إنها كانت هناك.

طالب: هل تعتقد أن أمريكا موحشة بشكل يكفى لوجود الحكمة المجنونة.؟

ترونجبارينبوكى: الأمر لا يحتاج إلى قول ذلك.

طالب: إننى لا أفهم جملة استعملتها: «الحياة للموت» فهل تشرح ذلك؟

ترونجبا رينبوكى: إن المدخل المعتاد للحياة هو فكرة أن فى كل مرة نتنفس فيها شهيقا وزفيراً فإننا نقترب من الموت. وكل ساعة تمر تقربنا من الموت.

وذلك فى حين أنه بالنسبة لمبدأ الحكمة المجنونة فإن الطاقة تتجدد بصفة مستمرة.

طالب: رينبوكى، لقد قلت إن المعلم الروحى رينبوكى حى حرفياً فى أحد البلاد، هل أنت جاد؟ إنك استخدمت الكلمة «حرفيا». فى حديثك.

ترونجبارينبوكى: عند هذه النقطة فليس من المؤكد ما هو جدى، وما هو حرفى، بالنسبة لهذا الأمر.

طالب: لذلك تقول أى شىء؟

ترونجبا: أنا أفترض ذلك.

طالب: لقد ذكرت «الهواء الأسود» الذى يقوم المدرس بخلقه. فهل يقوم الطالب أيضا بخلق جانب منه؟

ترونجبارينبوكى: نعم، بالخوف الذى ينتاب الطالب.

طالب: لقد قلت أيضا إنه إذا كان لدى الطالب شكوك فإن معلم الحكمة المجنونة سوف يستفيد من هذه الشكوك.

ترونجبا: نعم.

طالب: بأى طريقة يستفيد من شكوك الطالب؟

ترونجبا: إننى أتساءل إننى يجب أن أترك اللعبة. . . ان الشك هو لحظة من لحظات عدم التأكد. وعلى سبيل المثال، إذا كنت ضعيفا من الناحية الطبيعية فإنك يمكن أن يصيبك البرد والأنفلونزا بسهولة. وإذا لم تكن مستعداً وألا تقى نفسك، فإنه يمكن اصطيادك فى تلك اللحظة الضعيفة. ويبدو أن الأمر كذلك.

طالب: إننى أتذكرك وقد قلت ذات مرة أن الأبيشيكا. حينما تكون على أهبة الحدوث، يكون هناك نوع من لحظة الخوف. فكيف يتسنى لذلك الارتباط مع عدم الأمان وأن يفقد الطالب صلابته؟

ترونجبارينبوكى: حسنا، إن أيه علاقة بين الطالب وعالم الحكمة المجنونة يجرى النظر إليها على أنها أبيشيكا.

طالب: فى حالة الحكمة المجنونة التى تخلق نفسها، هل يعتبر بادماسمباهاڤا هو الفاعل المنشط؟

ترونجبارينبوكى: هو المنشط كما أنه الخلفية. لأنه يتكون أيضا من الدارماكايا، والسامبوچاكايا والنيرماناكايا.

طالب: لقد تحدثت عن عملية الحكمة المجنونة باعتبارها واحدة من التعزيز وتعزيز بناء الذات إلى أن يحدث هبوط ضخم. ولكن عند إحدى النقاط، تكلمت أيضا عن عملية انعدام الأمل التى لا تحدث فجأة، ولكنها تتطور حسب الموقف رويداً رويداً. ولكننى لا أفهم كيف يمكن لها تبن العمليتين أن تدورا فى وقت واحد. فهما يعملان فى اتجاهات معاكسة.

ترونجبارينبوكى: إن عملية البناء والتعزيز إلى أن يحدث السقوط الكبير هى استراتچية مدرس الحكمة المجنونة، وفى نفس الوقت، فإنك تمضى قدما لتطور حالة انعدام الأمل بصفة تدريجية.

طالب: حينما يحدث إرسال خط الفكر، يكون هناك أنفتاح، لهذه الفجوة. فهل هذا فى حد ذاته هو الإرسال؟

ترونجبا: نعم، إنه هو. وهناك أيضا الجو المحيط حول هذا، الذى يعتبر إلى حد ما كلى النطاق، يخلق إطاره الأرضى. ومن خلال هذا، تكون الفجوة هى القمة.

طالب: يبدو أننا نجدد أنفسنا بصفة مستمرة فى مواقف الانفتاح، ثم ننزلق للخارج. فما هى فائدة العودة إليه. وهل هو نوع من التمرين، أن ترى هذا الفراغ لذلك ترجع إليه؟

ترونجبا: حسنا، أنت ترى، أنك تستطيع إعادة خلق هذا الوضع، ولكنك يمكن أن تخلق الأبيشيكا الخاصة بك فى كل لحظة. بعد التجربة الأولى. بعد أن تكون قد طورت المعلم الروحى فى داخل ذاتك، وأن تخلق الأبيشيكا الخاصة بك، وليس بالأحرى أن تعيد إلى ذاكراتك ما حدث من قبل فى

ذلك الماضى. فإذا داومت على العودة إلى تلك اللحظة فى الماضى، فإن ذلك يصبح نوعاً من الكنز الخاص، والذى لا يساعد كثيراً.

طالب: لايساعد؟

تروبجبا: لا يساعد.

طالب: ولكن من الضرورى أن يكون لدينا تلك التجربة.

تروبجبا: إن هذه التجربة تكون بمثابة المادة المساعدة أو الجاهزة، فعلى سبيل المثال، فإذا حدثت لك حادثة ففى كل مرة بعد ذلك إذا ركبت مع سائق مجنون، فيكون لديك الشعور بأنه يمكن أن تموت فى أيه لحظة، وهذا صحيح.

طالب: أننا نتحدث عن الانفتاح باعتباره موقفا خاصاً جداً يأخذ مكانه فى عملية الإرسال، ومع ذلك يبدو أنه موجود بصفة تلقائية هناك، دون الوعى وغالباً جداً هنا وهناك وفى كل مكان. إنه طبيعى أن يكون وراء المرض العصابى حينما يمر من خلالك، نوع من المرور معه. فهل يمكن أن تحدثنا عن المزيد حول طبيعة الانفتاح.

تروبجباريمبوكى: يبدو أنه عند هذه النقطة، إذا حاولنا أن نكون أكثر دقة وتحديداًفى وصف التفاصيل فإن ذلك لن يساعدنا على وجه الخصوص. فإن الأمر سوف يصبح بمثابة خلق تكتيكات خاصة، ونقول لك كيف تستطيع أن تنسخ منها نسخة – كمحاولة أن تكون تلقائيا مع الكتاب المدرسى – وهو ما لا يبدو أنه سوف يكون مفيداً. ومن المحتمل أننا يحب أن نمر خلال نوع من فترات التجربة.

مذكرات

الندوة (١)

الفصل ٥

١ - بيون (وغالبا ما تكتب «بون») هى عقيدة أصلية سابقة لدخول البوذية لمنطقة التبت.

الندوة (٢)

الفصل ١

٢ - «الميلاد المتواكب» هو إشارة إلى الفكرة التانترية التى تتضمن الظهور المتواكب، أو الحكمة المشتركة فالمارة والنيرڤانا يطلعان معا، ويتسببان فى ظهور الحكمة.

الفصل ٢

٣ - إن هذا لا يتناقض مع وصف تروبجبارينبوكى فى صلب هذا الحديث، عن الدارماكايا باعتبارها بدون شروط. وذلك على الرغم من أنها مشروطة بشعور الحمل، فالدارماكايا، كما يقول لنا فى البداية، تبقى غير متأثرة بأية محتويات، ولذلك فإنها تزودنا بالإمكانية المستمرة بحدوث إشعاع لعقل لا يرتبط بأية شروط.

الفصل ٣

٤ - هيربرت. ڤى. جونتر - مترجم، حياة وتعاليم الناروبا (اكسفورد: جامعة اكسفورد بريس ١٩٦٣).

الفصل ٤

٥ - فرانشسكا فريمانتل، وتشوجيام تروبجبا، مترجم، كتاب التبت حول الأموات: «التحرر الكبير من خلال سماع الباردو» بوسطن ولندن. شمبالا ١٩٨٧).

الفصل ٦

٦ - هذا قول مقتبس من كتاب المؤلف سادباتا المهامودرا، طقوس دينية مارستها تلامذته.

ولو المحترم تشوجيام ترونجبا فى مقاطعة كام فى شرقى التبت عام ١٩٤٠.
وحين بلغ ثلاثين شهراً من عمره بالكاد فإن تشوجيام ترونجبا إعترف به بصفة «تولكو» كبير، أو مجسد لمدرس. وطبقاً للتقليد فى التبت. فإن المدرس المستنير روحانيا هو قادر قدرة تتبنى على ما يؤديه من قسم عاطفى، يتجسد فى شكل آدمى عبر عدد من الأجيال المتعاقبة. وقبل الموت فإن مثل هذا المدرس يترك خطاباً أو معلومات موثوقة للتجسيد التالى. وبعد ذلك، فإن الطلبة والمدرسين المحققين ينظرون فى هذه المعلومات الموثقة المبنية على البحث الدقيق فى الأحلام والرؤى ويقومون ببعض الأبحاث لاكتشاف والتعرف على الخلق الآيتين بعدهم. وعلى ذلك فقد كانت هناك خطوط خاصة للتدريس قد أخذت شكلها، وكانت هذه الخطوط تمتد فى بعض الأحيان عبر عدد من القرون. وكان تشوجيام ترونجبا فى الترتيب الحادى عشر فى خط التدريس المعروف باسم ترونجبا «تولكوس».

وحين يجرى الاعتراف بهؤلاء التولكو الشبان، فإنهم يدخلون فى فترة من التمرين المكثف فى النظرية وفى الممارسة للتعاليم البوذية. أما ترونجبارينبوكى (رينبوكى) هو لقب شرفى يعنى «الشخص الثمين» فإنه بعد أن جلس على العرش باعتباره رئيساً لدير الرهبان فى منطقة سورمانج للأديرة وحاكما على حى سورمانج، فقد بدأ فترة من التدريب كانت تمتد إلى ثمانية عشرة عاماً، وحتى رحيله من التبت فى عام ١٩٥٩. وكان تدريبة باعتباره كاچيو تولكو ينبنى على التدريب والممارسة المنتظمة للتأمل وعلى التفهم المهذب النظرى للفلسفةالبوذية. وكانت واحدة من ضمن الأربعة خطوط الكبرى للتبت وهى الكاچيو تعرف باسم «الممارسة الخطية».

وفى سن الثامنة، تلقى ترونجبارينبوكى الأوامر لكى يترسم راهبا قبل التثبيت. وبعد ترسيمه، اشترك فى دراسة مكثفة وممارسة نظام الرهبنة التقليدية، بالإضافة إلى انشغاله فى فنون حسن الخطوط، ونقوش «الثانكجا»، والرقص

الديرى. وكان مدرسوه الأوائل هم چمچون كونجتراول من سيشن وكنبو كانجشار - وهم مدرسون حجة فى النيينحما وخط الكاچيو. وفى عام ١٩٥٨، وكان عمره ثمانية عشرة عاماًاكمل تروبجبارينبوكى دراساته وحصل على درجه كيوربون (دكتور فى اللاهوت) وكذلك درجة كينبو (دراسات ماچستير). كذلك حصل على ترسيم كامل كراهب.

وكانت أواخر الخمسينيات زمنا اتسم بحدوث اضطرابات كبيرة فى التبت. وكما بدا واضحاً أن الشيوعيين الصينيين قد عقدوا العزم على أن يستولوا على البلاد بقوة السلاح، فكثير من الناس سواء كانوا من الرهبان أو من الأشخاص العاديين هربوا من البلاد. وقضى تروبجبارينبوكى شهورا مضنية بجوب جبال الهيمالايا (وقد وصف ذلك فى كتابه «مولو د فى التبت».). وبعد أن افلت بالكاد من أسرا الصينيين له، وصل أخيراً إلى الهند فى عام ١٩٥٩.
وأثناء وجوده فى الهند عين تروبجبارينبوكى من لجانب سماحه تزين چياتسو، الدلاى لاما الرابع عشر، للخدمة كمستشار روحى فى مدرسة مركز شباب اللاما فى دالهوسى، بالهند وخدم بهذه الصفة من ١٩٥٩ حتى١٩٦٣.

وكانت الفرصة الأولى لتروبجبارينبوكى لمواجهة الغرب حينما تلقى استدعاء من سپولدنج للحضور. فى جامعة أكسفور. وفى جامعة اكسفورد درس الديانات. المقارنة، والفلسفة، والفنون الجميلة. وكذلك قام بدراسة فن ترتيب الزهور اليابانى، وتلقى درجة علمية من مدرسة سوجتسو. أثناء وجوده فى انجلترا.

بدأ تروبجبارينبوكى فى تعليم طلبة الغرب فى الدارما (تعاليم البوذية)، وفى عام ١٩٦٨ قام بتأسيس مركز التأمل «سامى لنج» فى دامفرى شاير فى اسكتلنده. وأثناء هذه الفترة قام بإصدار كتابيه الأولين وكلاهما باللغة الإنجليزية «مولود فى التبت »، و «التأمل فى السلوك» .

وفى عام ١٩٦٩، سافر تروبجبارينبوكى إلى بوتان حيث انغمس فى تأمل منعزل اعتكافى. وهذا الاعتكاف شكل تغيراً جذريا فى مدخله التعليمى.

فبمجرد عوته أصبح فرداً عاديا ونحى جانبا أروابه الديرية وارتدى زيا غربيا أنيقا. وتزوج امرأة انجليزية شابة وغادرا سويا اسكتلنده واتجها إلى أمريكا الشمالية. ويرى كثير من تلامذته الأوائل أن هذه التغيرات تدعو إلى الصدمة والغضب، وعلى أية حال فقد عبر عن اقتناعه بأنه إذا أريد له أن يثبت أقدامه فى الغرب، فينبغى تدريس الدارما بمعزل عن البهارج الثقافية، والإبهار الدينى.

وخلال السبعينيات كانت أمريكا فى هياج سياسى وثقافى. لقد كان ذلك وقت الانبهار بالشرق. وقام ترونجبارينبوكى بانتقاد المدخل المادى والتجارب بالنسبة للروحانية التى يواجهها، واصفاً إياها بأنها «سوبرماركت روحانى» وفى محاضراته وفى كتبه «التوغل خلال المادية الروحانية» وكتابه «أسطورة الحرية» أشار إلى البساطة والطريقة المباشرة التى تتسم بها عملية التأمل الجالسة باعتبارها الطريق لاختراق مثل هذه التشوهات التى تصيب الرحلة الروحية.

وخلال السنوات السبعة عشرة التى قضاها يدرس فى أمريكا الشمالية، أوجد ترونجبارينبوكى لنفسه سمعة اعتباره مدرساً ديناميكيا محل جدل.

وكان يتحدث الانجليزية بسهولة، وتمكن مما جعله واحداً من «اللاهات» الأوائل الذين يستطيعون الحديث إلى طلبة الغرب مباشرة، دون الاستعانة بأى مترجم. وسافر كثيرا جداً خلال أمريكا الشمالية وأوربا، مما مكنه من إلقاء مئات الأحاديث، والندوات. وقام بإنشاء مراكز كبرى فى ڤيومرنت، وكولورادو، ونوڤاسكوتيا، فضلا عن كثير من مراكز التدريس والتأمل فى مدن أمريكا الشمالية وأوربا. وتشكلت الڤاچراداتو فى عام ١٩٧٣باعتبارها الجهاز الإدارى المركزى لهذه الشبكة.

وفى عام ١٩٧٤، أسس ترونجبارينبوكى معهد الناروپا، والذى أصبح بمثابة الجامعة المعتمدة ذات الإيحاء البوذى فى أمريكا الشمالية. وقام بإلقاء المحاضرات المكثفة فى هذا المعهد وكان كتابه «رحلة بدون هدف» ينبنى على دراسات كان قد ألقاها هناك. وفى عام ١٩٧٦ أسس برنامج شمبالا للتدريب، وهو عبارة عن سلسلة من البرامج تعطى فى نهاية الأسبوع وندوات تزود الناس

بالتعاليم الخاصة بممارسة التأمل من خلال نظام لاديني. ويعطى كتابه «شمبالا» الطريق المقدس للمحارب» يعطى نظرة من أعلى، على تعاليم الشمبالا.

وتروبجبارينبوكى كان نشيطا أيضا فى مجال الترجمة. فقد كان يعمل مع فرانشسكا فريمانتل، وقدم ترجمة جديدة لكتاب «كتاب التبت عن الموتى»، وتم نشر هذه الترجمة فى عام ١٩٧٥. وأخيراً أسس لجنة نالاندا للترجمة، من أجل ترجمة الطقوس الدينية والنصوص لتلامذته، فضلا عن جعل النصوص الهامة سهلة المنال على الجمهور.

وعرف عن تروبجبارينبوكى أيضا اهتمامه بالفنون، وبالخصوص ثاقب نظره فى العلاقة بين النظام التأملى والعملية الفنية. وكانت أعماله الفنية تتضمن تحسين الخطوط، والرسم، وترتيب الزهور، والشعر، والكتابه المسرحية، والمؤسسات البيئية. وفضلا عن ذلك، وفى معهد ناروپا، قام تروبجبا بإنشاء جو من التعليم اجتنب إليه كثيرا من رواد الفن والشعراء. ولقد بقى هناك اكتشاف العملية الخلاقة فى ضوء التدريب على التأمل كحوار يثير الفكر. وقام تروبجبارينبوكى أيضا بنشركتا بين من الشعر هما: «مودرا» ، «الفكر الأول هو الأفضل» وقام تروبجبارينبوكى بنشر كتب تمثل جانبا فقط من الإرث الروحى الذى خلفه وراءه. وخلال السبعة عشر عاما التى قضاها فى التدريس فى أمريكا الشمالية، استطاع أن يهيء الهيكل اللازم لتزويد تلامذته بالفكر، والتدريب المنظم فى الدارما. وهذه البرامج - ابتداء من الحديث التمهيدى والدروس، إلى ممارسة الاعتكاف الجماعى- قد أكدت نوعاً من التوازن بين المذاكرة والممارسة، للذهن والحدس. وصار التلاميذ على كل المستويات يستطيعون متابعة اهتماماتهم بالتأمل والطريق البوذى من خلال هذه الأشكال المتعددة من التدريبات. واستمر كبار طلاب تروبجبارينبوكى فى الانغماس فى تدريس التعاليم والتأمل فى مثل هذه البرامج. وفضلاً عن تعاليمه المعمقة فى التقاليد البوذية، فإن تروبجبارينبوكى شدد أيضا على تعاليم الشمبالا التى تشدد هى الأخرى على أهمية تدريب العقل باعتبار ذلك تميزا عن التدريباتالدينية،

وانغماس المجتمع، وخلق مجمتع يتمتع بالاستنارة، والاهتمام بحياة الفرد من يوم لآخر. ولقد توفى ترونجبارينبوكى فى عام ١٩٨٧، فى سن السابعة والأربعين وترك خلفه زوجته ديانا وخمسة أبناء. وبحلول وقت وفاته، كان ترونجبارينبوكى قد صار رمزا محوريا فى إدخال الدراما إلى العالم الغربى. وإرتباط إعذاره للثقافة الغربيه مع عمق فهمه لتقاليده أدى إلى مدخل ثورى لتدريس الدارما، التى تم تقديم التعاليم القديمة والعميقة فى ثيات عصرية متقنة. وكان ترونجبارينبوكى معروفاً بإعلانه عن عدم الخوف الذى تتضمنه الدارما: التحرر من التردد، والصدق فى التقاليد، والنشوة التامة. ونرجو أن تترسخ هذه التعاليم وتزدهر لصالح الكائنات ذات الحس.

ان الموضوع الذي نحن بصدد تناوله هو موضوع صعب صعوبة غير عادية. ومن الجائز ان بعض الناس سوف يصيبهم الارتباك بصفة غير عادية أيضاً. وأن بعض الناس ربما يستخلصون منه بعض الشيء. ولسوف نناقش موضوع المعلم الروحي رينبوكي، أو كما يسميه الغرب غالبا پادما سمباهافا ولسوف نتناول طبيعته، والأساليب المختلفة التي طورها من خلال عمله مع تلامذته. وذلك الموضوع دقيق جداً، وبعض جوانبه تتسم بالصعوبة الشديدة إذا ما تمت صياغتها في كلمات. وانقسم ألا ينظر أي امرىء إلى هذه المحاولة من جانبي بمثابة عرض محدد لپادما سمباهافا.

وبادىء ذي بدء فإننا نحتاج إلى تقديم أساس لماهية پادما سمباهافا. وكيف يتواءم مع البودهارما (أي التعاليم البوذية) على وجه العموم، وكيف لقي ذلك الإعجاب من جانب أهل التبت على وجه الخصوص.

لقد كان پادما سمباهافا مدرساً هندياً وهو الذي جلب التعاليم البوذية بكاملها إلى التبت. وقد ظل مصدر الإلهام بالنسبة لنا حتى الآن، هنا في الغرب. لقد ورثنا تعاليمه. ولهذه النقطة من وجهة النظر فإنني أعتقد أنه يمكن القول بان پادما سمباهافا لا يزال حياً وطيباً.

إنني أفترض أن أفضل السبل لطرح شخصية پادما سمباهافا على الناس من أصحاب النظرة الغربية أو الفكر ـ المسيحي هو أن نقول إنه قديس. وسوف نمضي إلى مناقشة عمق حكمته، وأسلوب الحياة الذي جاء به، وأسلوبه الماهر في الارتباط مع تلامذته. إن التلاميذ الذين كان عليه أن يتعامل معهم من أهل التبت، كانوا أفظاظاً بشكل غير عادي وغير مثقفين.